قيامة الخلق الثاني

في أحاديث المعصومين (عليهم السلام)

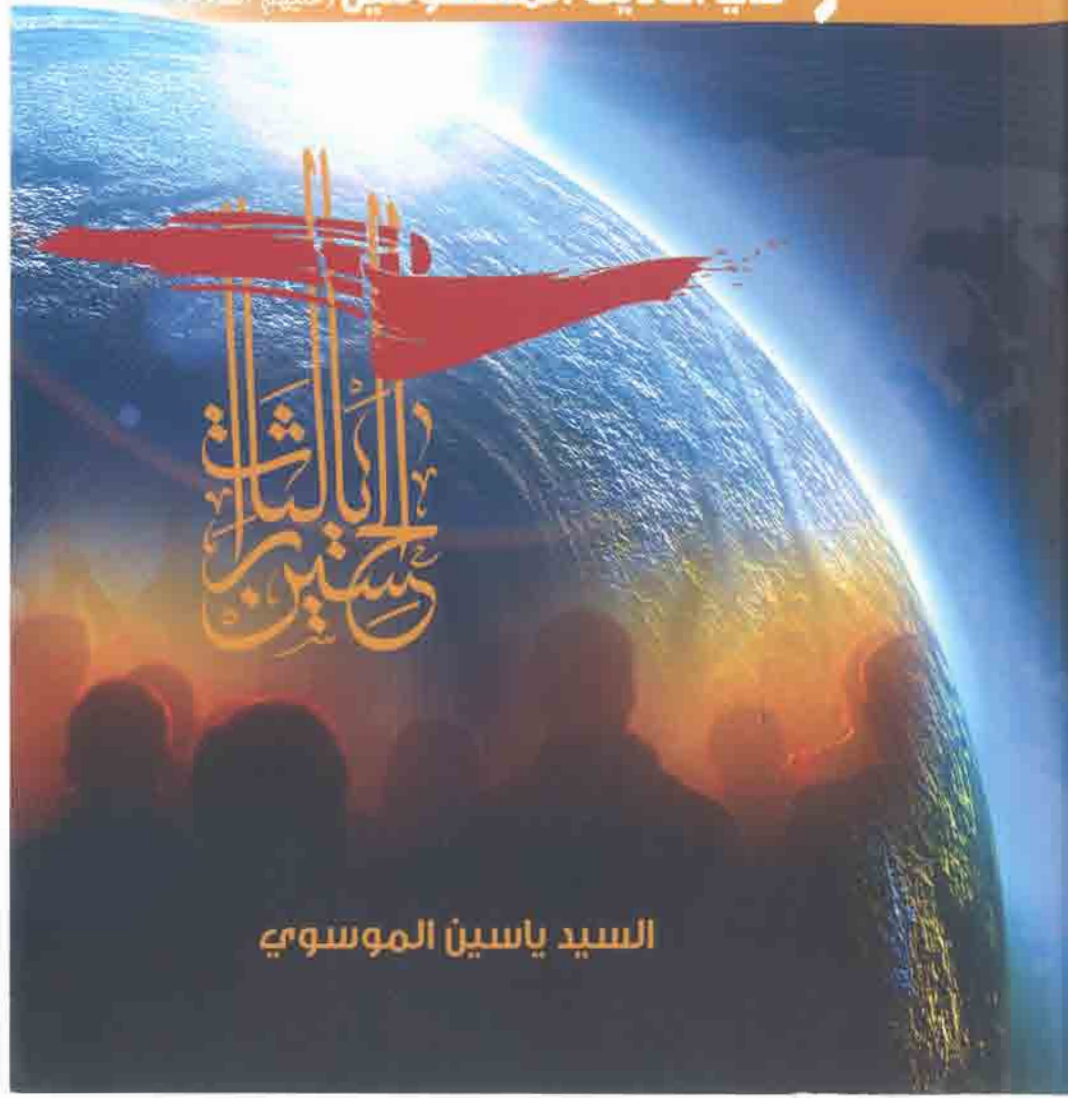

السيد ياسين الموسوي

قيامة الخراسانيّ

في أحاديث المعصومين عليهم السلام

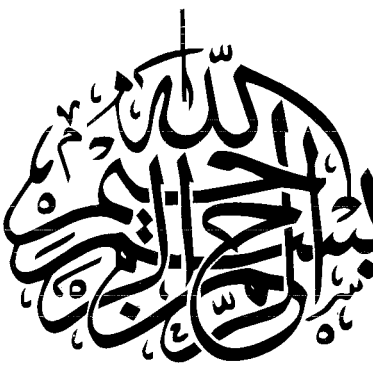

علامات الظهور (6)

قيامة الخراسانيّ

في أحاديث المعصومين عليهم السلام

السيد ياسين الموسوي

«إذا قام القائم بخراسان، وغلب على أرض كوفان، والملّتان، وجاز جزيرة بني كاوان، وقام منّا قائم بجيلان، وأجابته الآبر والديلمان، ظهرت لولدي رايات الترك متفرّقات متفرقات في الأقطار والجنبات، وكانوا بين هنات وهنات...»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ أمير المؤمنين عليه السلام حدّث عن أشياء تكون بعده إلى قيام القائم»[2].

---

(1) محمّد بن إبراهيم النعماني، كتاب الغيبة (قم: مهر، الطبعة 1، 1422ه). الصفحة 283.

(2) المصدر نفسه.

مقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

لا يُمكن أن يُقرأ هذا الكتاب ابتداءًا من دون قراءة الحلقات السابقة من هذه السلسلة، التي تتحدّث عن علامات الظهور في روايات المعصومين عليهم السلام، لوجود ترابط معرفيّ فيما بينها بتسلسل المفاهيم، فيكون كلّ جزء منها يكمن فيه من الغموض ما يحتاج ليُفسّر غموضه.

وقد انتهينا بالحديث عن علامات الظهور في روايات المعصومين عليهم السلام إلى موضوع العلامات الحتميّة التي تظهر في آخر الزمان بالمرحلة المتلاحقة، وربّما المتاخمة لسنيّ أيّام ظهور الإمام المهديّ عجل الله فرجه.

وهنا، يختلف الناس في تقييم الأهمّ من تلك العلامات الحتميّة، وقد جرت السيرة بين الكُتّاب والمُتحدّثين عنها أن يبتدأوا كلامهم بالحديث عن علامة (السفياني) وحقيقته؛ ولعلّ منشأ الاهتمام بهذه الشخصيّة يعود لوجود الكمّ غير القليل في روايات الشيعة المعتضدة بالروايات

الكثيرة جدًّا في روايات السُنّة، حتّى أصبحت بمنزلة الخبر المتواتر معنى إن لم نقل بتواتره.

وأشدّ من هذا ما جاء في بعضها أنّ حتمية السفيانيّ بظهور القائم عليه السلام، كما في الخبر الذي رواه النعماني في **كتاب الغيبة** بإسناده عن أبي هاشم داوود بن القاسم الجعفري قال: كنّا عند أبي جعفر محمّد بن علي عليه السلام فجرى ذكر السفيانيّ، وما جاء في الرواية من أنّ أمره من المحتوم، فقلت لأبي جعفر: هل يبدو لله في المحتوم؟

قال: نعم.

قلنا له: فنخاف أن يبدو لله في القائم.

فقال: إنّ القائم من الميعاد، والله لا يُخلف الميعاد[1].

ممّا يبدو للمتتبّع لعلامات الظهور أنّ قضية السفيانيّ هي من أهمّ العلامات المرتبطة بظهور المهديّ عجل الله فرجه، ومع كونها من الحتميّات فهي تدخل ضمن قانون البداء، إلا أنّ المسألة لم تقف بمداليل الرواية إلى هذا الحدّ، بل تتعدّى إلى القول إنّ علامة السفيانيّ هي أشخص ما يلفت نظر المتتبّع لعلامات الظهور، ولذا وجدنا أقطاب هذه الشريعة المهتمّة بعلامات الظهور يوغلون بالبحث والحديث عن السفيانيّ الذي أصبح مفتاح المرحلة المتّصلة بحركة ظهور الإمام عجل الله فرجه. وبعد تتبّعنا الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام بالطرق الصحيحة، بالإصطلاح القديم،

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 315.

وجدناها قد اهتمّت بقضيّة الخراسانيّ والخراسانيّين أكثر من الاهتمام بالسفيانيّ واليمانيّ، بتفاصيل حركته، وجغرافيّتها، ومناطق نفوذه وأعوانه، ونصّت على أنّ في ضمن جيوشه مجاميع من الأنصار هم في الواقع من أنصار الإمام المهديّ، وأنّ في نهاية زحف جيوش الخراسانيّ إلى العراق يكون ظهور المهديّ عجل الله فرجه، ويبعث الخراسانيّ للمهدي البيعة، وأنّ جنده هم الذين يمهّدون ويوطّئون للمهديّ سلطانه.

إذن، إنّ حركة الخراسانيّ هي جزء متقدّم من حركة الإمام المهديّ عجل الله فرجه، وقد حظيت باهتمامه عليه السلام، فهو ما زال يعيش الغيبة الكبرى ولم يقم ويعلن ثورته باعتبار أنّ حركة الخراسانيّ والخراسانيّين هي الموطئة له عليه السلام سلطانه، ومع هذا فإنّ الرواية تقول فإنّ فيها المهديّ.

ولا يوجد تفسير صحيح يتناسب ويتلاءم مع حقيقة الغيبة الكبرى وشروطها بعدم ظهوره عجل الله فرجه عيانًا، ونكران أيّة دعوى مشاهدة له عجل الله فرجه قبل خروج السفيانيّ والصيحة، إلّا إذا قلنا إنّ حضوره عجل الله فرجه في الأحداث الخراسانيّة بشكل غير معلن، ويتطابق قليلًا مع إخفاء هويّته حتّى على القادة الأوائل للحركة.

ولم نجد للإمام المهديّ عجل الله فرجه في الروايات حضورًا سابقًا على ثورة الخراسانيّين في جميع الثورات الإصلاحيّة والفدائيّة التي حدثت في تأريخ الشيعة، وقادتها كبار علماء وفقهاء ومراجع الشيعة والأبطال الشجعان الذين رسموا ملاحم البطولات. ولم يدَّعِ أحد من قبل أنّ الإمام

المهديّ عجل الله فرجه كان موجودًا وحاضرًا في أحد تلك الثورات والملاحم. وكذلك الأمر في ثورة الخراسانيّين، فإنّنا لم نسمع عن أحد أنّ الإمام المهديّ عجل الله فرجه سيكون موجودًا في أحداث هذه الثورة، مع العلم أنّ الروايات قد نصّت على وجوده عليه السلام فيها ولم تنصّ على وجوده في غيرها، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى أنّ هذه الخراسانيّة هي الجزء المتقدّم من ثورته عليه السلام، ويتوقّف أيّ تغيّر في غير هذه الثورة عليها، وقد تحدّثت الروايات الكثيرة التي عن ضرورة سبق الخراسانيّ والخراسانيّين بثورة عظيمة لظهور الإمام المهديّ عجل الله فرجه وهي التي سوف تمهّد له. ويكون حضور الإمام المهديّ عجل الله فرجه في ثورة الخراسانيّين بالطريقة التي تحفظ ظروف غيابه[1] وسدّ باب الادّعاءات الباطلة.

وللمناسبة لا غير، وبدون الإشارة إلى شيء محدّد سوى الذكرى، فإنّني أتذكّر أنّ أحد العلماء الأفاضل قد نقل لي في أوائل أيّام انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران، أنّ الإمام الخميني رضوان الله عليه سُئل عن سبب عدم ذكر الثورة الإسلاميّة في الروايات الشريفة أنّها من علامات الظهور فأجاب رضوان الله عليه: لأنّنا نعيش بدايات (مقدّمات) الظهور.

وبغضّ النظر عن دقّة النقل فإنّ هذه القضيّة لو صدرت، فإنّها تؤكّد حقيقة وجود مرحلة التمهيد لثورة المهديّ والمتزامنة مع ظهوره عجل الله فرجه.

وكم رأينا يد الغيب تحرّكت من وراء ستار لحفظ هذه الثورة ونصرتها

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 314، الباب 18، الحديث 10.

في أشدّ الظروف،كما في حادثة طبس. وما أعدّه الأمريكان بقوّتهم ومنعتهم، حيث جاؤوا بكلّ ما عندهم من تكنولوجيا وخلايا نائمة صنعتها أيديهم أيّام تواجدهم المسيطر في النظام السابق لثورة أهل خراسان، حيث كان الرئيس الأمريكيّ يتابع تحرّك المارينز لحظة بلحظة، ولكنّ يد الغيب بألطاف إمام الغيب عليه السلام، كانت هي الأعلى والأقوى، فكان الانتصار لأهل المشرق وهم نائمون لم يعرفوا ما يجري حولهم، فتحطّمت طائرات العدو وقُتل أكثر رجالهم وفُشي سرّهم ورجع من بقي منهم مهزومين.

ومن المستحيل أن نجد تفسيرًا لهذ النصر الإلهيّ، أو معرفة يد الغيب التي تتحرّك بشكل خفيّ، عندما يقف الإمام المهديّ عجل الله فرجه ليلًا يصفّ قدميه ويرفع يديه حيال وجهه ويدعو لأنصاره أهل المشرق. وصدق ما جاء في دعاء الندبة (أين المضطرّ الذي يُجاب إذا دعا)[1].

الخراساني أوّل الثلاثة

روى النعمانيّ في غيبته بإسناده عن الإمام أبي جعفر محمّد الباقر عليه السلام أنّه قال: «**خروج السفيانيّ واليمانيّ والخراسانيّ في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضًا فيكون البأس من كلّ وجه، ويل لمن ناواهم**»[2].

(1) المزار، الإمام محمّد بن جعفر المشهدي، الصفحة 579.

(2) كتاب الغيبة، مصدر سابق، باب 14، حديث 13.

من خلال هذه الرواية تُثار مشكلة رسم خريطة أحداث الظهور، فهي تحدّثت عن أنّ هؤلاء الثلاثة يخرجون في سنة واحدة وفي شهر واحد وفي يوم واحد. وهذه حالة قد يستحيل تصوّر تحقّقها على الأرض خصوصًا مع ملاحظة ذيل الرواية (فيكون البأس في كلّ وجه، ويل لمن ناواهم). ولذلك حاول البعض تأويل الوحدة في السنة والشهر واليوم بمعنى من معاني الوحدة المختلفة، مثل أن تكون ثورة أحدهم في سنة وتر، والثاني في سنة وتر، والثالث كذلك في سنة وتر، أو العكس من ذلك في جميعهم فيكون خروج كلّ واحد منهم في سنة زوجيّة، ويبقى الأمر سهلًا في الشهر واليوم، فيقال أنّ خروج أحدهم في شهر محدد من شهور السنة؛ كشهر رجب مثلًا، والثاني كذلك، وهكذا الثالث.

إلا أنّه يوجد في هذا التأويل مجال واسع للمخالفة والنظر، لأنّه يتناسب مع الرأي المقابل في استبعاد تحقّقه. وبالأخصّ إذا لاحظنا ما ورد في الخبر الشريف من عبارة (نظام كنظام الخرز) وهو واضح الدلالة، حيث أنّ تحقّق هذه الأحداث الثلاثة هو بالضبط مثل نظام الخرز في المسبحة، حيث يتبع أحدها الآخر بما لا يمكن إرجاعها إلى حدوثها في الوقت نفسه، وحينئذٍ يمكننا أن نجد جوابًا آخر لوحدة السنة والشهر واليوم بما يتناسب مع التطابق.

وفي الواقع، إنّ ذكر الوحدة بالسنة والشهر واليوم ممّا يمتنع القطع بتأويلها، وإنّ كلّ ما يمكن حضوره من تصوّرات في الذهن بعد التأمّل والتفكير يمكن ردّه، ووجود مؤاخذة عليه. ولذلك فإنّي أقدم تصوّرًا بيّنًا؛

مفاده أنّ تشخيص هذه الجزئيّة في الرواية تعود للظروف التي سوف تحدث في المستقبل، وذلك عندما يتمّ خروج الرايات الثلاثة وترفع أعلامها، لوجود سرّ فيها احتفظ به أهل البيت والطهارة ولم يُظهروه لأحد، يشهده الناس كلهم فيعرفون إنّ تلك الرايات التي يعاصرونها إنّما هي الرايات التي وردت في أحاديث أهل البيت عليهم السلام. فالحوادث الضخمة التي نشاهدها على أرض الشام مثلًا، أوحت لكثيرين من الناس أنّها حوادث السفيانيّ الواردة في الروايات الشريفة.

وقد زعم الكثير من المهتمين بالشأن الروايتيّ المتعلّقة بعلامات الظهور إنّها علامات السفيانيّ قطعًا، وأخذوا يحيكون خرائط مستقبل التحرّك الممهّد لظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه. وفي هذه الأجواء كثيرًا ما حدث أن سُئلت عن هذه الأحداث وطُلب مني فقط أمر واحد؛ التأكيد على أنّ الحدث هو حدث السفيانيّ، وقلت وما زلت أقول إنّ هذه التصوّرات باطلة قطعًا وليست هي أحداث السفيانيّ إنّما هي المقدّمات التي تحدث قبل السفيانيّ، ولها تفاصيل كثيرة سوف نتعرّض لها إن شاء الله في المستقبل، عندما نتحدّث عن السفيانيّ وأحداث الشام والمنطقة.

وقد اقتنعنا بهذه النتيجة بسبب واحد مقطوع به وهو أنّ هناك قضايا رمزيّة ذُكرت قبل السفيانيّ ولم نعلم كنهها، وإنّ كلّ ما قيل فيها إنّما هو محض استنتاج وتحليل تخيّلي، قد يكون من الخيال الجميل ويبقى من الترف الفكريّ الذي لا يمتّ إلى الواقع بصلة. وفي حال خروج السفيانيّ فإنّنا سنرى بأمّ أعيننا الحلول الواقعيّة لتلك الأسئلة الغيبيّة التي تحيّرنا

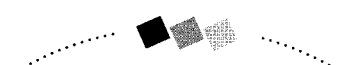

فيها، ولكلّ طالب حقّ وبيّنة أن يحصل على تلك الحلول بطريقة سهلة ومتوفّرة وقطعيّة، لعلمنا أنّ هذا أو ذاك الذي خرج ليس هو السفيانيّ قطعًا.

وعليه، فإنّنا نحصل بالمستقبل بشكل واضح وفي غاية السهولة والبساطة على الحلّ ومعنى الوحدة بالسنة والشهر واليوم، بما يساعدنا بشكل كبير جدًا على التأكّد من أنّ هؤلاء الخارجون إنّما هم الثلاثة (السفيانيّ واليمانيّ والخراسانيّ)، مع إيكال علم معرفة معنى السرّ واللغز للوحدة الزمنيّة للثلاثة -حسب المنهج الذي تعلّمناه منهم عليهم السلام بإرجاع وإيكال الأمور التي لا ندركها أو لا نفهمها إلى أهلها، وعدم ردّها أو الخوض فيها بشكل اعتباطيّ- فلا يبقى أمامنا إلّا حقيقة واحدة، وهي أنّ خروج الرايات الثلاثة بطريقة تتابعيّة تتناسب وكونها متحرّكة بنظام كنظام الخرز.

ثمّ لا يمكننا أن نزعم تقارب اثنين منها ويتبعها الثالث، باعتبار أنّ نظام الخرز يستلزم التتابع بين مفردات وحداته وهي ثلاثة فقط، كما أنّ الخرز تنظّم بشكل تتابعي الخرزة بعد الخرزة كما هو واضح عند كلّ من رأى مسبحة فسبّح بها أو لعب بها.

وقد كان للخراسانيّ قصب السبق بالأحداث حسب ما جاءت به الأخبار الشيعيّة والسنيّة جميعًا، التي أطبقت على خروج الخراسانيّين من المشرق وإقامة الحقّ ثمّ خروج اليماني، وتكون النهاية بخروج السفيانيّ.

إنّ الروايات الشريفة التي تحدّثت عن الخراسانيّ أو السفيانيّ أو اليمانيّ محدودة جدًّا. بينما نجدها عكس ذلك عندما تتحدّث عن أهل

المشرق خراسانيّي آخر الزمان، وكذلك فتنة الشام وخرابها قبل السفيانيّ وما يحدث باليمن وصنعاء بالفترة نفسها، وقد وجدناها أحداثًا كثيرة وضخمة تحصل فيها تغيّرات استراتيجيّة تبدّل خريطة العالم السياسيّة والتحالفات الدوليّة، كما سوف تتغيّر أيضًا الأسس العقديّة التي تقوم بها الحروب. فبعد أن تنصر الروم الغرب وأوسع تحالفاته الغربيّة، ويكون تبديل في قواعد قيام الدولة وتأسيسها في بلداتها وفي بلدان العالم، ويتمّ حكم العالم بأسس بعيدة عن العسكر والحروب بتأسيس قواعد جديدة مثل مجلس الأمن والبنك الدوليّ ومنظّمة التجارة العالميّة وإيجاد المنظّمات الإرهابيّة وغيرها، بالاستخبارات التي تحارب بالنيابة عن الدول الكبرى ذات القرار الدوليّ الذي يحكم العالم، ترجع مرّة أخرى بعد خروج الخراسانيّين القواعد العلنيّة والسريّة التي تحكم العالم بقواعد جديدة تُفشل النظام الدوليّ السابق، كما تُفشل النظام الدوليّ الجديد، ويحكم العالم بداية نظام قوّة المستضعفين وهو المشار إليه بالرواية الشريفة.

منها ما رواه الصدّوق في **كمال الدين** بسند صحيح عن أبي بصير قال: «**سأل رجل من أهل الكوفة أبا عبدالله عليه السلام: كم يخرج مع القائم عليه السلام، فإنّهم يقولون: إنّه يخرج معه مثل عدّة أهل بدر ثلاثمائة عشر رجلًا؟ قال: ما يخرج إلا في أولي قوة، وما تكون أوّلها القوة أقل من عشرة آلاف**»[1].

(1) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفّاري (قم: مؤسسة النشر الإسلاميّ، 1405هـ)، الصفحة 653، باب 57، الحديث 20.

وفي الرجوع إلى حلقة (الموطئون) من هذه السلسلة يتمّ التعرّف على حجم القوّة التي يتمتّع بها الخراسانيّون لتغيير وجهة العالم السياسيّة والأمنيّة التي جرى الحديث عنها في المرويّ عن النبيّ صلاته عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام. فلا يمكننا أن نقرأ الروايات ونفهمها بالطريقة الحرفيّة الساذجة التي تسقط أهدافها الحاكية عن المعالم الأساس للتغيير الكونيّ، بما يتحقّق من تغييرات بسلوك الإنسان وهمومه وحياته في الأرض باعتباره الخليفة لله عز وجل كما هي الغاية من خلقه، إذ لم تتحقّق جميع الأهداف التي خلق من أجلها حتّى الآن، والمأمول أن تتحقّق في نهاية المطاف بعد خروج المهديّ عجل الله فرجه حيث يعدّ الإنسان العادل فيتحقّق حينها - وحينها فقط - ملء الأرض قسطًا وعدلًا.

إنّ تحجيم مداليل الروايات بآفاق ضعيفة هو سلب لقوّة كلام المعصومين عليهم السلام في استخدام قلّة الألفاظ، لدلالتها على ضخامة المعاني، وهي أعلى درجات البلاغة التي اختصّ بها كتاب الله عزّ وجلّ المقدّس القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام، عدل القرآن الكريم كما هو منصوص عليه في حديث الثقلين المتواتر والقطعيّ والمرويّ في العراق الشيعيّة والسنيّة.

إنّ الروايات الشريفة قد جاءت بالشكل العامّ بعمق البلاغة، فاحتوت على معاني جليلة لا يمكن حصرها بظهور واحد ساذج وبسيط وإنّما جاء في كلّ حرف فيها - فيما إذا نقلت بالنصّ لا بالمعنى - دلالة جليلة قصدت بجلالتها من المعصوم عليه السلام عندما نطق بها وبلغ.

وهكذا هو الأمر بالضبط بما يتعلّق بأخبار علامات الظهور وما هو

مرتبط بموضوع الخراسانيّ والخراسانيّين فإنّ المسألة أخطر من أن تتحدّث عن قوم أو إنسان بطل، أو شخص استثنائيّ يتنبّأ عن أمرٍ ما، وإنّما هو حديث عن أحداث كبرى تكون الممهّدة للمهديّ عليه السلام سلطانه، وهذا معنى خطر لا يمكن أن يمرّ عليه الإنسان مرور الكرام، أو يتلقّفه بسهولة وبساطة كمن يقرأ قصّة أدبيّة من خيال كاتبها أو حتّى كمن يشاهد متنبّئًا يظهر على أحد شاشات التلفزة الفضائيّة وهو يجذبه إلى أفق المستقبل.

إنّه ليس كذلك أبدًا، بالخصوص إنّنا لم نقرأ هذا الحدث الضخم برواية واحدة أو روايتين أو ثلاثة فقط ممّا يمكن أن يقال: باحتمال أن تكون تلك الروايات قد رواها، للرواية بالمعنى، وأسقط عنها بلاغة المعصوم عليه السلام، وأسقط عنها القرائن الكبيرة التي تصحّح الدلالة المنقول فيها، بل إنّ هذا الحدث الجليل والضخم قد روي بشكل مكثّف قد حصل إلى حدّ التواتر والقطع بمجموع ما هو موجود في كتب الشيعة والسنّة، بما يعطي صورة واقعيّة حقيقيّة عن صدور ذلك المعنى الضخم في مدلول مجموع الروايات عن المعصومين عليهم السلام، والتسليم بأنّه واقع وحقيقة ليس للرواة دخل فيه.

وربمّا يخطر بالبال، السؤال التالي: ألم يكن هذا الحديث عن المرحلة التمهيديّة هو نوع من التوقيت الممنوع في ما جاء في الأخبار الصحيحة الشريفة؟

وللإجابة على هذا السؤال أو الإشكال فإنّا نقول باختصار: إنّه من الواضح لدينا أنّ المنهيّ عنه التوقيت المشخّص للعلامات والأحداث قبل

حدوثها، وإنّه إذا وقع ما أخبر به المعصومون عليهم السلام فسوف يكون من باب تحصيل الحاصل وهو غريب من إدّعاء التوقيت أصلًا، فإنّ الأئمّة عليهم السلام عندما نهوا عن التوقيت فهم ينهون عنه بشكل عامّ ويشمل كلّ ادّعاء لقضايا محتملة، أو جاءت رواية وقالت: باب من علامات الظهور هو هلاك بني العباس، وقد هلك بنو العبّاس في التاريخ، فلا معنى للقول بأنّنا إذا قلنا: إنّ مرحلة من مراحل التمهيد قد تحقّقت بهلاك بني العبّاس، وإنّ هذا الكلام من التوقيت المنهيّ عنه.

والقضيّة الأخرى الخارجة عن التوقيت المنهيّ عنه، هي عندما نتحدّث عن الأشياء ككليّات وكبريات أو كقضايا جزئيّة محتملة فهي لا تدخل ضمن مسألة التوقيت، وإنّما هي داخلة في الحديث عن المفاهيم والرؤى. وبالضبط فهي تكون من قبيل تلك الروايات التي تحدّث عنها أهل البيت عليهم السلام عندما ذكروا أنّ من علامات الظهور كذا وكذا، فلم يدخل مثل هذا الحديث تحت عنوان التوقيت المنهي عنه.

عود على بدء في مسألة الوحدة الزمنيّة بين الأحداث التأريخيّة العظمى الثلاثة فإنّ الأسلوب المتعارف في روايات علامات الظهور أنّها تستخدم في أكثرها طريقة الرمز أو اللغز للتمويه حفظًا للوضع الأمنيّ وفضحًا للادّعاءات الكاذبة المستقبليّة، وكان هذا الأسلوب قد استخدم في وقت حدوث هذه الأحداث الثلاثة حيث ذكرت هي الوحدة الزمنيّة وذلك لأنّ الأحداث الثلاثة إنّما هي حدث واحد بالأوّل منها، ثمّ يأتي الثاني، فالثالث.

وقد نصّت الروايات المتضافرة بطرق شيعيّة وسنيّة على أنّ أضخم الأحداث الثلاثة وأوّلها خروج الخراساني الذي يدعو للحقّ ويطلبه، وهو إنّما يخرج بقيام الخراسانيّين أهل الحقّ ويقيموا دولة الحقّ الممهّدة والموطئة للإمام المهديّ عجل الله فرجه، ثمّ تتبعها بمرور الزمن حوادث السفيانيّ وتليها حوادث الله عزّ وجلّ لظهور الإمام المهديّ في مكّة المكرمة زاد الله تعالى شرفها.

إنّ خروج الخراساني إنّما يكون بخروج الخراسانيّين. كما أنّ خروج الخراسانيّ هو العلامة الفارقة واللازمة للظهور ولذلك يمكن أن نصحّح مقولة أنّ هذه الحركة إنّما هي الجزء المتقدّم من نفس حركة الإمام المهديّ عجل الله فرجه.

وما لم يظهر الخراسانيّ فلا يمكن أن تظهر العلامتان الأخريتان، وذلك لاستحالة أن يظهر الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه بضعف، لأسباب؛ منها:

أولاً: أنّه لا يريد أن يستخدم محض القوانين الغيبيّة لتحقيق انتصاراته، وإن كان في الواقع يمارسها بأجلّ صورها وأقوى قدراتها، ولكنّه ومع ذلك يترك للظروف الأوليّة لبني الإنسان فرصة الاختيار بعد التمحيص والامتحان كما جرت سنّة الله عزّ وجلّ في خلقه ولن تجد لسنّة الله عزّ وجلّ تبديلًا ولن تجد لسنّة الله عزّ وجلّ تحويلًا.

ثانيًا: أنّه عجل الله فرجه الشريف لا يخرج ولا يقوم إلّا بعد أن تُحقّق لنهضته

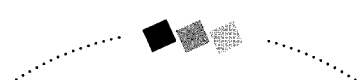

المباركة القوّة البشريّة والإعداد العسكريّ، ليستطيع أن ينتصر ويظفر بمراده حسب قانون الحرب بالإعداد لها، والذي نصّ عليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (1).

ثالثًا: أنّه لا تنفع الأعداد الغفيرة غير المنظمة؛ وإنّما تحتاج حركة ونهضة عظيمة بأعظم ما يعرفه التاريخ الإنسانيّ إلى وجود نظام عسكريّ تحت عنوان (الدولة) التي تمتلك الإمكانيّات الضخمة التي تستطيع أن تقف بقوّة أمام أعداء الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، وهذه الدولة هي دولة الخراسانيّ التي سوف تجابه مؤامرات السفيانيّ المهزوم كما سوف يأتي تفصيل أحداثه في الحلقة التي تحدّثت فيها عن السفيانيّ خذله الله تعالى.

سند الأخبار التي تحدثت عن الخراسانيّ

هناك الكثير من الروايات التي تحدّثت عن الخراسانيّ والخراسانيّين في طرق العامّة والخاصّة، إلّا أنّ الكمّ الكبير من الروايات الموجودة في كتب الشيعة، والتي تحدّثت عن أهل المشرق والأحداث والشخصيّات المتعلّقة بهم، مرجعها إلى المصادر السنيّة، وذلك لأنّها إمّا قد رُويت بنفس السند مع تغيير في بداية السند أو تكون مرسلة. كما قد وجدنا هذه الحقيقة في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي، والغيبة للشيخ النعماني،

(1) سورة الأنفال الآية 60.

كما هو موجود أيضًا في **كمال الدين** للصدوق رضوان الله تعالى عليهم. ويبدو لي أنّ هؤلاء العظماء قد نقلوا تلك الأخبار في نفس تلك المصادر السنيّة مباشرة مثل كتاب نعيم بن حماد المروزي، ولعل نقلهم لتلك الروايات جاء من باب المحاججة على الخصم فإنّ تلك الكتب الشريفة الثلاثة قد كتبها أصحابها ليحتجّوا بها على من خالف الإماميّة سلّمهم الله تعالى في مسألة إمامة الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف ، حينئذ فمن الطبيعي جدًا أن يستفيدوا منها تنفيذًا لقاعدة الإلزام التي رسمها وبيّنها أئمّة أهل البيت عليهم السلام عندما قالوا: «**ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم**»[1]. فهم يحتجّون عليهم بما ألزموا أنفسهم به وقيّدوه في كتبهم واحتجوا به عليهم لصحّته عندهم.

بل وقد وجدنا السيّد ابن طاووس رحمه الله، يذكر في مقدمة كتابه **الملاحم والفتن** أنّه ينقل ما فيه من الكتب السنيّة الثلاثة، ثمّ ينقل بعد ذلك أقوال أئمّتهم من أصحاب الجرح والتعديل في تعديل مؤلّفيها، ممّا يوضح لنا الحقيقة أكثر، بأنّه كان قدّس سرّه ليس بصدد الاحتجاج بتلك الروايات على الشيعة أو العمل بما جاء فيها، وإنّما كان رضوان الله تعالى عليه بصدد الاحتجاج على المخالفين.

ولذلك فقد توقفنا بالأخذ بما هو موجود في **كتاب الفتن** لنعيم بن حمّاد، أو غيره من كتب القوم، وإن كان قد روي في بعض كتبهم عن الإمام

(1) الحرّ العاملي، الفصول المهمّة في أصول الأئمّة (قم: مؤسّسة معارف إسلامي إمام رضا عليه السلام، الطبعة 1، 1418هـ)، الجزء 2، الصفحة 480.

أبي جعفر الباقر عليه السلام، والإمام الصادق عليه السلام ولكن بأسانيد مهما تكن فهي تُروى بسند عليل لا يُحتج به.

نعم ربّما استفدنا من بعضها في تأييد رواياتنا وبما تصلح أن تكون تلك الروايات التي نقلناها من كتبهم خصوصًا كتاب الفتن لنعيم بن حمّاد، شاهدًا، ولما هو موجود في كتب معتبرة، أو نحصل بواسطة القرائن المعينة على الوثوق باعتبار المعنى الذي هو موجود في الخبر، وهذه قضايا نادرة قد أشرنا إليها في مطاوي البحث، حتى أنّنا قد وقعنا أثناء البحث بمشكلة كتاب الملاحم والفتن وما نقله السيّد رحمه الله تعالى من التوثيقات في بداية كتابه، ممّا أصابنا بالإرباك في إحدى المرّات، فوقعنا بالتردّد لمعادلتين، أولهما: ضعف السند العامي، كما تقدّم بيانه. وثانيهما: احترامنا للرجالي المتفنن والمتخصّص المعروف بالسيّد ابن طاووس وهو من المؤسّسين لتصنيف الحديث عند الشيعة الإماميّة مع الرجاليّ المؤسس السيّد أحمد ابن طاووس والعلامة الحلّيّ قدّست أسرارهم الشريفة.

ولهذا أؤكّد في مقدّمة الكتاب، بأنّنا لا يمكننا أن نعتمد على الروايات العاميّة إلّا إذا رويت بأسانيد معتبرة في كتبهم، مع شرط أن يكون مؤلّف الكتاب الذي ينقل الرواية بالسند الذي فيه قد وثق بكتبنا، وإلا لا يمكننا أن نعتمد على تلك الأسانيد وإن كانت حسب الصناعة الرجاليّة تامّة، وانحصرت الوثائق في المؤلّف. مع أنّنا لا نرفض الرواية العاميّة بالمطلق فهذا يتناقض مع منهج سادتنا فقهاء الفرقة الحقّة، وإنّما المشكلة التي

عانينا منها: أنّ تلك الروايات العاميّة التي رويت في كتب العامّة، أو في كتب أصحابنا بأسانيد عاميّة قد ورد فيها المجاهيل في الأسانيد أو الضعاف، كما وجدنا في كثير من رجال تلك الأخبار أنّ التوثيقات محصورة بما هو موجود في كتبهم الرجاليّة، وهذا ما يلزم المصادرة باعتبار أنّ أصحاب تلك الكتب بحاجة إلى توثيق قبل قبول أقوالهم أو توثيقاتهم.

نعم قد لا نشدّد على أسانيد تلك الروايات المرويّة في كتبنا، حيث أنّه قد وقع من خلال أسانيدها رجال مجاهيل، فيمكن العمل بها ومعالجة مجهوليّة أولئك الرجال المجاهيل. إذا كان للمجهول رواية في الكتب الأربعة والأصول المعتبرة أو النافلة عن الأصول المعتبرة، لأنّ المقام مما يمكن أن يسمح بالنقل من تلك الكتب لمثل هذه الحالات، وقد وجدنا مشايخنا العظام من أركان الطائفة الحقّة، مثل الصدوق والطوسي: قد سلكوا هذا الطريق في كتبهم التي كتبوها في الغيبة.

هل الخراسانيّ موجود حاليًّا؟

قد ذكرنا في حلقات هذه السلسلة، أنّ منهج التطبيق فيه جوانب من الخلل، وفي بعض الأحيان فيه من الخطورة بردّة الفعل السلبيّة في حالة التطبيق، وبالخصوص ما نجده عند الكتّاب الذين كتبوا في علامات الظهور، والخطباء الذين يصوّرون للحاضرين في المجالس الحسينيّة، زاد الله تعالى شرفها، بأنّ ما يطرحونه من صورة عن قضيّة سمعوها أو قرأوها في علامات الظهور، قد تحقّقت أو سوف تتحقّق بشكل قطعيّ مع أنّها ما زالت لم ترتقِ إلى مرحلة الاحتمال، وربّما جاءت الصورة غير كاملة

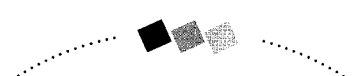

لأنّها نتجت من منهج خاطئ أو تطبيق خاطئ اعتمد على قرائن ناقصة، لا تصلح لحصول الاحتمال فضلًا من ارتقاء الاحتمال إلى مستوى عالي من القطع، فإنّ وجود اتّحاد بالاسم أو الصفة أمر شائع لا يقدم انطباق القضيّة المحكيّة، بل نجدها تتنافر من جهات متعدّدة أخرى فيما بينها.

ونؤكّد مرّة أخرى أنّنا قد لاحظنا هذه الحقيقة التي نعتقد بصحّتها؛ مَنْ المقصود بالرواية الفلانيّة؟ والشخص الفلانيّ؟ مع وجود تشابه كبير في كثير من الأحيان، يتجاوز مرحلة الظنّ النوعيّ ولكنّنا مع ذلك بقينا محافظين على المنهج الذي تبنّيناه في الابتعاد عن التشخيص لأنّ علمها عند الله عزّ وجلّ وحده لا شريك له.

وليس معنى هذا أيضًا هو نكران أو نفي الاحتمال، فيما لو تطابقت القرائن أو تولدّت الحالة القطعيّة كما تقدم الحديث في حلقة سابقة عن الموطئين، والتغيّرات العالميّة والأحداث الضخمة التي شهدنا بعضها وما زلنا نعيش في أتونها. لأنّ منهجنا ينصّ على رفض نسبة الاحتمال في التطبيق إلى المعصومين عليهم السلام على نحو يتجاوز الاحتمال، مع عدم تغيّر الاحتمال إلى مرحلة القطع وإنّما يبقى على حاله من كونه رجحان مرجوح.

ولكنّنا عندما نتتبّع الروايات المتواترة تواترًا معنويًّا في علامات آخر الزمان وفي أثناء الدور التمهيديّ للظهور؛ وجدنا أنّه يخرج قوم يمهّدون لدولة الإمام المهديّ عجل الله فرجه. وأنّ هذا الدور قد تجلّى بأبهى صوره وأجلى مظاهره، بحيث لا يمكن نكرانه لسبب التخوّف من الوضع بالخطأ

الطبيعيّ، وهذا النوع من التصرّف هو خطأ فادح أيضًا لا تقلّ خطورته عن سلوك الطريقة الأولى الخاطئة.

ولم نكن نؤمن بصحّة تلك الطرق الأولى الخاطئة من باب حجية القطع المذكورة في علم أصول الفقه، والتي نعبّر عنها اصطلاحًا بالقطع الطريقيّ وهو حصول الحالة النفسيّة العالية من الاطمئنان والتي لا تخلو من طرف ثالث رافض لها أو معارض، وإنّما نقصد هنا أنّ حصول القطع الموضوعيّ الرياضيّ في هذه المسألة، بما لا يحصل لأحد أن يتوقّف أو يناقش بها لأنّها أصبحت عند تجلّي مظاهرها، من قبيل البديهيّات المتكاملة الأطراف، والتي لا يمكن رفضها أو التشكيك بها.

فكوننا نعيش في مرحلة التمهيد من الظهور هو حقيقة موضوعيّة لا يمكن لمنصف أن يشكّك بها، حتّى أنّنا وجدنا الدوائر الاستخباريّة ترتّب الآثار الأمنيّة بسلوكها الصعب نتيجة اعتقادها بقضايا أصبحت بديهيّة عندها، وهذا موضوع مستقلّ قد بحثناه في مكان سابق. ونحن إذ نقطع فإنّ غيرنا يقطع، والكلّ يقطع بأنّ المرحلة التمهيديّة قد ابتدأت بانتصار الثورة الإسلاميّة التي قادها الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه سنة 1399 للهجرة على التقويم القمريّ. وليس معنى ذلك أيضًا تحقّق كلّ التفاصيل الأخرى وإنّما تبقى في طور الاحتمال أو أكثر من ذلك. وهكذا هو موضوع الخراسانيّ فإنّه ومع كونه من (المحتوم) الذي ذكر في إحدى الروايات الشريفة، فإنّه قد وقعت أحداثه في قيام حركة الخراسانيّين والأحداث التي تلت انتصاراته، ممّا لا يصعب لمنصف أن يقتنع بهذه

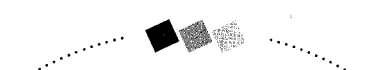

الحقيقة، ولكن ليس معنى هذا أن نتجاوز الخطوط العريضة وندّعي تحقّق الجزئيّات الأخرى لوقت الظهور، فهذه المسألة تختلف كليًّا عن الأولى لأنّها ليست جزءًا من ذلك القطع الموضوعيّ، مع أنّنا نؤكد أيضًا أنّ كلّ حدث لم يتحقّق فيه القطع الموضوعيّ الذاتيّ الرياضيّ الذي تحدثنا عنه، فهو خاضع لقانون الاحتمال ولا يتعدّى حدوده، وخاضع للقاعدة العلميّة التالية التي لا بدّ وأن نتعامل معها وبشكل جدّيّ، مع ما ورد من علامات الظهور، وهي:

إنّ جميع العلامات التي لم نعلم بتحقّقها، ونأمل بأنّها سوف تتحقّق، هي خاضعة لقانون البداء ومنها العلامات الحتميّة، وهو بالضبط ما تحدثنا عنه سابقًا في مسألة البداء، ويعني هذا أنّ الإمام المهديّ عجل الله فرجه قد يظهر في أيّ يوم وفي أيّ ساعة ولا يحتاج إلى فترة صبر وانتظار، لتحقّق أيّة علامة من تلك العلامات، لأنّها لا تشكّل جزءًا موضوعيًّا ذاتيًّا للظهور كما هو الحال بين طرفي العلّة والمعلول، بل إنّما ذكرها الأئمة عليهم السلام لأسباب موضوعيّة أشرنا إليها في الحلقات السابقة، وهي يمكن أن تقع ويمكن أن لا تقع.

نعم، عندما نجد العلامة قد ظهرت أمامنا بشكل جليّ وواضح، فحينئذٍ لا يمكننا نكرانها أو التوقّف بها، وإنّما سوف تدخل ضمن القضايا الرياضيّة المسلّمة.

وكذلك ليس معنى هذه القاعدة أن نترك طريق الاحتمال في تطبيق أو فهم العلامات، وإنّما المنهيّ عنه هو القطع والجزم بنسبة الشيء

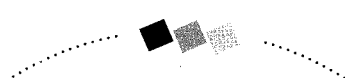

المحتمل إلى المعصوم عليه السلام، كما هو مقرّر في مسألة جواز الإسناد في مسائل علم أصول الفقه.

ويبقى باب الاحتمال مشروع، ولكن ليس لكلّ من هبّ ودبّ، بشكل صار أقرب للمأساة من البحث العلمي، وأوقع الخلل العلميّ في هاويات مهلكات واختلط الحابل بالنابل بين المضحك المبكيّ والزيغ والضلال والتيه.

فمع أنّ الطريق مفتوح للاحتمال، مفتوح بحدود المعقول الذي لا يتقاطع مع كليّات العقيدة والشريعة، فإنّه غير مسموح النسبة إلى النصّ إلّا ضمن دائرة قاعدة الاستنباط التي لا تتوفر لكلّ أحد إلّا الأوحديّ الألمعيّ كما هو متعارف عليه لدى أصحاب الاختصاص.

نعم يمكن للإنسان باعتباره محلّلًا سياسيًّا وقارئًا للساحة الجيوسياسيّة، ويخمّن أحداث المستقبل السياسيّة، ولكن هذا الشيء لا ربط ولا علاقة له بنسبته إلى المعصومين عليهم السلام لأنّه شيء آخر هو غير التحليل السياسيّ أو الحسابات التخمينيّة. كما أنّ النسبة إلى المعصومين عليهم السلام هو غير التحليل والتخمين، لأنّ النسبة إلى المعصومين شيء يتغاير مع ما نجده في فضائيّات التلفزة من وجود مدّعين يقرأون المستقبل ويتوقّعون أحداثًا تحصل فيه. مع أنّنا لا نملك الدليل الشرعيّ على منع مثل هذه الممارسة في التوقّعات لأحداث المستقبل، إلا إذا دخل تحت عناوين الكذب والسحر والشعوذة والشعبذة وما شاكلها، والبرهنة من خلال هذه الممارسات على ادّعاءات باطلة مثل الإمامة أو النبوّة أو غيرها.

ومن الطبيعيّ جدًّا التنبيه على وجود أشخاص يظهرون على شاشات التلفزة يقومون بمثل هذه الأعمال المحرّمة ويخدعون السذّج والبسطاء ويُلبسون عليهم. فالقضية تبقى بحدودها من الممنوع وعدم تعدية الحكم إلى أوسع دائرة منه، فلا تشمل الصور الفنيّة أو التمثيلات السياسيّة أو ما شابهها من القضايا التي لا تخلو من الممنوع والحرام.

فإنّ مجرد التنبّؤ بالمستقبل؛ سواء ملك الدليل عليه أو لم يملكه، غير ممنوع شرعًا ولا محرم إذا لم يلازمه شيء ممنوع ومحرم، كما هو الحال في ما نشاهده في بعض الحالات التي تظهر على شاشات التلفزة بوجود أشخاص متوقّعين، يتحدثون عن تخمينات ويتوقّعون حدوث قضايا مستقبليّة دون أيّ ارتباط بقضيّة أخرى ولازم آخر.

نعم قد يكون هناك مشكلة شرعيّة بأخذ الأجرة على مثل هذا العمل، إلّا إذا كان مع التراضي وإبراء الذمّة الحقيقيّة لا الادّعائيّة.

وضمن هذه القواعد العلميّة والشرعيّة، فسوف لا تكون أبحاثنا وتوقّعاتنا في هذا الكتاب إلّا ضمن الأصول الشرعيّة الصحيحة، وخالية من الدعاوى الباطلة أو النسبة التامّة إلى الشريعة، والأسس المقرّرة في مسائل العلوم الشرعيّة المتخصّصة. كما أنّي لا أزعم المعرفة بأكثر ممّا يؤدّي إليه الدليل الشرعيّ أو ظهور النصّ الشريف، وإنّما يعبّر هذا البحث الشريف عن محاولة لقراءة الروايات الشيعيّة التي قد تصلح لمعرفة الحاضر أو المستقبل القريب أو البعيد المتعلق بقضيّة الرجل الخراسانيّ الذي هو من العلامات الحتميّة للظهور. ويمكن أن أكون قد وُفِقت من

الاستفادة من الوسائل القانونيّة الشرعيّة لمعرفة الحقيقة، وأرجو من الله عزّ وجلّ العفو فيما لم أُوفق بهذا الجهد للوصول بسلامة إلى المقصد، ولا يكون هذا البحث أكثر من جهد متحدّث قد رأى بمخيّلته وروحه أشياءًا قد يصيب فيها وقد يخطئ.

علمًا أنّ العلوم التجريبيّة قد تطورت في القرنين الأخرين، وتجاوزت طريقة الرفض بالمطلق لجميع الأحاديث الغيبيّة واتّهامها بالخزعبلة والهرطقة والشعبذة، لأنّهم استطاعوا أن يوجدوا بعض طرق التواصل مع تلك العوالم ضمن الوسائل التكنولوجية الجديدة. وإن كانت نتائج هذه الجهود ما زالت مبكرة ولم تصل إلى مستوى السيطرة على استيعاب الجوانب المقصودة من نقاط الوجود الغيبي، إلا أنّه نشأت قواعد جديدة مصدّقة لبعض النتائج وموافقة للتصرّف إيجابيًّا مع المسائل الغيبيّة، وزعموا أنّ هناك قوى خفيّة في الطبيعة والإنسان يمكن فيما لو تمّ التعامل معها بطريقة سليمة الاستفادة من نتائجها والوصول إلى بعض نقاط الغيب. كما أنشأوا علومًا سمّوها بأسماء متعددة؛ منها: عالم التنويم المغناطيسي، وقراءة أفكار الآخرين، والباراسايكولوجيا (علم القوى الخفيّة)، وتحضير الأرواح؛ وما إلى ذلك ممّا يدخل بعضها داخل نطاق الجهود العلميّة التجريبيّة، وبعضها الآخر استفيد منها استفادة ماديّة حيث أصبحت أقرب للشعوذة والهرطقة وما إلى ذلك.

وربّما أقول، وبصراحة، إنّ هذا الجهد لم يأتِ من فراغ وإنّما جاء من صراع نفسيّ ومزاجيّ وصحيّ مع الورق والقلم قبل عدّة سنوات، وحصل

مانع من كتابته بالشكل المألوف من الكتابة، ممّا أعاقني عن كتابته، وبقيت رؤى وأحاديث شبه الممنهجة مع الأخ العزيز وولدنا الفاضل المهندس الأستاذ عمّار الدعمي حفظه الله تعالى. فتابع ملحًّا عليّ ولعدّة سنوات على تنزيل تلك الأفكار على الورق، وأنا أزداد تمنّعًا لأسباب صحيّة ونفسيّة، وظروف أمنيّة قاهرة. وكان لا يزداد إلّا إصرارًا، وقد بذل من جهده الكثير ومن وقته الثمين الأكثر، ليعمل على تسجيل حديثي، وكتابته، ومتابعة أمور تنضيده، وإليه يعود الفضل الكبير في خروج هذه الأبحاث إلى الوجود، ولولاه لبقيت كما هي، حال غيرها من الأبحاث الكثيرة المكتوبة والتي ما زالت تعيش في أماكن الإهمال، أسأل الله تعالى له التوفيق.

اللّهم كن لوليّك الحجّة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كلّ ساعة وليًّا وحافظًا وقائدًا وناصرًا ودليلًا وعينًا حتّى تسكنه أرضك طوعًا وتمتّعه فيها طويلًا.

ياسين الموسوي
مجاور الإمامين الكاظميين عليهما السلام
السيديّة- بغداد/ 1434 هجرية

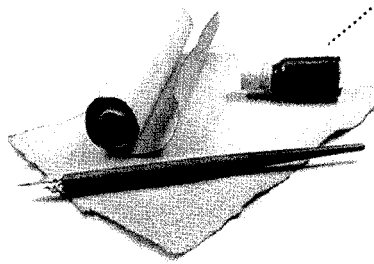

الفصل الأوّل:

الخراساني

المبحث الأول:

الخراساني
هويّته- صفاته

من الواضح أنّ الخراسانيّ رجلٌ يظهر ضمن الحركة الثوريّة في بلاد المشرق وليس هو نفس الظاهرة، أو رمز معبِّر عن هذه الظاهرة والثورة، بل هو بالفعل رجلٌ له هويته الخاصّة وبطاقته الشخصيّة التي يتميّز بها كإنسان عن أفراد المجتمع الآخرين الذين يمكن أن يشاركوه في هذه الحركة الثوريّة.

وقد وجدنا بتتبّع الروايات الشريفة المعتمدة والمعتبرة سندًا ومتنًا، والمرويّة عن أهل بيت العترة عليهم السلام، أنّ هناك صفات خاصّة يتميز بها هذا الثائر القائد.

ولكن هل لهذه العلامات والصفات مدخليّة في ذاتيّة الرجل، بحيث تكون من الأمور الضروريّة والحتميّة لوجودها فيه، أم أنّها سوف تدخل في مسألة البداء والتغيّر الالهيّ؟

لا إشكال أنّ البداء واردٌ في مثل هذه القضايا الجزئيّة بعدما وجدناه يتنفذ، أو يحكم في قضايا أكبر منها في نفس علامات الظهور الحتميّة من حدوثها، وعدم حدوثها ؛ ولكنّنا نفهم بشكل عامّ أنّ هذه العلامات

قد ذكرت في الأخبار الشريفة بلحاظ القضيّة الشرطيّة وهي: «**إذا لم يكن البداء فيها، فسوف يكون هذا الخراسانيّ بهذه الصفات. وأمّا إذا شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يكون الخراسانيّ غيره ولم تظهر هذه العلامات فليس من الحتميّ أن يكون ذلك الخراسانيّ فيه هذه العلامات**».

نفهم من هذه القاعدة أنّ المشكلة هي في البداء بعد التقدير، وما يتعلّق بمسألة اللوح المحفوظ من المحو والإثبات ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [1].

وهذه قضيّة أخفاها الله تعالى عن خلقه إلّا عن المعصومين عليهم السلام فإنّهم عالمون بالمحو والإثبات، وما في اللوح المحفوظ، وفي مكامن القضاء والقدر لإحاطتهم بما أعطاهم الله بعالَمَي الغيب والشهادة. فهم يعرفون عالم الغيب وقوانينه وعوالمه وأسراره، كما يعلمون بعالم الشهادة لأنّ العالمين عندهم عليهم السلام كما هو عند غيرهم في عالم الشهود، إلا ما أسره الله واختصّ به لنفسه والمعبّر عنه في الروايات وفي الفلسفة والعرفان بـ(الاسم المستأثر)؛ فإنه تعالى ربّنا لم يُطلع أحدًا من خلقه عليه واختصّ بالاسم المستأثر به، ولم يُطلع عليه أحدًا حتّى الأنبياء والرسل والأئمّة عليهم السلام.

ومن المعلوم أنّ موضوع هوية الخراساني ليست داخلة بالاسم المستأثر،

(1) سورة الرعد، الآية 39.

وإن كانت من الممكن أن تكون داخلة في المحو والإثبات والبداء. وعليه، فالأئمّة عليهم السلام حينما يتحدثون عن الخراساني ذو العلامات المحدّدة والمعيَّنة، فهم يتحدثون عن رجل معلوم في اللوح المحفوظ، يُمكن أن يكون هذا المعلوم ممّا يشمله المحو والإثبات. كما يمكن أن يكون هذا المعلوم ممّن شُخِّص في مقام الإثبات.

مع الأخذ بعين الاعتبار بهذه الملاحظة الدقيقة العلميّة والتي هي منْجرَّةٌ أيضًا على باقي شخصيّات الظهور؛ مثل اليمانيّ، والسفيانيّ، والحسنيّ، والحسينيّ، والهاشميّ، والنفس الزكيّة، وشعيب بن صالح، وغيرهم، فإنّنا أيضًا نتطلّع إلى تلك العلامات والصفات لهذا الخراسانيّ بما ورد في الروايات؛ فإن كانت في علم الله تعالى غير حتميّة، وقابلة للزيادة والنقصان ولكنّنا رأيناها متحقّقة في شخص الخراساني فإنّنا نعلم بأن الله لم يُبدِ في تلك العلامات والصفات بما خرج عنهم عليهم السلام.

وسوف نذكر أهمّ تلك العلامات والصفات التي رويت في الأخبار الشريفة على نحو الإيجاز.

الخراسانيّ الحسينيّ

هناك لغطٌ في بعض الكتابات حول نسب الخراسانيّ، ويبدو أنّ الجميع متّفقون أنّ الخراسانيّ من ذرية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بما يُعبّر عنه (سيّد)، وما يُعبر عنه في بلدان أُخرى بأنّه (شريف) من الأشراف المنسوبين إلى ذرية فاطمة وعليّ عليهما السلام.

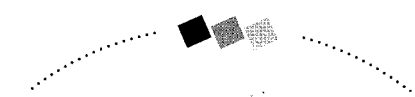

ولكن الخلاف قد وقع بينهم في أنّ هذا السيد هل هو (حسنيّ) النسب فيكون هو الحسنيّ الذي قد ورد في بعض الروايات، أم هو (الحسينيّ) فيكون هو شخص آخر غير الحسنيّ؟

وذهب بعض المؤلّفين والكتاب بأنَّ الحسني هو الخراسانيّ معتمدين على بعض النسخ من الروايات التي تحّدثت عن الرجل الجليل العلويّ الحسنيّ، الذي يظهر من بلاد خراسان. وسوف نأتي على هذا الموضوع في بحث مستقلّ عن شخصّية الحسنيّ الذي هو من علامات الظهور الواردة ضمن العلامات غير الحتميّة، مع[1] إنّنا نعتقد هنا جازمين أنّ الخراساني هو غير الحسنيّ. وأمّا الخراسانيّ الذي هو من علامات الظهور الحتميّة فقد أكّدت الروايات الشريفة على أنّه سيّدٌ حسينيّ؛ ومن المعلوم أنّ هذه الروايات التي تحدّثت عن نسب الحسينيّ أنّه حسنيّ لا تملك الشروط العلميّة التي ذكرها الفقهاء في علم الدراية والأصول في حجّيّة خبر الواحد، باعتبار أن أكثرها قد رويت بأسانيد عاميّة ضعيفة وفي كتب غير معتبرة عندنا، ولكن مجموعها بالإضافة إلى الروايات التي رويت بطرقنا بأسانيد لا تخلو من الاعتبار، أو أسانيد معُتبرة ينتج بمجموعها ما قد يمكن أن يعُتمد عليه في هذا الباب؛ خصوصًا أنّ الأمر منحصر بين الحسنيّ والحسينيّ. فإذا أثبتنا خروج الحسنيّ من مضامين الروايات الحاكية عن الخراساني، فيبقى لا محالة أن الحسيني هو المقصود منها.

(1) للمزيد من الاطلاع يراجع كتاب زمينه سازان. انقلاب جهاني مهدي عليه السلام تأليف سيّد أسد الله شهيدي الطبعة 1 1364 هـ. ش، الصفحة 427 وما بعدها.

وتفصيل الكلام سوف يأتي بالحديث عنه في هذه السلسلة إن شاء الله تعالى.

اسم الخراسانيّ

لم نجد رواية صريحة تتحدّث عن اسم هذا الرجل، ولكن تحدّثت بعض الروايات عن أسماء قادة الجيوش التي تتجمّع في النجف، في ظهر الكوفة، بعد معارك تخوضها ضدّ أعداء الدين ورموز الكفر والنفاق. فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**يدخل الكوفة -يعني الإمام المهدي عجل الله فرجه- وبها ثلاث رايات قد اضطربت فتصفو له، ويدخل حتى يأتي المنبر فيخطب فلا يدري الناس ما يقول من البكاء**»[1].

ويبدو أنّ من أهمّ تلك الرايات هي راية الخراسانيّ الذي يكون له دور كبير في هذه المنطقة الجديدة التي كانت تسمّى الكوفة. فقد روى الطوسي بإسناده عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان إلى الكوفة فإذا ظهر المهدي بعث له بالبيعة**»[2].

استفاد البعض من اسم (علي) الذي ورد في الرواية الآتية، من أنّ المقصود به شخص معروف كمرجع أو شبهه، اسمه كهذا الاسم، مستدلًّا على أنّ المنطقة التي يحدث فيها الحدث كلّهم من شيعة عليّ عليه السلام،

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، (بيروت: دار المفيد، الطبعة 2، 1414هـ/ 1993)، الجزء 2، الصفحة 380. كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 269.

(2) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة452 الفقره 457.

ومن المُستبعد جدًّا أن يكون المقصود من الرواية الآتية من كلمة (شيعة علي عليه السلام). ولهذا صرفه إلى شخص معاند للسفيانيّ ومحارب له، وقد يكون أحد المراجع المعاصرين أدام الله ظلّه، ونحن إذ نناقش هذا المنهج الخاطىء بعدّة ملاحظات:

الأولى: أنّ مثل هذا التحديد لا يزيد عن كونه احتمال وتوقّع وحدس وتخمين شخصيّ، وظنّ غير حجّة، فإنّه يُلزم الآخرين الاعتقاد بالتوقيت المنهيّ عنه في الروايات، وهو أنّ هذا الرجل العظيم، لن يبقى لظهور المهدي بعده إلا فترة يسيرة جدًا تتناسب مع عمره.

الثانية: أنّ ما قد يُفهم من رواية دخول السفيانيّ إلى الكوفة لم يثبت بطريق صحيح أبدًا، كما سوف نجده إن شاء الله تعالى في حديثنا المفصل عن السفيانيّ.

الثالثة: يفرضها الواقع الحقيقيّ للعمل الضدّيّ الذي يقوم به السفيانيّ، فهو عدوّ آل محمّد عليهم السلام، ويملك من البغض والعداوة لشيعة عليّ عليه السلام بحيث يحاول أن يتعقبهم وينشر الجواسيس عليهم. لذلك تجد الناس خوفًا من طغيانه يتمظهرون مظهرًا عقائديًّا غير ما يعتقدونه في ضمائرهم وهو أمر قد حدث سابقًا. وقد رأينا كيف أنّ بعض الناس ممّن ينتمون بالنسب إلى الشيعة، نسبة إلى الظروف القاسية التي عانوها من نظام صدام المقبور، قد تخلوا عن اعتقاداتهم ولو ظاهريًّا. حتّى أنّهم سموا أسماء أبناءهم بأسماء أعدائهم مروان وعمر بن سعد. وشاهدنا كيف أنّ بعضهم لا ينام بالليل ولا يرتاح بالنهار، ويتعقّب زوار الحسين عليه السلام،

ويمنعهم من الزيارة ويضربهم ويسجنهم ويمنع إطعامهم، الى آخره من السوءات التي سوّدت وجوههم في الدنيا والآخرة.

والحقّ أنّنا لو أردنا أن نحمّل كلمة شيعة عليّ اسم شخص غير أمير المؤمنين عليه السلام، لا بدّ أن يكون متصدّيًا عسكريًا بما يتناسب مع عسكرة السفيانيّ ليصدق الضدّ الواقع بينهما، كما هي مقتضيات مجريات الأحوال العامّة بين الشعوب والأمم والطغاة والصالحين، ليجد الطاغية الرغبة الشديدة لمتابعة شيعة عدوّه، وإلّا فإنّ مجرد العداء العقائديّ لا يستلزم أن ينصرف إلى أشخاص موجودين على الأرض، وإنّما هو منصرف إلى الإمام الأوّل الذي يبتدئ به الصراع بين المنهج العلويّ والمنهج السفيانيّ وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ومن أوضح الرايات الحاكمة في الكوفة هي راية الخراساني، ولربّما يُقال حينئذٍ أنّ المقصود من شيعة عليّ هو الخراسانيّ فيكون اسم الخراسانيّ عليّ.

ومّما روي في ذلك ما رواه المجلسي في بحار الأنوار عن صادق آل محمّد عليه السلام أنه قال: «**كأنّي بالسفيانيّ أو بصاحب السفيانيّ قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة فنادى مناديه: من جاء برأس شيعة عليّ فله ألف درهم، فيثب الجار على جاره ويقول: هذا منهم، فيضرب عنقه ويأخذ ألف درهم**»[1].

(1) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار (بيروت: مؤسّسة الوفاء، الطبعة2 المصحّحة، 1403هـ، 1983م)، الجزء 5 الصفحة 205 الحديث 36.

صفات الخراسانيّ

1 - الخال أو الخلل

اشتُهِر في الكتابات الأخيرة المتحدّثة عن الإمام المهدي بأنَّ في يد الخراساني خال. وكان مرجع هذه الرواية ما ورد في كتاب الفتن لأبي نعيم من الروايات المتعددة التي تحدّثت عن الخال الذي بيد الهاشمي الذي يُقاتل السفيانيّ. فقد روى بإسناده عن أبي رومان عن الإمام علي عليه السلام قال: «**يلتقي السفيانيّ والرايات السود فيهم شاب من بني هاشم في كفّه اليسرى خال**»[1].

كما جاء في رواية أخرى عبارة «**في كتفه اليسرى خال بدل (كفّه)**»[2].

جاء في أخبار أخرى أنّ الخال في كفّه اليمنى، كما رواه نعيم في كتابه **الفتن**، بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أي الإمام الباقر قال: «**يخرج شاب من بني هاشم في كفّه اليمنى خال، من خراسان برايات سود، بين يديه شعيب بن صالح يقاتل أصحاب السفيانيّ، فيهزمهم**»[3].

وروى بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال في حديث طويل جاء فيه: «**... عند ذلك تقبل الرايات السود من خراسان على جميع الناس... شاب من بني هاشم بكفّه اليمنى خال يسهل الله أمره وطريقه...**»[4].

---

(1) نعيم بن حمّاد، الفتن، تحقيق سهيل زكار (بيروت: دار الفكر، 1414هـ/ 1993م)، الصفحة 197. كما نقله المقدسيّ في كتابه عقد الدرر، الصفحة 127.

(2) الفتن، مصدر سابق، الصفحة190.

(3) المصدر نفسه، الصفحة 189.

(4) المصدر نفسه، الصفحة 192.

وجاء في كتب اللغة أنّ من معاني (الخال) هو (الخلل)، وإلّا فلا معنى لتسميه الشامة على اليد بالخال، وإنّما كان يتغزّل بها الشعراء إذا كانت على الخدّ كما ورد هذا المعنى في الروايات الشريفة التي تحدّثت عن الإمام المهديّ عندما وصفت جماله وبهائه.

ونلاحظ أنّ القضيّة لم تثبت بمصدر معتبر لدينا نحن الإماميّة ولكن يوضع ضمن دائرة الاحتمال كما نعمل مع سائر الأخبار التي وصلت إلينا بطرق غير معتبرة، كما أنَّ المسألة تدخل تحت عنوان المحو والإثبات فيما لو كانت قد صدرت هذه الصفة عن المعصوم.

وقد نظرنا في هذه الصفة فوجدنا أنّ المنقولات تختلف في موضع هذا الخال في جسم هذا الشخص، فمرّة يُقال أنّ الخال في كتفه، ومرّة في كفّه، كما تقدّم في الروايات السابقة التي نقلناها.

وقد راجعنا كتب اللغة في معنى الخال فوجدناها قد تحدّثت عن معاني من جملتها الخلل. وعليه، فإنّ هذا الرجل الخراسانيّ تكون يده مصابة بشلل أو خلل واضح ملفت للانتباه ممدوح فيه غير مذموم، لأنّه لو كان هذا الخلل من العيوب الطبيعيّة في خلقته لما احتاج إلى التأكيد عليه، فالعيوب عادةً نقيصة في الإنسان وإن كانت غير إراديّة، وكان من العيوب الطبيعيّة في الإنسان كالعور، فإنّه وإن كان عيبًا طبيعيًّا ولكنّه عادة يورث الانتقاص من صاحبه، وكذلك العطب في اليد فإنّه معيب لصاحبه، وعليه فإنّه ليس من المناسب لأهل البيت عليهم السلام أن يذكروا إنسانًا يعرفون عنه عاهة بدنيّة مصابًا بها.

وإنّما ذِكْرهم لمثل هذا الخلل ناتج عن التنبيه بأنّ هذا الخلل نشأ عند صاحبه لأسباب تعطيه مرتبة عُليا بين المؤمنين، كأن يكون مثلًا أصيب بهذا الخلل دفاعًا عن الحقّ ومذهب أهل البيت كما هو الحال في الصحابي الجليل مالك الأشتر رضي الله عنه، فإنّ شتر العين عاهة وعيب جسديّ يورث قباحة لصاحبه، ولكن شتر عين مالك كان قد أورثه جلالة له، وعظمة، لأنّ عينه قد شترت في سبيل الله تبارك وتعالى دفاعًا عن الحق وعن مبادىء الإسلام. ولهذا سوف يكون الخراسانيّ - لو صحّت رواية الخلل - قد أصيب بعاهة في يده تجعله في مقام الأسوة والقدوة للفخر والإعتزاز والجلالة والعظمة، لأنّه قد أصيب بما أصيب تضحية منه، وفداءًا للحقّ، والعدل الإلهيّ في خطّ أهل البيت عليهم السلام.

2 - الشباب (الفتوة)

روى أبو عبد الله نعيم بن حمّاد المروزي المتوفى سنة 229 هجريّة ثلاث روايات في كتاب الفتن وفيها ذُكر الخراساني بأنّه شاب.

الرواية الأولى: قال: حدّثنا سعيد أبو عثمان عن جابر عن أبي جعفر - يقصد الإمام الباقر عليه السلام - قال: «**يخرج شاب من بني هاشم، بكفه اليمنى خال، من خراسان برايات سود، بين يديه شعيب بن صالح، يقاتل أصحاب السفيانيّ فيهزمهم**»[1].

(1) الفتن، مصدر سابق، الصفحة 189.

الرواية الثانية: قال: حدّثنا الوليد، ورشدين عن ابن لهيعة عن أبي قبيل عن أبي رومان عن علي قال: «**تخرج رايات سود تقاتل السفيانيّ فيهم شاب من بني هاشم، في كتفه اليسرى خال، وعلى مقدمته رجل من بني تميم يدعى شعيب بن صالح فيهزم أصحابه**»[1].

الرواية الثالثة: ولعلّ الرواية الأولى جزء منها رواها عن سعيد أبو عثمان عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام جاء فيها كلام طويل إلى أن قال: «**وعند ذلك تقبل الرايات السود من خراسان، على جميع الناس شاب من بني هاشم بكفّه اليُمنى خال، يُسهل الله أمره وطريقه إلخ...**»[2].

ولم نجد في كتب الإماميّة وصف الخراسانيّ بالشاب الخراسانيّ. فهل يمكننا أن نعتمد على هذه النصوص المتقدّمة وندّعي حينها بأنّ من صفاته أن يكون شابًّا؟.

أمام الجواب في الواقع مشكلتان:

الأولى: هي مشكلة سنديّة من حيث كون الراوي هو نعيم المروزي، فلم نجد له توثيق في كتب رجالنا ولا ذكر، وأقل ما يُقال فيه مجهول، فالسند ساقط لا يمكن الاعتماد عليه. فضلًا عن الإشكالات السنديّة الأخرى في كثير من رجالات الأسانيد الثلاثة.

(1) المصدر نفسه، الصفحة 190.

(2) المصدر نفسه، الصفحة 192 -193.

الثانية: في دلالة الحديث الأخير، والذي استظهرنا أنّ الحديث الأوّل هو جزء منه، فإنّ مضامينه أشبه بحديث خرافة ومتعارضة مع الأحاديث المروية عن المعصومين عليهم السلام في كتبنا المعتبرة. وهذه المشكلة تجعلنا أمام صعوبة قبول ما تّفرد هو به. ويمكننا الأخذ منه بما توافق مع نصوصنا المعتبرة لا لحجيّة قوله، لأنّ قوله فاقد للحجيّة، وإنّما لموافقة قوله ونقله بما هو موجود في كتبنا المعتبرة والصحيحة.

ومهما يكن فلو افترضنا أنّ هذا الوصف قد ورد بسند مقبول فإنّه لا يدلّ بلفظه (شاب) على العمر الذي هو مقتبل حياة الإنسان كما ورد ذلك في وصف الإمام المهديّ عجل الله فرجه في بعض رواياتنا بأنّه شاب موفق، وكما روى الشيخ الطوسي في كتابه الغيبة بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**لو خرج القائم لقد أنكره الناس، يرجع إليهم شابًا موفقًا، فلا يلبث عليه إلا كلّ مؤمن أخذ الله ميثاقه في الذر الأول**[1].

وروى أيضًا: وروى في خبر آخر أنّ في صاحب الزمان عليه السلام شبهًا من يونس رجوعه من غيبته بشرخ الشباب[2].

ويقصد من شرخ الشباب، أول الشباب.

والرواية الأخرى رواها بإسناده عن جابر الجعفي قال: «**سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول سأل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن المهدي ما اسمه؟**

(1) الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 124 الفقرة 398.

(2) المصدر نفسه، الصفحة 421، الفقرة 399.

فقال: أمّا اسمه فإن حبيبي شهد (عهد خ.ل) إليّ أن لا أُحدث باسمه حتّى يبعثه الله.

قال: فأخبرني عن صفته.

قال: هو شاب، مربوع، حسن الوجه، حسن الشعر، يسيل شعره على منكبَيه، ونور وجهه يعلو سواد لحيته ورأسه، بأبي ابن خيرة الإماء[1].

وهناك روايات أخرى في هذا المعنى، وقد فُسِّرت كلمة شاب بعدّة معاني، منها ما ذكره الشيخ الطوسي: «**إنّه يظهر في صوره شاب من أبناء أربعين سنة أو ما جانسه، لا أنّه يكون عمره كذلك**»[2].

وقد تُفسَّر كلمة شاب بمعنى القوة والفّتوة والإصرار التي تكون هذه الصفات من ملازمات الشاب؛ فهو شاب في جلده، وقوّته، وصلابته وفتوّته، وإن لم يكن كذلك في عمره.كما نجد استخدام مثل هذه المعاني في كلمة شاب بين العراق متسالم عليها، ولم نجد من يعترض من العرب على الاستفادة من هذه الكلمة في تلك المعاني حتى كاد استخدامها على نحو الحقيقة لا على نحو المجاز.

ومن المعلوم أنّ كلمة الشاب مرادفة لكلمة الفتى كما ورد في الحديث الذي رواه الشيخ الطوسي في غيبته بالإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام. قال: «**إنّ وليّ الله يُعمِّر عمر إبراهيم الخليل، ويظهر في صورة فتًى**

(1) الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 470، رقم الفقرة 487.

(2) المصدر نفسه، الصفحة 419.

موفق ابن ثلاثين سنة»[1].

ولا يخفى أنّ في هذه الرواية وصف الإمام عليه السلام بأنّه: (فتًى موفق) هو نفس الوصف الذي ورد في الروايات السابقة أنّه (شاب موفق). معلوم أنّ كلمة فتى هي مرادفة لكلمة شاب، وقد جاءت في القرآن الكريم في وصف أهل الكهف بأنّهم ﴿فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾[2]، مع أنّ أعمارهم لا تقلّ عن الثلاثمئة سنة، فإنّ نومهم فقط أزيد من هذه السنين، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾[3]، فيكون عمرهم أكثر من هذا المقدار قطعًا.

إذن، لم يقصد بكلمة (الفتية) العمر المخصوص في مقتبل الحياة، وإنّما يُقصد فيه الفتوّة؛ وهكذا الأمر بالنسبة لحياة الإمام المهديّ فإنّ كلمة شاب، وهكذا يصح الأمر فيما لو صحت كلمة شاب عن الخراسانيّ، فإنّه يقصد به الفتوة.

وهذه صفة لا بدّ وأن يتمتع بها قادة التمهيد للمهديّ، لأنّ الفتوّة تقابل عدم المروءة كما ذكر ابن منظور في كتابه **لسان العرب**[4].

قال القتيبي: ليس الفتى بمعنى الشاب والحدث إنّما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال، يدلك على ذلك قول الشاعر، قال ابن هرمة قد يدرك

(1) المصدر نفسه، الصفحة 420، رقم الفقرة 397.

(2) سورة الكهف، الآية 13.

(3) سورة الكهف، الآية 25.

(4) لسان العرب لإبن منظور الجزء1، الصفحة 182.

قول الشاعر، ورداؤه خلق، وجيب قميصه مرقوع.

وقال الطريحي المتوفّي سنة 1085 في كتابه **مجمع البحرين** وهو يتكلّم عن أهل الكهف في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾: حكم الله لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة... إلى أن قال: وفي الحديث: (الفتى: المؤمن؛ إنّ أصحاب الكهف كانوا شيوخًا فسماهم الله تعالى فتية لإيمانهم...)[1]، والفتى أيضًا السخيّ الكريم. وفي الحديث تذاكرنا عند الصادق عليه السلام أمر الفتوة فقال: «**أتظنّون أنّ الفتوّة بالفسق والفجور؟ إنّما الفتوّة والمروءة طعام ونائل مبذول...**»، ثمّ قال الطريحي: قيل: هو ردٌ على ما كان يزعمه سفيان الثوريّ وغيره من فقهاء العامّة من أنّ التوبة بعد التفتّي والصبوة أبلغ وأحسن في باب التزهّد من الزهادة والكفّ عن المعصية رأسًا في بدء الأمر[2].

قال الطبرسي في تفسيره **مجمع البيان** وهو يتحدّث عن أهل الكهف: «**وحكم لهم سبحانه بالفتوّة لأنّ رأس الفتوّة الإيمان. وقيل: «الفتوّة بذل الندى، وترك الأذى، وترك الشكوى»**. عن مجاهد. وقيل: هي اجتناب المحارم، واستعمال المكارم»[3].

وقد روى الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام: أنّ الراوي قال: «**تذاكرنا أمر الفتوّة عنده فقال: أتظنون أنّ الفتوة بالفسق والفجور؟**

(1) مجمع البحرين، الصفحة 325.

(2) مجمع البحرين، الصفحة 325.

(3) الطبرسي، مجمع البيان، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، الطبعة 1، 1415هـ/ 1995)، الجزء 6، الصفحة 317.

إنّما المروءة والفتوّة طعام موضوع، ونائل مبذول، وبرّ معروف، وأذى مكفوف، وأمّا تلك فشطارة وفسق (والشطارة: من باب شرف يشرف - الإتصاف بالدهاء والخيانة) ثم قال: ما المروءة؟ قلنا، لانعلم. قال: المروءة والله أن يضع الرجل خوانه في فناء داره[1].

ولكنّنا تتبّعنا هذه الروايات وأقوال أهل اللغة فوجدناها تتحدث عن مصاديق الفتى والفتوّة بمعنى صفات الكمال التي يستحقّ أن يدعى بها مَنْ توفّرت له تلك الصفات الكماليّة، ولهذا نجد في الخبر الآخر: أنّ وصف الفتى قد نزل من الله العزيز القدير ليوصف به أمير المؤمنين عليه السلام. وبالخصوص عندما نجد في روايات متعددة أنّ الإنزال تم بواسطة أعظم ملائكة الله، وهو جبرائيل عليه السلام، حيث نقل أمر الله تبارك وتعالى إليه ليُخبر بلسان الحق تعالى أنّه يقول: «**لا فتى الاّ علي**».

ومنها ما رواه الصدوق بسند معتبر بل صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام جعفر بن محمّد عن أبيه، عن جدّه عليه السلام قال: «**إنّ أعرابيًا أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج إليه في رداء ممشق، فقال: يا محمد لقد خرجت إليّ كأنك فتًى، فقال صلى الله عليه وآله نعم يا أعرابيُّ أنا الفتى، ابن الفتى، أخو الفتى. فقال، يا محمد أمّا الفتى فنعم وكيف ابن الفتى وأخو الفتى؟ أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾**[2]، **فأنا ابن إبراهيم، وأمّا أخو الفتى فإنّ مناديًا نادى في السماء يوم أُحد (لاسيف**

(1) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء 67، الصفحة 5.

(2) سورة الأنبياء، الآية 60.

إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلا علي، فعلي أخي وأنا أخوه)[1].

وعليه، فإن صحّت رواية وصف الخراسانيّ بالشاب، فيُقصد به المعنى الآخر منه الذي تؤدّيه لفظة (الفتى) وهي الفتوّة بالإيمان والكمال والقوى الأخرى التي تدخل في معاني الرفعة الإنسانيّة من الكرم والشجاعة والسخاء والمروءة.

الخراساني المرتبط بآل العباس

وجدنا في الكتابات الأخيرة التي ظهرت مُتحدّثة عن الخراسانيّ أنّ هناك أكثر من خراسانيّ، وحاول بعض الأجلّاء أن يكتب عن الخراسانيّ الأوّل ويعتبره قد انقضى في التأريخ عند نشوء الدولة العبّاسيّة الأولى في زمن أبي العبّاس السفاح والدوانيقي. وذكروا أنّه أبو مسلم الخراسانيّ أو أنّه أبو سلمة الخلال الذي كانت ثورته قد ظهرت في خراسان ممهّدةً للدولة الهاشميّة من قبل أن يتسلّط العباسيّون على عرش الحكم.

كما قد ذكر العلامة المجلّسي رضوان الله عليه الخراساني الأوّل وحصره بين هذين الشخصين أي أبو مسلم الخراسانيّ، وأبو سلمة الخلال.

ويبقى الكلام في التاريخ المعاصر، هل يوجد أكثر من خراسانيّ ورد اسمه في الأخبار؟.

---

(1) الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، 1379 - 1338 هـ.ش)، الصفحة 119.

فُيقال: الخراسانيّ الأوّل؛ وهو إنسان فاسق مجرم، وإن رفع عنواني الصلاح والإيمان وهو بريء عنها البتة؛ عكس الخراسانيّ الثاني الإنسان المصلح، الفتى، والفتى المبدئيّ صاحب القيم، والقوّة المُمهّدة للإمام المهديّ. ثمّ يأتي السؤال الآخر هل هناك أكثر من خراسانيّ؟ أم أنّ هناك خراسانيّ واحد لا أكثر وهو الخراسانيّ الثاني نسبة إلى الخراسانيّ الأوّل الذي ظهر قبل الدولة العبّاسيّة وإنشائها؟

لا إشكال أنّ البحث في حقيقة الخراسانيّ الوارد ذكره في روايات كثيرة بطرق شيعيّة وسنّيّة، من الأحاديث التي تحتاج إلى تفصيل، ولا تتحمّله هذه الرسالة، وهو حديث طويل ومتنوّع في مجالاته المتعدّدة، لأنّنا نرى أنّ الروايات الواردة عن النبيّ والأئمّة تتحدّث تارة عن رجل خراسانيّ يكون له شأن في مستقبل التاريخ الإسلاميّ؛ وأخرى عن بني العبّاس، وعن دولتهم، وعن ولد العبّاس عمّ النبيّ والظلم الذي يوجدوه لأبناء عمّهم علي الذين هم ولد النبيّ. وهنالك من الروايات مَنْ تحدّثت عن دولة بني العبّاس المقترنة بالسفيانيّ، وهي الدولة الثانية بتفسير بعض الأفاضل لبني العبّاس لا تختلف عن الأولى إلّا بالتاريخ، وغيرها تحدّثت عن خراسانيّ يخرج في آخر الزمان ويمهّد للمهديّ سلطانه.

وقد وجدنا في بعض الروايات الشيعيّة والعاميّة ذكرًا لدولة بني العبّاس قبل خروج المهديّ، ومن جملة تلك الروايات ما تحدّث عنه ابن حّماد المروزي في كتابه **الفتن**[1] قال: «**حدّثنا الوليد بن مسلم عن أبي**

(1) الفتن، مصدر سابق، الصفحة171.

عبيدة المشجعي عن أبي أميّة الكلبيّ عن شيخ أدرك الجاهليّة، قد سقط حاجباه على عينيه، قال: «إذا اختلف أهل الرايات السود، افترقوا ثلاث فرق: فرقة تدعو لبني فاطمة، وفرقة تدعو لبني العباس وفرقة تدعو لأنفسها»[1].

ومن جملتها ما رواه النعمانيّ في غيبته عن أحمد بن محمّد بن سعيد وهو ابن عقدة قال: حدّثنا أبو عبد الله يحيى بن زكريا ابن شيبان قال: حدّثنا أبو سليمان يوسف بن كليب، قال: حدّثنا الحسن بن علي ابن أبي حمزة، عن سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه سمعه يقول: «**لا بدَّ أن يملك بنو العباس، فإذا ملكوا واختلفوا وتشقّق أمرهم خرج عليهم الخراسانيّ والسفيانيّ هذا من المشرق، وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفَرسَي رهان، هذا من ههنا وهذا من هنا حتى يكون هلاكهم على أيديهما، أمّا إنّهما لايُبقون منهم أحدًا أبدًا**»[2].

وربما تصلح هذه الرواية لتفسير عبارة (بني فلان) التي وردت في روايات أخرى غير مُصرح بمن هم لأسباب مختلفة، فمن تلك الروايات ما في غيبة النعماني عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال ضمن رواية طويلة: «**ثم قال عليه السلام: إذا اختلف بنو فلان فيما بينهم، فعند ذلك انتظروا الفرج، وليس فرجكم، إلا في اختلاف بني فلان، فإذا اختلفوا فتوقعوا**

(1) المصدر نفسه، الصفحة171.

(2) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 259، الباب 14، الحديث 18.

الصيحة في شهر رمضان وخروج القائم عليه السلام، إنّ الله يفعل ما يشاء، ولن يخرج القائم ولا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم، فإذا كان كذلك طمع الناس فيهم واختلف الكلمة، وخروج السفيانيّ»[1].

وقال: «**لا بدّ لبني فلان من أن يملكوا، فإن ملكوا، ثمّ قال، اختلفوا تفرّق ملكهم وتشتّت أمرهم حتّى يخرج عليهم الخراسانيّ والسفيانيّ، هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان هذا من هنا، وهذا من هنا، حتّى يكون هلاك بني فلان على أيديهما، أمّا إنّهم لا يبقون منهم أحدًا**»[2].

وقد وجدنا الحيرة عائمة على رؤوس من كتب في علامات الظهور لمعرفة من هو العبّاسي الثاني الذي تكون له صولة قبل السفيانيّ والخراساني؛ فكتب بعضهم (أنّ الأخبار وما شابهها أخبار عما سيقع في طيلة الزمان من الحوادث الكائنة، وليس المراد منها علامات ظهور القائم عليه السلام، وحيث أن تأليف الكتاب كان في أواسط خلافة بني العبّاس، وكان انقراض دولتهم بيد الخراساني في القرن السابع تعدّ كلها من المعجزات للأخبار بما سيكون، نظير ما نقله ابن الوردي عن ابن خلكان: أنّه قال في تاريخه: «**أنّ عليًّا - كرم الله وجهه - افتقد عبد الله بن العباس وقت صلاة الظهر، فقال لأصحابه: ما بال أبي العباس لم يحضر الظهر؟ فقالوا: ولد له مولود، فلما صلّى علي عليه السلام قال: «أمضوا بنا إليه»**، فأتاه

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 264.

(2) غيبة النعماني، الصفحة 255.

فهنّأه، فقال: شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب، ما سميته؟ فقال أو يجوز أن أسميه حتى تسمّه؟ فأمر به، فأُخرِج إليه، فأخذه وحنكه ودعا له ثم رده إليه، وقال: اليك أبا الأملاك قد سميته عليًّا وكنيته أبا الحسن، ودخل عليّ - هذا - يومًا على هشام بن عبد الملك ومعه ابنا إبنه: السفّاح والمنصور ابنا محمّد بن علي المذكور، فأوسع له على سريره وسأله عن حاجته، فقال ثلاثون ألف درهم عليَّ دين، فأمر بقضائها، قال له: وتستوحى بابني هذين خيرًا، ففعل فشكره وقال: وصلتك برحم. فلما ولي علي قال هشام لأصحابه: إنّ هذا الشيخ قد اختل وأسن وخلط فصار يقول؛ أنّ هذا الأمر سينتقل إلى ولده فسمعه عليّ فقال: أي والله ليكونن ذلك وليملكن هذان»[1].

وقال ابن الوردي: قال ابن واصل: أخبرني من أثق به أنّه وقف على كتاب عتيق فيه ما صورته: «**أن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بلغ خلفاء بني أمية عنه أنه يقول: أن الخلافة تصير إلى ولده، فأمر الأموي بعلي بن عبد الله، فحمل على جمل وطيف به وضرب وكان يقال عند جزيه هذا جزاء من يمتري ويقول: أن الخلافة في ولدي، ولاتزال فيهم حتى يأتيهم العلج من خراسان فينتزعها منهم فكان كما قال، والعلج المذكور هلاك. وهو الذي جاء من قبل المشرق.**

ثم قال والمراد بالكوفة - في الخبر - العراق وابتداء دولة بني العباس سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهي السنة التي بويع فيها السفاح بالخلافة، قتل فيها

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة (دار إحياء الكتب العربيّة، لا تاريخ)، الجزء 7، الصفحة 147.

مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية، وآخرها سنة ست وخمسين وستمائة، سنة استيلاء التتر وفيها قتل المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس[1].

ولكنّ آل العباس في مثل هذه الأخبار تتحدث عن الذين يعاصرون الخراساني والسفياني الذي يظهر في أخر الزمان، ولذلك وضعها مؤلف الكتاب لتلك الأخبار ضمن الباب 14 الذي هو في:

(ما جاء في العلامات التي تكون قبل قيام القائم عليه السلام ويدلّ على أنّ ظهوره يكون بعدها كما قال الأئمّة عليهم السلام.

ومهما يكن فإنّ آل العبّاس هنا لم يكونوا مرتبطين بالخراسانيّ الذي يخرج في آخر الزمان، وهو عكس ما كان عليه الحال في بداية الأمر عندما كانت دولة بني العبّاس مرتبطة بالخراسانيّ. فمن الواضح أنّ المقصود من الخراساني المرتبط بآل العباس هو الخراساني التاريخي الذي قد تحدّدت شخصيّته بأبي مسلم الخراساني؛ أمّا الخراساني الثاني فمن هو المقصود به؟ أيُقصد به الرجل الذي يظهر في طالقان، أو الرجل الذي في هرات، أو الرجل الذي يظهر في بلخ، أو غيرها من المناطق التي كانت زمن الأئمة عليهم السلام تسمى خراسان؟ أم أنّ المقصود بهؤلاء هو الخراسانيّ الأوّل الذي يظهر في آخر الزمان، وهو غير الخراسانيّ الثاني الذي يظهر في آخر الزمان؟ أم أن المقصود من الخراسانيّ الثاني الذي يظهر في حدود خراسان الجديدة؟.

(1) حاشية غيبة النعماني للمرحوم علي أكبر الغفاري الصفحة 259 -260.

يعني وبتعبير آخر؛ إنّ الروايات كانت ناظرة إلى خراسان بما هي محدّدة بحدودها المستقبليّة لما كان يعلمه المعصوم عليه السلام من أنّ الأرض الخراسانيّة سوف تتغير حدودها ومعالمها، فخراسان آخر الزمان هي غير خراسان التي كانت في زمن الأئمّة عليهم السلام. ولو ثبتت هذه القضية لتغيّر مجرى البحث ونتائجه بشكل طبيعيّ.

وهذا كلّه مرتبط بحلقات (كخرز السبحة) لا يمكن أن تلغي بعضها أو تهملها مع بقاء السبحة على حالها. لأنّ بعضها يتلاحق مع بعضها الآخر، لكونها تشكّل وحدة واحدة تسمّى السبحة. فإنّنا عندما نقرأ في الروايات آخر دول الظلم المناهضة والمحاربة بقسوة وعنف للشيعة والتشيع، تكون مثالاً للنظام العبّاسيّ؛ فهل يُقصد من هذا المثال والتمثيل الواقع النسبيّ الذي كان يتشدّق به بنو العبّاس في انتسابهم إلى جدّهم العبّاس عمّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ أم أنّ المقصود به الواقع السلوكيّ الذي سلكه بنو العبّاس مع الإمام عليّ عليه السلام، والسادة الأشراف من ذريّتهم الطاهرة، ومع الشيعة والتشيّع؟

العبّاسيّون الجدد

إذا سبرنا المنهج الشيعيّ بتعاطيه مع النُظُم التاريخيّة التي حكمت العالم الإسلاميّ وغيره، فستجد الروايات تعبّر عن جميع الحكومات العالميّة بعبارة (بني) فمثلاً عندما تتكلمّ عن الدولة الرومانيّة أو البزنطيّة فإنّها تعبّر عنهم بـ(بني الأصفر)، مع إنّنا نعلم بأنّ هذه الحكومات والدول كانت تتحكّم بطريقة تختلف كليًّا عن الطريقة التي حكمت بها بيوت بني

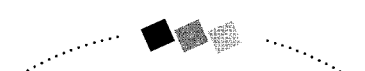

أميّة وبني العبّاس وبني بويه وبني حمدان وبني سلجوق، وغير ذلك فإن تلك الحكومات الغربية كانت تحكمها نظم ودساتير يُشارك الشعب والجمهور في إنشائها وقيامها، وكانت لهم طبقات عُليا تشارك في المجالس التي يتّخذ فيها القرار وإن كان يجلس على رأس الهرم الملك فإنّ سلطاته تبقى تحترم إرادة الشعب ويُشاركه فيها آخرون، ولم نجد دولة من تلك الدول الغربيّة بتعبيرنا الحاليّ سُمّيت باسم قبيلة أو جماعة أو شخص وحتى مصطلح (بني أصفر) فهو من جعْل وصياغة العرب، وليس هو من جعْل وإنشاء الدول الرومانيّة أو البيزنطيّة لتسمية نفسها به.

وعليه، لربّما تكون عبارة (بني فلان) و(العبّاسيّون الجدد) إنّما هو اصطلاح يتناسب مع الصياغة العربيّة في عصر الفتن، لتقريب الرؤية وما يتناسب مع العقل العربيّ آنذاك، ولا يعبر بالضرورة كون (بني فلان) (العبّاسيون الجدد) مَنْ ينتسبون حقيقة أو من حيث النسب إلى العبّاس عمّ النبي، وإنّما يمكن أن نعتبر نسبة هذا الانتساب من حيث الوضع السلوكي والسياسي الذي سلكه نظام بني العبّاس في إدارة الحكم في التعامل مع الشيعيّ والتشيّع. نحن نقطع بأنّ تلك الروايات التي ظهرت في هذا الأفق واحتجنا لتأويلها لم تتعرّض لبني العبّاس ولبني أميّة من جانبه الاقتصاديّ أو الزراعيّ أو تداول الثروة، أو الجوانب الاجتماعيّة الأخرى، وإنّما كانت تلك الروايات تحمل همّ طريقة ابتعاد هذه الدول عن الدين وعن شريعة سيد المرسلين وعن كيفيّة تعاملها العرفيّ والإرهابيّ مع شيعة أهل البيت عليهم السلام، ومحاربة العقيدة الشيعيّة بكلّ وسائل الإجرام والرهبة والعنف.

لذلك لو فرضنا أنّ بعض الخلفاء من بني العبّاس كانوا صالحين وتعاملوا بالحسنى مع الشيعة والتشيّع، فإنهم سوف يخرجون من دائرة القدح والذم بل يدخلون إلى خير، وإلى دائرة المدح والثناء. وكذلك هو الأمر بالنسبة إلى بني أميّة، فلقد وجدنا أنّ فقهاء الشيعة عندما يتعاملون مع النصّ الشريف المرويّ بزيارة الحسين عليه السلام يوم عاشوراء في قول الإمام الصادق عليه السلام (والعن بني أميّة قاطبة) فإنّهم كانوا يصرفون هذا العموم (قاطبة) عن الصالحين منهم، ويقولون: عدم شمول هذا النصّ للصالحين من بني أميّة، لأنّه لم يؤخذ العنوان النَسَبيّ وإنّما أُخذ فيها العنوان السلوكيّ في معاداة الحقّ وقتل أهل بيت النبوّة عليهم السلام.

وعليه، يمكننا أن نفهم من بني فلان هو الانتساب إليهم سلوكًا بغضّ النظر عن تفسير (فلان في النص) هل يُقصد به أُمية أم يقصد به العباس؟ فإنّ الإثنين كانا قد اتّفقا على السلوك العدواني والإرهابي والتقتيل، وتسابقوا فيما بينهم في أيٍّ منهم يكون أشد إجرامًا وقساوة، وفي ذلك قال شاعر أهل البيت عليهم السلام دعبل الخزاعي رضوان الله عليه:

والله ما فعلت أميّة مثلها معشار ما فعلت بنو العبّاس

إنّنا نقرأ الروايات التي تحدّثت عن الدولة العبّاسيّة الجديدة في مجال الذمّ والقدح. ولا تحكي تلك الروايات عن المجالات التاريخيّة المجرّدة عن الأحكام. ويفترض أن نفهم الجغرافيّة التي تحدّثت عنها تلك الروايات في قضيّة العبّاسيّين، وبني فلان من حيث وضعها التاريخيّ في الماضي ومستقبلها قبل الظهور؛ والفرق بينهما هو الفرق بين السماء والأرض.

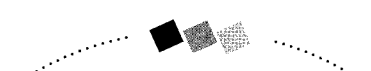

فقد وجدنا الروايات التي تحدّثت عن قيام دولة بني العبّاس الأولى والتي يقودها رجلٌ من خراسان تختلف كليًّا عن تلك الروايات التي تحدّثت عن حكومات ودول بني فلان التي تخرج في آخر الزمان تحت عنوان (رايات). والرايات كما هو معروف جمع وليس مفرد، والذي يحملها متعدّد، وليس واحد؛ بما يعني أنّ الحركة الأخيرة، وإن شاركت الحركة الأولى لكونها تخرج من خراسان، لكنها تختلف عنها بكونها ليست واحدة، وإنّما هي رايات متعددة فهي حركات متعددة، وإلّا لاشترط أن تكون متفقة فيما بينها، بل أن بعض الروايات تخرجها من طالقان (وهي أحد المناطق المعروفة في أفغانستان حاليًّا)؛ وعن الراية التي تخرج من هرات وهي من مقاطعات أفغانستان أيضًا. وعن الراية التي تخرج من بلخ، وإلى آخره من الأسماء فهي غير الرايات التي تخرج من خراسان التي هي حاليًّا مقاطعة تختلف عن المقاطعات الأخرى.

عندما نقرأ النصوص الشيعيّة والنصوص السنّيّة التي تحدثت عن آل العبّاس وعن الخراسانيّ الثاني وعن الرايات السود الموطئين للمهديّ سلطانه، الذين يخرجون من المشرق، فقد وجدنا اختلافًا كبيرًا بين الروايات الشيعيّة والسنّيّة مع أنّها جميعها تكلمت وتحّدثت عن أسماء وأماكن قد تتقارب بالألفاظ ولكنها تختلف فيما بينها بالرمزيّة، والتي تكمن بالعموم في غموض وإبهام تحيّر به الكُتّاب والمفكّرون.

ومن يُريد أن يتحدّث عن هذه المرحلة التاريخيّة من تاريخ البشريّة والمستقبل، فإنّه يجد تشابهًا كبيرًا بين الروايات الشيعيّة والسنّيّة،

لدرجة أنّه قد يخطئ فيتصورها واحدة لكثرة التقارب بينها، ولكن عندما يساق في تحليلاته يصطدم في فجوات توقّعه في مهاد غامضة غير مُفسّرة، لا يدري كيف يتخلص منها ممّا ينجبر أن يستخدم التفسيرات التبرعية؛ وبتعبير بعض الفقهاء (الجيبية)، حتى يمكنه أن يتخلّص من تلك المطبات والفراغات في البحث ليجمع بين هذه الروايات، لأنّه قد تصوّرها روايات واحدة.

وقبل أن أنساق بذكر المثال المتعلّق ببحثنا هذا فعليّ أن أوضح حقيقة لم يسبق إليها أحد من الكُتّاب، ولذلك فإنّي أعرضها أمام المحقّقين والفقهاء الأجلّاء أن يتأملوا فيها ويُناقشوها وهي:

أنّ الروايات التي تحدّثت عن أهل المشرق في آخر الزمان قد رُويت في طرق العامّة أكثر بكثير مما رُويت في طرق الخاصّة، ولكن فيها من حيث التفاصيل فرقٌ بين تلك التي جاءت بالطرق العامّيّة عن تلك التي جاءت من طريق أهل البيت عليهم السلام، وقد وجدتُ أنّ الذين كتبوا عن علامات الظهور تصوّروا وحدة هذه الروايات عند الفريقين وأنّها اختلفت في التفاصيل فقط.

كما وجدت أنّ أكثر أولئك قد ألّف أكثر من كتاب مستقلّ تحدّث فيه عن علائم ظهور الإمام المهديّ عجل الله فرجه، بما ورد في كتب العامّة وخصوصًا الفتن للمروزي والملاحم لابن المنادي، وتصوّروا أن الروايات التي وردت بالطريقين واحدة، ورتبوا على أثرها نتائج قد تكون صحيحة من حيث هي ولكنّها غير صحيحة بالنسبة إلى كونها نتيجة ناتجة عن تلك الروايات؛ لأنّ

روايات العامّة فيها حديث كثير وقد تحدّثت عن رايات هي غير الرايات التي تحدّثت عنها روايات الأئمة عليهم السلام ، كما أنّ الحديث في تلك الروايات العاميّة عن السفيانيّ تختلف إلى حدٍ ما في بعض تفاصيلها عن الروايات الشيعيّة التي تحدّثت عن السفيانيّ.

ولكن مع ذلك، فإنّنا يمكننا أن نأخذ قسمًا من تلك الروايات بما يتوافق مع روايات أهل البيت عليهم السلام ، وهذا أمر طبيعي باعتبار أنّ الحُجيّة جاءت من حُجّة روايات أهل البيت عليهم السلام فما وافقها يكون حُجّة بالمطابقة والموافقة، وأما المقاطع التي تختلف مع روايات أهل البيت فهي متروكة ومسلوبة الحُجيّة لا محالة ولا يمكننا الاعتماد عليها.

وأمّا القسم الثالث من الروايات، فهو فيما إذا لم تروَ عن طريق أهل البيت عليهم السلام ، ورويت هذه التفاصيل بطرق عاميّة، وبعضها مرويّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والبعض الآخر مُضمَرة لا ندري أنّها مرويّة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أو رواها ذلك الصحابيّ أو التابعيّ من كتاب أو سماعيّات أخرى. وهذه التفاصيل هي أكثر ما هو موجود من حديث عن الخراسانيّ وأهل خراسان، والشام والسفيانيّ، وأهل المشرق، وبني العبّاس، والتفاصيل الأخرى التي سوف تقع في آخر الزمان وقبل ظهور المهديّ عجل الله فرجه.

ونجد مثل الروايات العاميّة تتحدّث بشكل طبيعيّ عن قضايا مرويّة في كتبنا المُعتبرة وبأسانيد صحيحة بالمعنى الأعم، ولكنها في كتبنا تخلو عن كثير من تلك التفاصيل المذكورة بشكل واضح في كتب القوم، ممّا يوهم القارئ أنّ ما في كتبنا هو اختصار لتلك الروايات العاميّة، فلذلك وجدنا

مَنْ كَتَبَ في علامات الظهور كأنّما وجد ضالته في روايات العامة ليفسّر بها أحداثًا ذكرت في تلك الروايات العاميّة فيتصور أنّها المقصودة، متغافلًا أو غافلًا عن ضعف السند، وكون أن المؤلف كان معروفًا بالوضع كما هو منصوص عليه في كتب رجال العامة. كما أن بعض تلك المرويات لم تُروَ عن النبي ﷺ وإنّما رويت عن بعض الأصحاب أو التابعين دون أن تُنسب للنبي ﷺ.

ولعمري إنّ هذه المشكلة التي وقع بها أولئك الكُتّاب لا مخرج منها إلّا بقبول المقدار الأوّل وهو المقدار الموافق منها لكتبنا المُعتبرة، وأما القسم الثالث منها فلا نستطيع الأخذ به لأنّه يبدو لي أنّه مأخوذ من كتب اليهود والنصارى والكهان، وحينئذٍ فهو بالإضافة لعدم اعتبار تلك الكتب فإنها معروفة بأنّها قد وضعت على أُسس أُريد منها محاربة الأديان الربانيّة الصحيحة، والمعبّر عنها في القرآن الكريم بعنوان ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [1]، فلذلك لا نستطيع أن نضع تلك المرويات تحت عنوان الاحتمال، إلّا إذا انضمّت إليها قرائن أخرى تصلح للاطمئنان بعدم وضع هذه التفاصيل من قبل الرواة أو التفاصيل التي نقل عنها أولئك الرواة.

وهنا بيت القصيد وهو: أنّ هذه المرويات في كتب القوم لا يمكن النقل عنها مباشرة أو بواسطة، إلّا إذا حصلت عندنا قرائن يثبت من خلالها أنّ هذه الروايات سالمة من الوضع. ممّا يعني أنّ الأصل في تلك الروايات هو الوضع.

(1) سورة النساء، الآية 46.

ولازم هذه الحقيقة أو النتيجة هو ترك تلك التفاصيل وعدم الأخذ بها حتّى على نحو الاحتمال.

ويظهر لي أنّ أصحابنا الأقدمين من العلماء والمحدّثين قدّس الله أسرارهم أجمعين كانوا ملتفتين إلى هذه القضيّة، ولذلك نزّهوا كتبهم من تلك المرويّات ولم يذكروا منها إلّا ما وجد -عند المؤلّف منهم- من القرائن التي اطمأنّ بها إلى عدم كون ذلك الخبر من الموضوعات ممّا يجعلها داخلة تحت نسبة صحّة الاحتمال.

ولكن هل يُمكن أن نقول في هذا المرويات إنّه يمكننا نقلها للعمل بها على نحو الاحتمال، ويكون العمل بها كالعمل بقول الكهّان والمتنبئين أصحاب الفأل عن المستقبل؟

يمكننا أن نقول بعدم إمكان صحّة التعامل مع تلك المرويات، وذلك لأنّ هذه المرويات يزعم أصحابها بأنّها مرويات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعن المصدر الثاني لدين الإسلام عندهم وهم الصحابة والتابعين، فهي إذن من الدين.

وقد ثبت في قواعد علم الحديث بأنّ الحديث الموضوع لا يمكن العمل به، أو حتى روايته إلّا لأجل نقضه وإظهار كذبه وزيفه، عكس الخبر الضعيف المروي بأسانيد لا تخلو من إشكال علميّ فإنّه يجوز روايته ويجوز العمل به في بعض الأحيان.

وثبت في قواعد علم الحديث أنّ الخبر الموضوع هو غير الخبر

الضعيف قطعًا، فالأول متروك جملة وتفصيلًا، والثاني متروك. إذا لم نجد سبيلًا أو طريقًا علميًّا قد جوّز علماء الحديث والرجال وأصول الفقه والفقهاء العمل به. فإذا كان هناك طريق صحيح ثابت علميًّا حينئذٍ يجوز العمل بالحديث الضعيف المعين ولا يترك هذا الخبر الضعيف، وإنّما يعمل به، كما هو ثابت في القواعد العامّة والخاصة في العلوم الدينيّة.

وبتطبيق هذه القاعدة التي أسّسناها هنا يظهر لنا أن روايات القوم عن الخراسانيّ هي في كثير منها تتحدث عن خراسانيّ آخر، هو غير الموجود في كتبنا، وهو الخراساني الذي يخرج من منطقة (ما وراء النهر). وإن رووا هذه القضية عن الإمام الباقر عليه السلام كما في كتاب الفتن للمروزي[1] ويُنسبه إلى السفيانيّ الذي هو في الشام وهذا الخراسانيّ فيمن (وراء النهر) هو امتداد للسفياني؛ ويُذكر هناك أنه تقع وقعة في آخر الزمان بعد ظهور السفيانيّ، بين هذا الخراساني الذي هو امتداد للسفيانيّ وبين أهل المشرق الذين هم أصحاب الرايات السود، وأصحاب الخراساني الموجود في رواياتنا، ولكنني لا أطمئن إلى شيء من تلك التفاصيل المتحدّثة عن الخراساني الأول والخراساني الثاني المعاصر له، لأنّها أشبه بقصص التوراة الموجودة بيننا، وأشبه بأساليب القصاص الذين يتحدثون عن حوادث آخر الزمان؛ ويظهر لي أن أولئك الكتّاب والمؤلفين قد جمعوا بين روايات رووها عن النبيّ وأهل بيته، وبين ما وجدوه في كتب اليهود والنصارى من أحداث آخر الزمان، وبين زيادات ابتدعوها رضًا

(1) الفتن للمروزي، الصفحة 192.

للسلطان، وبين زيادات ابتدعوها من توقعاتهم التي تنبأوا بها أو تنبأ بها آخرون غيرهم، ولكنهم نسبوها للنبي أو أهل بيته لأجل إسكات من لا يوافقهم الرأي، أو إقناع ضعفاء الناس من الأمّة الذين لم يدرسوا علوم الدين والرواية.

بني العباس في رواية الظهور

وأمّا ما يُقصد به من بني العباس في هذه الرواية، فهم بنو العباس الذين سوف يرجعون بحكمهم في العصر التمهيدي للظهور كما نطقت به جملة من الروايات الشريفة عندما تحدّثت به علامات الظهور، وذكرت هلاك بني العباس، ومن جملتها ما في الغيبة للنعماني بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال بعد أن سأله الراوي محمّد بن الصامت، وقال: له ما من علامة بين يدي هذا الأمر؟ قلت: وما هي؟ قال: هلاك العباسي، وخروج السفيانيّ، وقتل النفس الزكية، والخسف في البيداء، والصوت من السماء[1].

إنّ هذا العباسيّ هو غير العباسيّين الذين يأتون بدولتهم وسلطانهم في فترة متقدّمة عنهم طويلة؛ وهذا العباسي سُميّ بالمفرد بينما تحدّثت الرواية عن دولة بني العبّاس بالجمع فكانت تسميهم بدولة بني العبّاس ودولة بني فلان.

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 262، الحديث 21.

وقد حاول أن يُفسّره البعض لهذه الروايات بأنّها تحدّثت عن علامة للظهور متقدّمة عن الظهور، ونحن نعلم بأنّ الروايات التي وردت في نهاية بني العبّاس اختلفت فيما بينها بالصيغ ممّا يولد قناعة أنّ هناك أكثر من عبّاسي قد تحدّثت عنه تلك الروايات. وأنّ عبّاسيّ آخر الزمان هو غير العبّاسيين الذين عاصرهم الإمام الصادق عليه السلام؛ وعلى كلّ حال فإنّنا بين أمرين: إمّا أن نقول: إنّ السفيانيّ الذي يظهر في آخر الزمان سوف يُعاصر العباسيّين الأوائل الذين يُفترض أن تكون نهاية دولتهم مُعاصرة لحركة السفيانيّ الذي يسبق ظهور الإمام المهديّ بما يُقارب السنة والنصف كما دلت عليه الروايات الشريفة، وقد نصّت أيضًا أن هذا السفيانيّ من الحتم؛ ومع عدم تحقق ظهور السفيانيّ مع اختلاف بني العبّاس فليس أمامنا إلّا قبول التصوّر التالي وهو:

أنّ هلاك آل العبّاس والعبّاسيين الذي يصاحب السفيانيّ هو غير انتهاء دولتهم العبّاسيّة الأولى على يد المغول .كما أشير إليه ببعض الروايات التي تحدّثت عن الغيبيات التي أخبر الأئمّة عليهم السلام أنّ هلاك بني العبّاس ودولتهم على يد هولاكو المغولي وقصّة السادة آل طاووس ووالد العلّامة الحلّي مع هولاكو في هذه النبوءة التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام معروفة، فسوف ينتج لدينا أنّ أغلب الروايات التي تحدّثت عن علامات الظهور وذُكر فيها العبّاسيّ وبني العبّاس تُفيد أنّ المقصود منهم أولئك الذين يؤسّسون دولتهم قبل خروج الخراسانيّ والسفيانيّ عليهم فيكون هلاك العبّاسيين على أيدي الخراسانيّين والسفيانيّين.

ولم يكن هذا المختار من الرأي اختيارًا ذوقيًّا مزاجيًّا، وإنّما مُبتني على دليل، أنّه لا يمكن أن تكون بتلك الكمية الكبيرة من الروايات الناصّة على أنّ العبّاسيّ أو بني العبّاس ملازمة وقتًا لظهور الإمام المهديّ كلّها يُقصد بها دولة بني العبّاس المنقضية والمتهدّمة قبل ثمانمئة سنة وأكثر، وحتّى الآن لم يظهر شيء من العلامات المحتومة فضلًا عن ظهوره عجل الله فرجه الشريف، مع أنّ الروايات كانت في سياق ذكر العلامات الحتميّة مثل السفيانيّ والخراسانيّ.

أمّا تأويل البعض وتخريج القضيّة بأنّ هذه من العلامات البعيدة فإنّ لهذه الفرضيّة مناقشة كبرى وصغرى:

أمّا الكبرى فنقول: إنّ المذكور في سياق الأخبار التي سمّوها بالعلامات المتقدّمة تاريخيًّا فهي في الواقع لم تكن من علامات الظهور وإنّما هي إخبار عن الغيب ومستقبل الأحداث، وقد يكون في ضمنها ما يذكر من علامات الظهور باعتبارها من حديث الغيب عن المستقبل، ويدخل ضمن الدلائل على إمامة الأئمة عليهم السلام ومعاجزهم. وهذا شيء يختلف كليًّا عن موضوع الحديث عن علامات الظهور.

وأمّا صغرويًّا فهو مناقشة قضيّة أنّ تلك الأخبار تتحدّث عن بني العباس الذين حكموا قبل أكثر من ألف سنة، وقد عاصر بعضهم الإمام الصادق، والإمام الباقر عليهما السلام، فهذا كما يقال عادةً في طريقة الاستدلال: أوّل الكلام؛ فمن قال أنّ المقصود ببني العبّاس في آخر الزمان هم بنو العبّاس الذين عاصروا الأئمّة عليهم السلام وليسوا هم بنو العبّاس الذين سوف

يأتون في آخر الزمان.

إنّ افتراض أنّ بني العبّاس ليس لهم إلّا سلطة واحدة في الزمان المتقدّم هو افتراض مزاجيّ وكيفيّ قد ينشأ من إصرار البعض على تصوّر أنّ بني العبّاس يحكمون مرّة واحدة، بينما نجد أنّ افتراض حكم بني العبّاس لأكثر من مرّة في التاريخ لا يمانعه المنطق والعقل، فهو ممكن بحسب العادة كما حدث لبني أميّة الذين حكموا في الأندلس بعد نهاية حكمهم في الشام عندما قضى عليهم العبّاسيون الأوائل، وهكذا سوف نجد بني أميّة سوف يعودون في الحكم آخر الزمان فيحكمون بقيادة السفيانيّ، وهذا ما يتناسب بين مقدم الزمان وآخر الزمان عندما نجد الروايات تعبر عن هذه الحوادث المتكررة بـ (عودة الفلك) وما شابهها من تعابير بما تعطي معنى عودة الزمن ودورانه بما يشابه التاريخ الأول. ممّا يعني أنّ لبني العباس دولتَين إحداهما قد انقضت والأخرى سوف تأتي بمرحلة قبل السفيانيّ وتعاصر فيها الخراسانيّ، وقد ذُكِرت في الأخبار أنّ حكومة دولة بني العبّاس الثانية تكون في مواقع محدّدة وليست هي الجغرافيا التي كانت في زمن دولتهم الأولى.

ولتوضيح معالم دولة بني العباس فإنّ من جملة ما ورد في هذه الدولة ما رواه النعماني في كتابه الغيبة بإسناده عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**لا بدّ لبني فلان أن يملكوا فإذا ملكوا ثمّ اختلفوا تفرّق ملكهم وتشتّت أمرهم حتّى يخرج عليهم السفيانيّ والخراسانيّ**»[1].

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 255، الباب 14، الحديث 13.

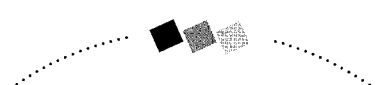

ويبدو أنّ في هذه الفترة يوجد أكثر (من بني فلان). ومع ذلك، فإنّ ما ورد في هذه الرواية في (بني فلان) يقصد به هؤلاء الذين يقومون بالدولة في مناطق السفيانيّ ومناطق نفوذه. وقد ورد كلام للإمام الباقر عليه السلام يقول: «**إذا اختلف بنو فلان فيما بينهم فعند ذلك انتظروا الفرج وليس فرجكم إلّا اختلاف بني فلان فإذا اختلفوا فتوقّعوا الصيحة في شهر رمضان وخروج القائم عليه السلام إن الله يفعل ما يشاء ولن يخرج القائم ولا ترون ما تحبّون حتّى يختلف بني فلان فيما بينهم فإذا كان ذلك (ذلك نسخة بدل) طمع الناس فيهم واختلفت الكلمة وخرج السفيانيّ**»[1].

بغضّ النظر حاليًّا - ونحن في هذا المكان من البحث - عن وجود أكثر من بني فلان وهو عندنا من المسلّمات؛ ولكن بني فلان في هذه الرواية كلّهم واحد. ويبدو أنّ هذا الموضوع تكملة لما سبق وبيّنّا أنّ دولة بني العباس لا يُقصد بها أنّ ظهورها تكون على النحو الذي ما قد ظهرت عليه سابقًا في أول التاريخ نجد أنّ العبارة قد سيقت في هذه وما شاكلها من الأخبار بصيغ متنوّعة وأحداث تحوي المفاجآت ممّا يشبه الإلفات البلاغي. وهناك نص آخر في هذه الرواية للإمام الباقر عليه السلام قال الراوي: ثم قال لي عليه السلام: «**إنّ ذهاب ملك بني فلان كقطع الفخار، وكرجل في يده فخارة وهو يمشي إذا سقطت من يده وهو ساه عنها فانكسرت؛ فقال حين سقطت هاه. شبه الفزع. فذهاب ملكهم هكذا أغفل ما كانوا عن ذهابه**»[2].

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 264.

(2) المصدر نفسه.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة: «**إنّ الله عزّ وجلّ ذكره قدَّر فيما قدَّر منه أنه يأخذ بني أمية بالسيف جهرةً، وأنّه يأخذ بني فلان بغتة**»[1].

وقال عليه السلام:

«**لا بدّ من رحى تطحن، فإذا قامت على قطبها، وثبتت على ساقها بعث الله عليها عبدًا عنيفًا خاملًا أصله، يكون النصر معه، أصحابه الطويلة شعورهم، أصحاب السبال (جمع السبلة وهي ما على الشارب من الشعر)، سود ثيابهم، أصحاب رايات سود، ويل لمن ناواهم، يقتلونهم هرجًا، والله لكأنّي أنظر إليهم وإلى أفعالهم وما يلقى الفجّار منهم والأعراب الجفاة يسلطهم الله عليهم بلا رحمة، فيقتلونهم هرجًا على مدينتهم بشاطئ الفرات البرية والبحرية، جزاء بما عملوا، وما ربك بظلّام للعبيد**»[2].

وفي هذه الرواية كلمة بني فلان قد أخذت أشكالًا متلوّنة من الأحداث، فهي في الوقت الذي تتغيّر في مواقعها تتحرك بصورة وأخرى بأهداف واحدة سوف تؤدي إلى نتيجة واحدة؛ فإنّ بني فلان لا بدّ أن يملكوا ويكون ملكهم ذلك كبير وقويّ، ولا يكتفي أن يخرج عليهم الخراسانيّ أو السفيانيّ بل لا بدّ أن يخرج عليهما الإثنان.

(1) المصدر نفسه.

(2) المصدر نفسه، الصفحة 265.

وسوف تحصل أحداث مهمّة تجري ضمن مخطّطات هذا الملك لبني فلان بحيث يقول عليه السلام: «**لا بدّ من رحًى تطحن**». ومن المعلوم أنّ هذه الرحى هي الحركة اللولبيّة العظيمة التي تكون طاحنة بأحداثها الضخمة وهي لا تخلو من أحداث سياسيّة وعسكريّة وأمنيّة مجتمعة أو متفرّقة. فهي أوّلًا: أحداث دولة وملك؛ ومن لوازم الدولة والملك الحركة السياسيّة لما توجده في الحركة الدوليّة والإقليميّة والمحليّة كما تشمل هذه الحركة الأحداث الأمنيّة والعسكريّة لأنّها «**رحى تطحن**» ممّا يعني أنّ هذا الملك سوف يعاني في نهاية سلطنته من أحداث يقصر عنها الكلام في الغيب ولا يدركها حُضّار الشهود ويصعب على الجميع استيعاب تفاصيلها سواءً حضروا أم غابوا، لذلك تكلّم الإمام بلغة الرمز والإشارة وبألفات بلاغية تُبين فجوات الأحداث السرية التي تكمن وراء أحداث علنيّة قد تكون صعبة وقد تكون سهلة ولكنّها ليست كلّ الحقيقة، وإنّما بعض الحقيقة وتبقى الحقيقة بما هي حقيقة معلومة عند المعصومين عليهم السلام.

والتواصل معهم يحصل من خلال سلطات مخفيّة عن باقي الناس لتلابسها وتداخلها، ومع ذلك فإنّ كلّ هذه الأحداث تُعبِّر عن حقيقة واحدة باطنًا، وهي ما ورد في الأخبار الشريفة في أنّها حكم بني العباس، وإن كانت أحاديث لأسماء مختلفة. ويوجد امتداد لهذا الحكم وأصوله بدءًا من (نجْد) وصولًا إلى المشرق (بلاد ما وراء النهر) وما يعبر عنه حاليًّا بأفغانستان وبلوشستان في باكستان، وهو بناء يتبع ولا يتبع لبني فلان، فهو في حقيقته من بني فلان ولكنّه في نفس الوقت له حركته وخططه المختلفة

مع حركة وخطط بني فلان، ولا يرون أن بينهما تناقضًا لأنهم يتحركون برحًى طاحنة وإن تناقضوا ظاهرًا فيما بينهم. وهكذا نجد امتداد بني فلان أي مناطق ملك بني العبّاس التاريخيّة وهي المناطق التي تقع في معارك نفوذ الخراسانيّ ثمّ بعده السفيانيّ، حيث تنشأ هناك الدولة التي تمتد على مناطق نفوذ يتصارع عليها الخراسانيّ كما السفيانيّ.

الفرج في اختلاف بني فلان

بعد أن وصلنا لهذا المقدار من الحديث، لا بدّ أن نعرف أنّ هذه الدولة التي تُصنع على آثار بني العبّاس سوف تكون غامضة المعالم، والأهداف، والانتماءات، وقد ذكرتها الروايات الشريفة بشكل غامض، مرة تحدثت عن دولة بني العبّاس على أنّها واحدة في آخر الزمان، وأخرى أنّها أكثر من دولة قبل اختلاف أصحابها وبعد اختلافها؛ وهذا الإرباك لم ينشأ من عدم الوضوح عند المتحدّث عليه السلام، أو عدم استيعابها من الرواة عندما نقلوا تلك الأحداث، وإنّما منشأه ما سيقع على الأرض من التناقضات التي يجعلها بهذا المستوى من الغموض، فهي بغموضها هذا تشكّل نقطة القوّة في بقائها واستدامة وجودها بحيث يصعب على الدول الأخرى القضاء عليها بسهولة، فهي كالأميبا والأخطبوط تتشكّل بتشكّل الظروف، فتتجمع مرّة، وتنتشر مرّات، وليس بينها اشتراك بوحدة الهيكل كبناء الدولة وإنّما هي دولة قد تتجمّع فتكوّن دولة وتتكيّف بصورة أخرى وتكون دولة، وتبقى هكذا حتّى يكون في الأخير هلاكها بقوّتها، ولذلك تتمكّن هذه الدولة أن تتكوّن بقطب، وهي العبارة التي نطقت بها الرواية الشريفة «**فإذا قامت**

على قطبها وثبتت على ساقها»[1]، حيث تمركزت القوّة بين قوى تتناقض فيما بينها في الوحدة، فهم لا يريدون الوحدة ويتحوّلون إلى وحدات غير موحّدة كما كان في السابق، وهو المعبّر عنه في الرواية الشريفة «**إذا اختلف بنو فلان فيما بينهم فعند ذلك انتظروا الفرج، وليس فرجكم إلّا في اختلاف بني فلان**»[2].

وهذا أيضًا ما أكّدته الرواية الشريفة بما قال عليه السلام: «**ولن يخرج القائم ولا ترون ما تحبّون حتّى يختلف بنو فلان فيما بينهم**»[3]. فالاختلاف فيما بينهم لم يكن من حيث الأهداف وإنّما من حيث الوحدة. تقول الرواية: فإذا كان ذلك طمع الناس فيهم واختلفت الكلمة»[4]. فالكلمة لن تكون واحدة، بل ستكون متعددة بقوى مختلفة فيما بينهما. وهو بداية تشتت هذا الكيان الذي يأخذ تمزقه ضجة في حينه، من حيث يظهر ضعفه وهو في أوج قوّته، وهذا ما نجده في تمزّق بني فلان في دولة (عبد الله) بعد موته إلى ثلاثة محاور كلّ واحد منهم ابن خليفة.

الخراساني المقصود

يظهر لنا من روايات القوم ومن رواياتنا؛ أنّ الخراسانيّ الذي يظهر في آخر الزمان هو واحد وليس متعدد، وأمّا الخراسانيّ الذي يظهر فيما

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 265، الباب 14،13.

(2) المصدر نفسه، الصفحة 264، الباب 14، الحديث 13.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

(وراء النهر) وربّما ما يقصد به حاليًّا (أفغانستان) فإنّه وإن جاء في الروايات المتحدّثة عن الجغرافيّة بما يمُكن أن يُقال هي المقصودة من الخراساني. ولكننا نقول أنّ أشهر تلك الأسماء الذي وردت في الروايات هي (طالقان)؛ وطالقان هي منطقة يُسمّى بها سُكّان نواحي في أفغانستان الحالية، كما يسمّى بها سكان نواحي هي جزء من جغرافيّة إيران المعاصرة. فَصَرْفُها من النواحي الإيرانيّة إلى النواحي الأفغانيّة يحتاج إلى قرائن، وحسب القاعدة التي أسّسناها نتحرّك بشكل طبيعيّ ونطبّق الاسم على طالقان الإيرانيّة لورود اسمها في روايات الشيعة، لنقصد بها طالقان الحالية، بينما وجدنا في روايات العامّة بأنّ طالقان التي وردت في مروياتهم قصد بها طالقان الأفغانيّة.

وقد نجد من يستفيد مِنْ هذه المسألة فيؤسّس خريطة للمعركة السابقة للظهور، يحدّد من جملة تلك المواقع خراسان القديمة التي هي تركمانستان طالقان وهرات وبلخ وغيرها، وهي ما يُعبر عنها حاليًّا بأفغانستان وطاجكستان وشمال باكستان ومقدار من جغرافيّة تركمانستان، فَيُزعم أن المقصود من هذه المنطقة هو الخراسانيّ الذي يظهر من هذه المنطقة، وهو أشبه ما يكون الحركة التي نعاصرها تحت عنوان طالبان بزعامة المقبور أسامة بن لادن، والناصبي أيمن الظواهري، وحركتهم الممتدة في كثير من مناطق العالم الإسلاميّ بل والجغرافيّة العالميّة.

ولكنّني لا أصحّح مثل هذا التصوّر وهذا التطبيق لأسباب موضوعيّة

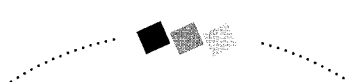

أهمّها؛ أنّ هذا الخراسانيّ قد ذُكر في روايات العامة فقط، وليس له ذكر في كتبنا. وحينما نُطبق القاعدة العلميّة التي ذكرناها فإنّنا سوف نقع على نتيجة تُلزمنا بعدم إمكان العمل بهذا المقطع من الرواية. أضف إلى ذلك، أنّنا لو تسامحنا بالعمل بهذه القاعدة فإنّ نفس الرواية تُبطل قولهم؛ لأنّ الخراساني في هذه المنطقة الجغرافيّة هو فرع من السفيانيّ الذي يكون في بلاد الشام، بينما نجد الواقع العسكريّ مغاير، فالأصل في الحركة العسكريّة الشاميّة هو الذي يسكن في أفغانستان وشمال باكستان.

ومهما يكن فالمشكلة لا تنحلّ بالتطبيق على طالبان ولا على القاعدة، ولا على ابن لادن ولا على الظواهريّ؛ وإنّما إذا أردنا أن نعرف موقع هؤلاء، لا بدّ أن نستعين بالمرويات عن أهل البيت عليهم السلام والموجودة في كتبنا فقط. وعليه، فهذه قصّة أخرى من حديث المستقبل في ما قبل الظهور حيث يمكن أن نقرأ تفصيله في دراسة غير هذه الدراسة. وأما ما يتعلق بالخراساني فإنّ من المقطوع به بأنّ هذه الحركة المسماة بالقاعدة وطالبان في أفغانستان لا يمكنها أن تكون مصنّفة تحت عنوان الخراسانيّ الأوّل.

وعليه، فإن ذُكِر الخراسانيّ الأوّل فالمقصود به الخراسانيّ التاريخيّ الذي ظهر قديمًا وأسّس دولة بني العباس في حياة الإمام الصادق عليه السلام. والحديث عن الخراسانيّ الثاني هو حديث عن الخراسانيّ الشيعيّ الذي يظهر ويقوم ويحكم منطقة إيران وتوابعها.

ومع ذلك، فهناك جملة من المرويّات والأخبار السنّيّة العامّيّة تحدّثت عن المشرق والفتنة التي تخرج منها في آخر الزمان. وذكر ابن كثير في

أنواع من الفتن التي ستكثر وستتفاقم في آخر الزمان أنّ الفتنة ستظهر من جهة المشرق. قال: «**ومن حديث الليث عن نافع عن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ قام إلى المنبر وهو مستقبل المشرق فقال: (ألا إنّ الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان أو قال قرن الشمس)**».

وقد ذكر كبار علماؤهم فتنة المشرق عن النبيّ واختلفوا في زمانها، فقد وجدنا هنا ابن كثير قد نسبها إلى آخر الزمان. بينما وجدنا في روايات أخرى أنّها تحدّث بعد زمانه مباشرة ﷺ. وربّما هي فتنة أصحابه، وقد نُصّت فيها أنّه أشار إلى مكان خروج الفتنة من بيت عائشة كما روى مسلم في صحيحة بإسناده عن ابن عمر قال: «**خرج رسول الله من بيت عائشة فقال: (رأس الكفر من ههنا، من حيث يطلع قرن الشيطان)**» يعني المشرق.

ومثله الخبر الذي رواه بإسناده عن نافع عن ابن عمر؛ أنّ رسول الله قام عند باب حفصة، فقال مشيرًا بيده نحو المشرق: (ها إنّ الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان)[1] قالها مرتين أو ثلاثًا، ومن الواضح أنّ عبارة (يعني من المشرق) أنّها من زيادة الرواة وتفسيرهم وليست هي من صلب الحديث.

وعليه: فإن الروايات التي تحدثت عن فتنة عائشة وحفصة، وأنّ الشيطان يخرج قرنه منها هي فتنة أخرى غير فتنة المشرق، ولكن محبّي

(1) صحيح البخاري، (دار الفكر للطباعة والنشر، 1401ه/ 1981م)، الجزء 4، الصفحة 93.

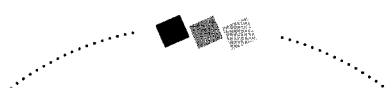

عائشة تلاعبوا بالنص وحرفوه ليحفظوا بذلك كرامة عائشة عندهم، فخلطوا بين هذه الرواية ورواية فتنة المشرق وجعلوها واحدة مع أنها متغايرة تمامًا. كما أنّ فتنة بيت عائشة هي جزء من الفتن التي تحدث بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما روى البخاري في صحيحه بفتنة أصحابه بعده.

ومن جملة ما رواه في كتاب الفتن الحديث، الذي رواه البخاري في صحيحه، حيث قال: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا بشر بن السرى حدثّنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال: «**قالت أسماء عن النبي قال: أنا على حوضي أنتظر من يردُ عليّ، فيؤخذ بناس من دوني فأقول: أمّتي، فيقال: لا تدري، مشوا على القهقرى) قال ابن أبي مليكة: أللهم إنّا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نُفتن**»[1].

وقال أيضًا: «**حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة عن أبي وائل قال: «قال عبد الله: قال النبي: أنا فرطكم على الحوض، ليرفعنُ إليّ رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول: أي ربّ، أصحابي فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[2].

وقال أيضًا: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال: «**سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أنا فرطكم على الحوض مَنْ ورد شرب منه ومن شرب منه لم يظمأ بعده**

(1) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الجزء 13، الصفحة 3 ج7048.
(2) المصدر نفسه، الجزء13 الصفحة 3، ج49.

أبدًا، ليردنّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم»[1].

وقال أبو حازم فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا فقال: هكذا سمعت سهلًا؟ فقلت: نعم. قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري سمعته يزيد فيه قال: (إنّهم مني؛ فيقال: إنّك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول: سُحقًا سُحقًا لمن بدل بعدي)»[2].

(1) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء 18، الصفحة 122.

(2) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء 13، الصفحة 4، الحديث 7050 - 7051.

المبحث الثاني:

رايات الخراساني

ذُكر في روايات أهل البيت عليهم السلام بالحديث عن الخراسانيّ أنّ له رايات كبيرة ورايات صغيرة كتب عليها يا لثارات الحسين، وأنّ لون تلك الرايات هو اللون الأسود.

وتنشأ أهمية الرايات لأمور اعتباريّة تعارف عليها الملوك والدول، وكانوا يحملون تلك الرايات في أيام سلمهم وحربهم، ويكون للراية موقعها في مُعسكرات الحروب أكثر من أوقات السلم فهي تُجمِّع العساكر والقادة والجُند. ولذلك كانوا لا يعطون هذه الراية لأحدٍ إلا إذا ملك قابليّات جليلة تؤهّله لحملها، ويقاتل من دونها حتى يُقتل. ولذلك كان الإمام الحسين عليه السلام قد أعطى الراية في كربلاء لأخيه أبي الفضل العباس عليه السلام. وهكذا ذكر التاريخ أنّ قريش أعطت رايتها في أُحد لبني عبد الدار فقتلوا دونها، وكذلك فعل عسكر عائشة يوم الجمل فقد أعطي بني ضُبة الراية فلم تتنكس حتّى فنوا دونها. ولذلك قال ابن خلدون وهو يتحدث عن شارات الملك والسلطان الخاصة به: «**فأمّا الرايات فإنّها شعار الحروب من عهد الخليفة، ولم تزل الأُمم تعقدها في مواطن الحروب والغزوات لعهد النبيّ صلى الله عليه وآله ومن بعده من الخلفاء**»[1].

(1) المقدّمة لابن خلدون، الصفحتان 258 ـ 259.

وما زالت الراية والعلم تُعبر عن كينونة استقلال الدول بما تختزنه من حيثيّة رمزيّة في كيانها، وفكرًا تعكسه في معالم العلم الذي ترفعه رسميًّا فوق مؤسّساتها الحكوميّة، ويحملها جيشها في سلمه وحربه، وتطول النقاشات في مجالس العموم والجمعيّات الوطنية والبرلمانات حول ألوان العلم الوطني، أو راية الحرب، أو شعار الحزب أو الجهة بما يتناسب مع ما يُعبر عن هوية البلد والوطن والحزب والجهة التي تحمل ذلك العلم. ولذلك كان من الطبيعي أن تكون مهمة تفسير لون وكبر ومحتويات العَلَم بيد خبراء مختصين.

ومن هنا يبدأ الحديث عن عَلَمَ الخراسانيّ ورايته، الذي ذُكر في الروايات الشريفة وأنّه أسود اللون بما يجعلنا نتساءل عن فلسفة اتّخاذ السواد عَلَمًا لراية الخراسانيّ، مع أنّنا نعلم أنّ الخراسانيّ هو نهاية مرحلة الصراع بين خطّ أهل البيت عليهم السلام وأعدائهم قبل خروج المخلِّص عليه السلام؟ وما هو الربط، وما هي العلاقة بين سواد راية الخراسانيّ وسواد رايات بني العبّاس؟ هل أنّ التشابه بين هاتين الرايتين نشأ عن أمر عفويّ ساذج أم أنّ بينهما علاقة وارتباط؟

شعار راية الخراساني يا لثارات الحسين

نفهم من سير التاريخ العبّاسيّ الأوّل أن قضية الخراسانيّ الممهّد للمهديّ لم تكن مجهولة عندهم، فلذلك حاول بنو العباس التشبه بمجريات آخر الزمان ليكون المهدي منهم، وبالخصوص عندما كانت بداية ثورتهم من خراسان، فإنّهم حاولوا أن يكون ذلك الخراساني الموعود بظهوره

وقيامه في مرحلة قبل ظهور المهديّ عجل الله فرجه الشريف. وكان بنو العبّاس قد عرفوا أنّ الخراسانيّ تكون رايته سوداء فلذلك حمّلوا قادتهم الخراسانيّين الرايات السود أملًا منهم أو زعمًا أن يكون هؤلاء الخراسانيّين هم الممهّدين للمهديّ سلطانه، ولذلك فهم حملوا شعار الثأر للحسين الشهيد ولزيد الشهيد صلوات الله عليهم قبل أن ينقلبوا على العلويّين؛ ممّا يعني أنّ رايات الخراساني السود أمر مفروغ منه، بغض النظر عن رايات العباسيّين السود لأن راياتهم هي استنساخ ادّعائي وسرقة لرايات الخراساني، الذي يظهر في آخر الزمان. وعليه فإنّه قد ثبت لدينا أنّ رايات الخراساني هي الرايات السود. وهي أيضًا تعبر عن الحزن الموروث على سيد الشهداء عليه السلام، وبالخصوص فإنّا قد وجدنا أن الشعار الذي يرفعه أصحاب الإمام المهدي هو (يالثارات الحسين).

ففي كتاب الغيبة للفضل بن شاذان بإسناده إلى الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله في حديث في أصحاب القائم، قال: «**وهم من خشية الله مشفقون، يدعون بالشهادة، ويتمنون أن يقتلون في سبيل الله، شعارهم يا لثارات الحسين، إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر**»[1].

ويؤيّد هذه الحقيقة كثيرة من الروايات التي رواها السنّة في كتبهم عن راية الخراساني. من جملتها ما رواه المروزي في كتابه الفتن بإسناده عن سعيد بن المسيب قال:

(1) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل (لبنان- بيروت: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، 1408هـ/ 1988م) الجزء 11، الصفحة 114.

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يخرج من المشرق رايات سود لبني العباس، ثمّ يمكثون ما شاء الله، ثم تخرج رايات سود صغار تقاتل رجلًا من ولد أبي سفيان وأصحابه؛ من قبل المشرق يؤدون الطاعة للمهدي»[1].

وروى أيضًا بإسناده عن علي عليه السلام قال: **«تخرج رايات سود تقاتل السفيانيّ فيهم شاب من بني هاشم، في كتفه اليسرى خال، وعلى مقدمته رجل من بني تميم يدعى شعيب بن صالح، فيهزم أصحابه»**[2].

وروى بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام قال: **«تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان الكوفة، فإذا ظهر المهدي بمكة بُعث إليه بالبيعة»**[3].

وروى عن خمرة عن ابن شوذب قال: **«كنت عند الحسن عليه السلام فذكرنا حمص، فقال: هم أسعد الناس بالمسودة الأولى، وأشقى الناس بالمسودة الثانية (والظاهر والله تعالى العالم أنّه يرمز: إلى المسودة الأولى، العباسي الذي يخرج في آخر الزمان بقرينة ارتباطه بالمسودة الثانية الذي هو الخراساني القادم إليهم من المشرق) قال: فقلنا: وما المسودة الثانية يا أبا سعيد؟ قال أبو الطهوي: يخرج من قبل المشرق في ثمانين ألفًا، محشوّة قلوبهم إيمانًا حشو الرمانة من الحبّ، بوار المسودة الأولى على أيديهم»**. (وذيل الحديث قرينة، أو أخرى على أن

(1) الفتن، مصدر سابق، الصفحة190.

(2) المصدر نفسه، الصفحة 190.

(3) المصدر نفسه، الصفحة 190.

المقصود من المسودة الأولى العباسي الثاني).

وروى أيضًا بإسناده عن محمد بن الحنفية قال، تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء، قلانسهم سود وثيابهم بيض، على مقدمتهم رجلٌ يقال له شعيب بن صالح من تميم؛ يهزمون جيش السفيانيّ حتى ينزل بيت المقدس ويوطىء، للمهدي سلطانه، ويمد إليه خمسمائة من الشام، ويكون بين خروجه وبين أن يسلم الأمر للمهدي (اثنان وسبعون شهرًا)[1].

وروى أيضًا بالإسناد عن شوبان قال: «**إذا رأيتم الرايات خرجت من قبل خراسان فأتوها ولو حبوًا على الثلج فإنّ فيها خليفة الله المهدي**»[2]. والروايات كثيرة جدًا، وسوف نقرأ في روايات الشيعة الإماميّة أنّ هذا اللون الأسود للراية سوف يكون هو نفسه لون راية الإمام المهدي عليه السلام حيث ورد في رواياتنا أن رايته سوداء كتب عليها يا لثارات الحسين.

وفي كتاب الغيبة للفضل بن شاذان بإسناده إلى الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله في حديث في أصحاب القائم قال: «**وهم من خشية الله مشفقون يدعون بالشهادة، ويتمنون أن يقتلوا في سبيل الله شعارهم: يالثارات الحسين، إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر**»[3].

(1) المصدر نفسه، الصفحة 188.

(2) المصدر نفسه، الصفحة 188.

(3) مستدرك الوسائل، مصدر سابق، الجزء 11، الصفحة 114.

ويظهر من بعض الأخبار أنّ الفارق بين راية الإمام المهدي عجل الله فرجه وراية الخراساني أنّ راية الإمام المهدي كبيرة سوداء بينما رايات الخراساني رايات سود صغار.

وبالطبع فإنّ الراية واللواء والعلم هي أسماء تاريخية استخدمت لمواقع عسكريّة في الجيوش، وكان في جيش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لواء، كما كانت هناك راية. وقد ذكر المؤرخون أنّ اللواء كان يحمله الإمام علي عليه السلام، بينما كانت الراية يحملها أشخاص آخرون لم تثبت لواحد منهم. ولهذا ففي القصة التاريخيّة المعروفة يوم خيبر أنّ النبي قال: «**لأعطين الراية غدًا لرجل كرّار غير فرّار**». وقد طمع فيها أشخاص كثيرون، وكان بعضهم لا يملك الأهليّة العسكريّة لذلك، ولكن كان في بعضهم طمع في أن يعطيه الرسول في اليوم الثاني ليحصل على عنوان مدحه.

في تعدّد الرايات ووصفها

ومن هنا ننبّه أنّه قد ورد في راية المهدي عجل الله فرجه روايات متعددة نفهم منها أنّها ليست واحدة، وإنّما هناك عدة رايات سوف تكون معه صلوات الله عليه، ومن الطبيعي جدًا في أنّه ستكون رايات الخراساني التي هي راية هدى، في جملة رايات الإمام المهدي عجل الله فرجه، كما سوف تكون راية اليماني كذلك موجودة في ضمن جيش الإمام المهدي عجل الله فرجه، وهي من أهدى الرايات كما في الخبر الشريف.

وهذا ما وجدناه في الرواية التي رواها الطبري الشيعي في كتابه دلائل

الإمامة، بإسناده عن عبد الله بن مسعود أنّه قال: «**كُنّا حول رسول الله فأقبلت فتية من بني هاشم فلمّا نظر إليهم اغرورقت عيناه، فقلت: يا رسول الله لا نزال نرى في وجهك شيئًا نكرهه. فقال: إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة عن الدنيا، وهؤلاء أهل بيتي أختار لهم الآخرة، وسيلقون بعدي تطريدًا وتشريدًا حتى يجيء قوم من ها هنا (وأشار بيده إلى المشرق) أصحاب رايات سود يسألون الحق فلا يعطونه، فأعادها ثلاثًا فيقاتلون حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملأها قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا، فمن أدرك ذلك منكم فلياته ولو حبوًا**»[1].

وفي بعض الروايات قد جاء في وصف راية المهدي عليه السلام أنّها مُعلّمة؛ أي تكون من أشكال لها علامة متعددة بألوان متلونة، وليست بلون واحد. كما في كتاب الملاحم والفتن للسيد بن طاووس عن عبد الله بن شريك قال: «**مع المهدي راية رسول الله المعلّمة ليتني أدركته وأنا جذع**» أي شاب[2].

وفي الفتن لنعيم أيضًا عن نوف البكالي قال: «**راية المهدي مكتوبٌ عليها: «البيعة لله»**[3].

(1) معجم الملاحم والفتن، الجزء2، الصفحة 287.

(2) الملاحم والفتن للسيد بن طاووس الصفحة 68. دلائل الإمامة للطبري الإمامي، الصفحة 445، رقم الحديث 419.

(3) الفتن، مصدر سابق، الصفحة 220.

وقد جاء أيضًا في الملاحم[1] أنّ المهدي «**يخرج براية النبي من مرطٍ مخملة سوداء مربعة فيها حجر لم ينشر منذ توفي رسول الله، ولا تنشر حتى يخرج المهدي...**»[2].

وأن هذه الرايات التي تُحمل في جيش الإمام المهدي عجل الله فرجه، هي الرايات التي يحملها أصحاب الرايات، وهي غير الراية التي يحملها بنفسه القدسيّة، فهي راية الإمام الخاصة والتي كانت راية رسول الله، وتختلف كليًّا عن باقي الرايات سواءًا من حيث ذاتيّاتها ووضعها، أو من حيث أهميتها وأثرها في معارك الإمام المهدي عجل الله فرجه. ويكفيك لتحديد هذه الصورة الخاصة ما رواه النعماني في غيبته بإسناده إلى أبي بصير قال أبو عبد الله عليه السلام: «**لا يخرج القائم عليه السلام حتى يكون تكملة الحلقة قلت: وكم تكملة الحلقة؟ قال: عشرة الآف، جبرائيل عن يمينه، ميكائيل عن يساره، ثم يهز الراية ويسير بها، فلا يبقى أحد في المشرق ولا في المغرب إلا لعنها وهي راية رسول الله، نزل بها جبرائيل يوم بدر. ثم قال: يا أبا محمد ما هي والله قطنٌ، ولا كتانٌ، ولا قزّ ولا حرير، قلت: فمن أي شيء هي؟ قال: من ورق الجنة، نشرها رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، ثم لفّها ودفعها إلى عليّ عليه السلام، فلم تزل عند عليّ عليه السلام حتى إذا كان يوم البصرة نشرها أمير المؤمنين ففتح الله عليه، ثم لفّها وهي عندنا هناك، لا ينشرها أحد. يقدم القائم عليه السلام، فإذا هو قام نشرها فلم يبق أحد في المشرق**

(1) الملاحم، الصفحة 73.

(2) الفتن، مصدر سابق، الصفحة 226.

والمغرب إلا لعنها، ويسير الرعب قدامها شهرًا، ووراءها شهرًا، وعن يمينها شهرًا، وعن يسارها شهرًا، ثم قال: يا أبا محمد إنّه يخرج موتورًا، غضبان، أسفًا لغضب الله على هذا الخلق، يكون عليه قميص رسول الله الذي عليه يوم أحد، وعمامته السحاب، ودرعه درع رسول الله السابغة، وسيفه سيف رسول الله ذو الفقار، يجرّد السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل هرجًا، فأوّل ما يبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهم ويعلقها في الكعبة وينادي مناديه هؤلاء سراق الله، ثم يتناول قريشًا، فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف، ولا يخرج القائم عليه السلام حتى يُقرأ كتابان: كتاب بالبصرة، وكتاب بالكوفة بالبراءة من عليّ عليه السلام»[1].

وقد روى النعماني أيضًا عن أبّان بن تغلب قال، قال أبو عبد الله عليه السلام: «كأني بالقائم فإذا استوى على ظهر النجف لبس درع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبيض فينتفض هو بها فيستديرها عليه فيغشاها بخداجة من استبرق، ويركب فرسًا له أدهم أبلق، بين عينيه شمارخ، فينتفض به انتفاضة لا يبقى أهل بلد إلا وهم يرون أنه معهم في بلدهم، وينشر راية رسول الله، عمودها من عمد عرش الله وسائرها من نصر الله؛ ما يهوي بها إلى شيء إلا أهلكه الله. قلت: أمخبو هي، أم يؤتى بها؟ قال بل يأتي بها جبرائيل عليه السلام؛ فإذا هزّها لم يبق مؤمن إلا صار قلبه أشدّ من زبر الحديد، وأُعطي قوة أربعين رجلًا ولا يبقى مؤمن ميت إلا دخلت عليه تلك الفرحة في قبره وذلك حين يتزاورون في قبورهم، ويتباشرون

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، باب 19، الصفحتان 307 ـ 308.

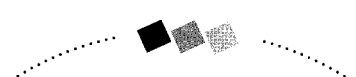

بقيام القائم عليه السلام، وينحط عليه ثلاثة عشر ألفًا وثلاثة عشر ملكًا. قال فقلت: كل هؤلاء كانوا مع أحد قبله من الأنبياء؟ قال نعم، وهم الذين كانوا مع نوح في السفينة، والذين كانوا مع إبراهيم حيث ألقي في النار، والذين كانوا مع موسى حين فلق البحر، والذين كانوا مع عيسى حين رفعه الله إليه، وأربعة آلاف كانوا مع النبي صلى الله عليه وآله مردفين، وثلاثمئة وثلاثة عشر ملكًا كانوا يوم بدر، وأربعة آلاف هبطوا يريدون القتال مع الحسين عليه السلام، لم يؤذن لهم فرجعوا في الاستيمار فهبطوا وقد قتل الحسين عليه السلام فهم عند قبره شعثٌ، غبرٌ، يبكون إلى يوم القيامة، ورئيسهم ملك يقال له منصور، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه، ولا يودعه مودع إلا شيّعوه، ولا مريض إلا عادوه، ولا يموت ميّت إلّا صلّوا عليه واستغفروا له بعد موته. فكلّ هؤلاء ينتظرون قيام القائم عليه السلام»[1].

خصوصيّات غيبيّة

ممّا نستظهره من هذه الروايات التي تتحدث عن الصفات الخاصة لراية الإمام المهدي عجل الله فرجه، أنّ المقصود هو المعنى والمدلول اللغوي المتعارف عليه بين الناس في التاريخ الماضي والواقع الحالي، وهي أنّ هذه راية فيها صفات غيبيّة، نزلت من عالم الملكوت إلى عالم الملك وانكشفت بخلقتها الملكوتيّة في قلب عالم الإمكان، فيُغيّر بها خريطة عالم الملك الجغرافيّة ومواطن القوّة والقدرة، ويمكننا أن نقرأ تلك الروايات التي تحدثت عن الروايات الأخرى بقراءة رمزية لسبب واحد يرجع إلى

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 323، باب 20، الحديث 5.

قواعد اللغة وعلم أصول الفقه، ولأنّ روايات الراية التي تنزل من الجنة للإمام المهدي عجل الله فرجه واضحة المدلول في أنّها راية يستعملها الإمام للحرب في مواطن إظهار القوة والقدرة، ولم تستعمل من قبل إلا مرتين أولاها في بدر والثانية يوم الجمل.

وهذه خصوصّيات قضايا غيبيّة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فحصر إرثها ووراثها للأئمّة من أهل بيته عليهم السلام، وأصبحت من مواريث النبوّة والإمامة مثل: سيف ذي الفقار، وراية بدر، ودرع رسول الله، والمعبّر عنه بالروايات الشريفة، بالجفر الأحمر.

وليس للرمز دخالة في تفسيرها، فهي قضايا موجودة فعلًا كما يوجد مثيلاتها عند الناس الآخرين، ولكنّها تختلف عن الباقيات من جهة الصناعة، كما تختلف عنها بقدراتها وقوتها، وبتعبير أدق تختلف عنها بالعلّة الماديّة، والعلّة الغائيّة. بينما نجد الروايات التي تتحدّث عن الرايات الأخرى يمكن أن يتواجد الرمز فيها وفي جنباتها بشكل أو بآخر، ونفهم هذا بنفس أدوات اللغة العربيّة التي تقول أنّ كلمة الراية كما يصحّ أن تُطلق على الراية التي تحمل في المعسكر والجيش، فيمكن أن تكون إشارة ورمز إلى قضايا أخرى غير متشكّلة بشكل هذه الآلة التي ترفع في الحرب. فمثلًا جاء في بعض الأخبار المرويّة عن الإمام الصادق عليه السلام: «**كلّ راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يُعبد من دون الله عز وجل**»[1].

(1) الكليني، الكافي، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري (طهران: دار الكتب الإسلاميّة، الطبعة 3، 1367هـ. ش)، الجزء8، الصفحة 295، الحديث 452.

لم يقصد بهذه الرايات العلّة الغائيّة ولا العلّة الماديّة وإنّما أخذت معانيها الرمزيّة فهي تُعبر عن تجميع الكراع والسلاح ووسائل القتال، وتجميع الجند وبناء المعسكرات وإعداد الجيوش بما تكون قوة يمكنها أن ترفع الرايات التي توحّدها كقوة عسكريّة.

وهذه الرمزيّة للراية هي معنى غير معنى نفس الراية في الروايات الأولى. فبينما يفترض في الروايات الأولى أن تكون هناك رايات ذات أوصاف وغايات محدّدة تحمل في معسكرات الجيش، بغضّ النظر عن الجيش وقوته والتفصيلات المتعلّقة به، بينما نجد في الروايات الثانية أنّه قد أهملت هذه الجنبة الواقعية من الحديث عن الراية، وإنّما كان الكلام مُنصبًّا عمّا ترمز إليه الراية، وقد تكون بالفعل غير موجودة كما هو الحال في ما نلاحظه حاليًا عندما نتحدث عن الوجودات العسكريّة المنهي عن تأسيسها وتشكيلها في مرحلة الغيبة الكبرى.

إذا كانت تلك الجيوش منسوبة إلى القائم عجل الله فرجه فإنها قد لا تحمل راية كتب عليها هذا العنوان الخاص، وهو النسبة الخاصة إلى الإمام المهدي، ولكنها مع ذلك تعتبر هذه القوة العسكريّة جهة غير شرعيّة. وإن كانت لا تحمل بالفعل هذه الراية ولكنّها جهة غير شرعيّة لأنّها تنسب وجودها الفعليّ إلى الإمام عجل الله فرجه. مع أنّنا معاشر الشيعة الإماميّة نعتقد انقطاع الاتصال والتواصل بيننا وبين الإمام المهدي عجل الله فرجه في عصر الغيبة الكبرى، وكل عمل - وإن كان جميلًا بنفسه ومحبوبًا ويعطي قوة للشيعة - ولكنه يدعي التواصل والاتصال بالإمام المهدي بشكل مباشر

فهو حرام وافتراء على الإمام المهدي عجل الله فرجه، ولا يمكن أن يحدث بوجه من الوجوه قبل قيام القائم، وسوف يحدث إن شاء الله تعالى بعد قيام القائم. ولا يعني هذا عدم جواز تجميع السلاح والكراع وتجيش الجيوش، وإعدادها للدفاع عن التشيّع والشيعة في عصر الغيبة الكبرى، بل العكس هو الصحيح؛ فمن الواجب الشرعيّ الإعداد والاستعداد ممّا تستطيع به الشيعة مواجهة الخصوم، فإنّ الدفاع عن النفس بمعنييه الشخصي والنوعي واجب شرعي بقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [1]؛ وهكذا دلّت العمومات الصحيحة بالنص الصحيح على وجوب جهاد العدو، وحفظ بيضة الإسلام، ومقارعة الظالمين، والدفاع عن المستضعفين، ورفع شأن شيعة آل البيت عليهم السلام.

وقد وضّحت من هذه الرمزية للراية حقيقة مداليلها بأنّها لم تكن مقصودة بمعناها الماديّ الساذج البسيط، وإنّما هي مقصودة ممّا ترمز إليه من قوة وتجميع؛ ما يجعلنا نتساءل عن معنى (الرايات السود) التي تخرج من خراسان والتي جاء في بعضها أنّها (رايات صغار)[2]، فما هو

(1) سورة الأنفال، الآية 60.

(2) روى السيّد ابن طاووس في (التشريف بالمنن في التعريف بالفتن) عن كتاب الفتن لنعيم: (اذا ملك الشام، وآخر مصر، فاقتتل الشامي والمصري، وسبى أهل الشام قبائل من مصر، وأقبل رجل من المشرق برايات سود صغار قبل صاحب الشامات، فهو الذي يؤدي الطاعة إلى المهدي).

وروى السيد ابن طاووس في كتابه (التشريف بالمنن) الصفحة 122، عن كتاب نعيم بإسناده عن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يخرج من المشرق رايات سود لبني العباس، ثم يمكثون ما شاء الله، ثم تخرج رايات سود صغار تقاتل رجلًا من ولد أبي سفيان من قبل المشرق، ويؤدون الطاعة للمهدي).

المقصود من كونها رايات وليست براية واحدة مع أنّ قائدها رجل واحد هو الخراساني؟.

كما أنّنا نتساءل عن معنى اللون الأسود الذي ورد في وصف تلك الرايات. فقيل لها بأنّها رايات سود، فهل المقصود من السود المعنى الرمزي، أم قُصد من السود المعنى العادي وهو اللون المعروف؟.

لا إشكال بمتابعة الأخبار التي تحدثت عن الرايات السود التي تخرج من خراسان، بأنّها لم يُقصد منها المعنى العادي وهو كون أن تلك رايات عادية تخرج من منطقة خراسان، وإنّما ترمز إلى حقيقة يُحتمل فيها أمران:

الأوّل: أنّ تلك الحركة عبارة عن تجمّع قوى تشترك بهدف واحد، وتختلف على الأرض والواقع فهي تجمعات سياسية وعسكريّة يجمعها هدف واحد، إمّا سياسي أو أيديولوجي، وتتفق على قائد واحد يُحرّكها نحو الغرب (والمقصود من الغرب هو النسبة المكانيّة إليهم باعتبارهم من سكان أهل المشرق وليس المقصود من الغرب محصورًا بما يُسمى حاليًا بالعالم الغربي).

والثاني: أن تكون هذه الرايات تُشّكل وحدة عسكريّة وسياسيّة واحدة في كيان واحد وقائد واحد، وتمتلك العُدة العدديّة الكبيرة جدًا، بحيث تحتاج إلى رايات كثيرة لتمثّلها في مساحاتها العدديّة العريضة. فيكون تعدد الرايات قد نشأ من الحجم الكبير لهذا الجيش وإن كان هو جيش واحد بقيادته العسكريّة والسياسيّة.

ونميل باستظهارنا إلى الاحتمال الثاني دون الأول نظرًا لسياق الروايات التي تحدّثت عن جيش الرايات السود في وصف قائدها الفتى الهاشمي. وقد نصب على تلك الجيوش الفتى التميمي المُسمى بشعيب ابن صالح دون أن نجد اسمًا آخر حسب الروايات العاميّة غير الشيعيّة، ذكراً لقيادة مجموعة أخرى أو مجاميع ممّا يمكنها أن تشكّل جزءًا أو أجزاءًا من مجاميع الجيش.

وأمّا اللون الأسود الذي ورد في الروايات التي تحدّثت عن تلك الرايات، فلربما كانت قد استخدمت بشكل حقيقيّ وليس مجازيّ رمزيّ. ولكنّنا بعد أن عرفنا سابقًا أن الرمزية هي الأداة التي عبرت عن مقاصد الروايات التي تحدثت عن الرايات السود في آخر الزمان، فسوف تكون حينئذٍ السوداويّة في الرايات تُعبر عن رمزيّة تتناسب وأهداف حركة الخراساني ناصر آل محمد والموطئ لدولة المهديّ عليه السلام، والذي سوف يكون شعار أصحابه يا لثارات الحسين. فهذه الرمزية تتناسب طرديًا وبنسبة مئوية كاملة مئة بالمئة بين الهدف المقدس وبين القوة التي سوف تحقق هذا الهدف المقدس وهو الثأر الحسيني.

والثأر الحسيني وإن كان من اختصاص المهدي عليه السلام، فهو الوحيد الذي له حق أخذ الثار ولكن يبقى هناك مجالات واسعة للتمهيد للثارات الحسينيّة. وهذه الفكرة اختزنت في الضمير الشيعي والعاطفة الشيعيّة مما يُعبَّر عن القول المشهور كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء.

هناك ثارات حسينيّة استتبعت الثأر الحسيني نتيجة ما عاناه

الشيعة على مدى التاريخ، ولا سيما التاريخ المعاصر من ويلات وحروب وقتل ذريع وسبي وهتك للأعراض واغتيال لشخصياتهم ورجالاتهم، فصارت الساحة التاريخيّة الشيعيّة بكربلاءات ومجازر حسينيّة كبيرة جدًا بذاتيّاتها، ولكنّها صغيرة جدًا بنسبتها إلى كربلاء الحسين بن علي عليه السلام، لأنّ الإمام الحسن المعصوم عليه السلام يقول: «**لا يوم كيومك يا أبا عبد الله**»[1] كما قال المعصوم الإمام الصادق عليه السلام في زيارته للإمام الحسين عليه السلام: «**مصيبة ما أعظمها وأعظم رزيّتها في الإسلام وفي جميع السموات والأرض**»[2].

ستحمل هذه الرايات الخراسانية الألم الحسيني، والعزاء الحسيني في الوجدان الشيعي، وتتجّه نحو الغرب الذي هو مقصدها في تحركها حيث قبر الحسين عليه السلام في كربلاء الذي يقع غرب المشرق، فتكون الساحة بطبيعة حركتها وموقعها الجغرافي والحركي ممتدة من المشرق بموج بشري إلى المغرب حيث قبر الحسين عليه السلام. في بحر مخاض التمهيد لظهور المولى المقدس عليه السلام في جميع أيام السنة، وفي كل هذه البقعة التي بجميعها، بمقاماتها ومنازلها أرضًا للحسين عليه السلام.

وتتجلّى هذه الصورة من حركة الرايات السود المشرقيّة إلى المغرب، عندما رأينا في السنين الماضية الخوالي والقريبة العهد إلينا تلك الرايات التي ظهرت من بطون الأرض وظهورها ومن مشارق البلاد، تحمل

(1) الأمالي، للصدوق، الصفحة 177، الحديث 179.

(2) 2 زيارة عاشوراء المروية عن الإمام الصادق عليه السلام، مصباح المتهجد، الطوسي، الصفحة 775.

رايات الحسين في مواسم الحسين؛ عاشوراء والأربعين وزيارة النصف من شعبان وغيرها... والملايين تزحف إلى القبر الشريف لتجديد البيعة والعهد مع الحسين عليه السلام.

وقد وجدنا الملايين في بلدان العالم من مشارق الشيعة، تزحف بزحفها المقدّس ونداءاتها الصارخة المتحدّية لعنف الوهابية التي هي المسودة الأولى، فيصبح الصراع واضحًا بين المسودة الأولى والمسودة الثانية؛ أولئك يحملون الرايات السود يريدون أن يجتثوا خبر آل محمد عليهم السلام في المشرق، وهؤلاء المسودة الثانية يريدون أن يخرجوا قائم آل محمد عليه السلام من مكة، والملتقى عند قبر الحسين عليه السلام.

ربّما يكون هذا الوصف الرمزيّ قريبًا للتصوير الأدبيّ، وربّما يكون أقرب للخيال الفني برسم ريشة أحداثه وأمكنته، ولكننا نرى على الأرض وبشكل واضح جدًا بأنّ المسودة العباسيّة المسمّاة بالقاعدة وأخواتها، أو قل هي الوهابيّة بسلطانها الإمبراطوري الخفيّ الذي يحاول أن يحكم بواطن العالم الإسلامي قد أدركت هذه القوة العباسيّة الأولى حقيقة المعركة، وعرفت أنّ المعركة بالنتيجة هي مع المهدي المنتظر. كما أنّها قد عرفت أنّ المهدي المنتظر لا يظهر ولا يقوم إلا بعد أن تُهيَّء له الدولة والقوّة القادرة على حفظ أمنه الشخصيّ والذاتيّ وأمن جماعته المنتمية إليه وهم الشيعة.

وقد علمت المسودة الأولى (العباسيّة الوهابيّة)، بمعناها الأوسع المنطبق على آل سعود ودولتهم وعلى غيرهم الأخرين من التكفيريين،

أنَّ قوة هذا الكيان الشيعي بدولته، وأنّ قوة دولته بشعاره الحسينيّ الأسود وحزنه التاريخي على سيد الشهداء عليه السلام. كما أنّ هذه المسودة الأولى قد علمت بأنّ هذا الزحف المليوني الشعاري قد تحول من الرمز والانتظار والأمل والمستقبل، إلى فعل وأرض حادثة، وواقع وخطر فعليّ، وجيش عدوّ قويّ جدًا تعداده بملايين الملايين. فلذلك لم يستشعروا الخطر فقط، وإنّما رأوه رأيَ العين فتعاملوا معه على هذا الأساس بقتاله الفعليّ، وبأقوى ما يملكونه من قوة عسكريّة، وقد توضّح حاليًا بالهجومات العسكريّة الإرهابيّة التي يقومون بها دائمًا بقتل زوار الحسين عليه السلام.

إذن، فلننظر مرة أخرى إلى ملايين الزحف إلى كربلاء كقوة قويّة تُشكل مُقدمات زحف رايات أهل المشرق السود التي تُمهد وتوطئ للمهدي سلطانه.

المبحث الثالث:

الفتن

فتنة المشرق

قد وجدنا هذه الفتنة في أحاديث السُّنّة على أنّها لم تذكر اسم عائشة أو حفصة وإنهّا هي فتنة قائمة بذاتها تحدث في آخر الزمان كما ذكره ابن كثير في كتابه نهاية الفتن والملاحم، ومن جملة ذلك ما رواه البخاري في صحيحه بإسناده عن الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي ﷺ أنّه قام إلى جنب المنبر فقال: الفتنة ها هنا، الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان. قال: قرن الشمس».

وقال أيضًا: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّه سمع رسول الله وهو مستقبل المشرق يقول: «**ألا إنّ الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان**»[1].

وروى مسلم في صحيحه قال: حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان، وواصل بن عبد الأعلى وأحمد بن عمر الوكيحي (واللفظ لابن أبان) قالوا: «**حدثنا ابن فضيل عن أبيه قال: سمعت سالم بن عبد الله بن عمر يقول: ياأهل العراق: ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم: سمعت أبي، عبد**

(1) المصدر نفسه، الجزء 13، الصفحة 52، الجزء 7093.

الله بن عمر (إنّ الفتنة تجيء من ههنا) وأومأ بيده نحو المشرق (من حيث يطلع قرن الشيطان) وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض. وإنّما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ، فقال الله عز وجل له: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ قال أحمد بن عمر في روايته عن سالم: لم يقل: سمعت»[1].

وروى الترمذي في سننه قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهيري، عن سالم، عن ابن عمر، قال: قام رسول الله إلى المنبر، فقال: «**ها هنا أرض الفتن**» وأشار إلى المشرق؛ يعني (حيث يطلع جذل الشيطان، أو قال: قرن الشيطان) هذا حديث حسن صحيح[2].

فهذه الروايات السنّيّة تحدثت عن فتنة المشرق ولم تُحّدد زمانها، وقد حملها بعض المتكلّمين من عُلماء الشيعة على الروايات الأولى التي تحدثت عن الفتن التي تصير بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة، كالمرحوم الإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين في كتبه العقائديّة التي اختصت بمبحث الإمامة؛ ولعلّ الذي حدا بهم إلى هذا الحمل والنسبة هو عدم وجود أحاديث فتنة المشرق في كتب الشيعة الإماميّة، فإنّها خلت من هذا العنوان إلّا اللهم ما في كتاب الملاحم والفتن للسيد ابن طاووس وهو في الواقع ليس من كتبنا، وإنّما قد جمع أحاديثها السيّد ابن طاووس من

(1) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفتن وإشراط الساعة / باب الفتنة من المشرق الجزء 9، الصفحة 259 ج50.

(2) سنن الترمذي الجزء 4، كتاب الفتن الصفحة 265، الحديث 2268.

كتابي الفتن للمروزي والملاحم لابن المنادي؛ وهكذا ما نجده في الكتب التي تحدّثت عن علامات الظهور مثل كتاب بشارة الإسلام فإنّها تنقل روايات فتنة المشرق من الكتب العاميّة وليست لها مصدر شيعيّ.

ولكنَّ هذا الحمل الذي قام به أصحابنا قد يكون صحيحًا على فرض صحّة تعاليق القوم السنّيّين التي نقلناها في الفتنة التي تخرج من بيت عائشة، عندما حاولوا أن يخلطوا الأوراق لتضيع الحقيقة بين بيت عائشة وفتنة المشرق. وقد علمنا سابقًا أنّ الزيادات التي وضعوها لحديث بيت عائشة إنّما هي من عند المؤلّفين والرواة السنّيّين، وهو من التعريض الذي استخدموه في حديث رسول الله والذي نقلوه هم في كتبهم وبأسانيدهم عن الرسول ﷺ إنّه قال: «**ستكثر من بعدي الكذّابة**».

وأمّا إذا سلم الحديث عن هذه الزيادة الموضوعة فحينئذٍ لا يمكننا أن نحمل روايات فتنة المشرق على فتنة بيت عائشة كما هو الصحيح، لأنَّ كلّ فتنة من الفتنتين تختلف عن الثانية بأزمانها وأماكنها وإن كانت متّحدة بفكرها وأهدافها، وهي تحريف الدين وإبطال إمامة أمير المؤمنين، ومحاربة شيعته وقتلهم وإبادتهم.

وعدم ذكر فتنة المشرق بلفظها في كتبنا ليس معناه عدم وجود هذه الفتنة في آخر الزمان، وإنّما علينا أولًا أن نبحث عن مترادفات من الأسماء والعناوين لهذه الفتنة المشرقيّة في آخر الزمان موجودة في كتبنا ولكن بأسماء أخرى، أم لا، وإذا كانت موجودة فما هي تلك الأسماء؟.

وإذا لم يوجد ذكر للفتنة المشرقيّة في كتب الإماميّة فسوف نحتاج إلى

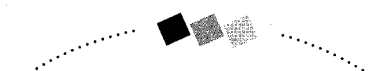

بحثٍ ثانٍ يلزمنا التتبّع للقضايا العلميّة لمعرفة تلك الأسباب، كي لا نقع بالخطأ الذي وقع به غيرنا ممّن كتب في علامات الظهور، وذكرناه في القاعدة التي أسّسناها في الأخبار المرويّة عن علامات الظهور في كتب السّنّة ولم تُروى في كتبنا.

وربما يقول قائل إنّ فتنة المشرق هي من حديث الوضّاعين الأوائل الذين رأوا في كتب الشيعة أنّ رايات المهديّ عجل الله فرجه سوف يبتدئ أمرها من المشرق، من أنصار آل محمّد، ولذلك وضعوا مثل هذه الأحاديث المتحدّثة عن فتنة المشرق. ولكنّنا وجدنا في كتبهم أنّهم رووا بأسانيدهم عن النبيّ مدحًا لتلك الرايات المشرقيّة التي تُمهِّد للمهديّ سلطانه، وهي روايات كثيرة ذكرنا بعضها سابقًا في حلقات متقدّمة، ومن جملتها ما رواه ابن ماجه في سننه وهو من كتب السنّة الستّة الصحيحة عندهم بإسناده عن عبد الله قال: «**بينما نحن عند رسول الله إذ أقبل فتية من بني هاشم فلما رآهم النبي صلى الله عليه وآله اغرورقت عيناه وتغير لونه، قال: فقلت: ما نزال نرى في وجهك شيئًا نكرهه، فقال: «إنّا أهل بيت اختار الله لنا الأخرة على الدنيا، وإنّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريدًا وتطريدًا، حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخير فلا يُعطونه، فيقاتلون فينتصرون فيعطون ماسألوا فلا يقبلونه حتى يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطًا كما ملئوها جورًا، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم، ولو حبوا على الثلج**»[1].

(1) سنن ابن ماجة الجزء 3، باب خروج المهدي الصفحة 459 الحديث 4082.

كما أنّ النقاش العلميّ يقول إنّ القوم يخلطون أحيانًا بإرادة منهم، أو بلا إرادة، بين الحقّ والباطل فهم يقولون إنّ الأصحاب كلّهم على حقّ، وأنّهم أُمراء أهل الجنة في الوقت الذين يروون عن النبيّ أنّ أغلبهم يرتدّ بعد وفاه النبيّ ﷺ.

فلربّما كانت هذه الروايات القادحة بأهل المشرق هي موضوعة منهم، وإن كانوا قد رووا في كتبهم أيضًا روايات المدح لأهل المشرق، ولكن وجدنا في كتبهم أيضًا أنّ فتنة المشرق قد حدّدوا مكانها بغير مكان المشرق الذي مدحوا أهله، لأنّهم يوطئون للمهديّ سلطانه، ممّا يعني أنّ هذه الفتنة المشرقيّة هي غير الممدوحين من أهل المشرق الموطئيين. وقد رأيت أنّ الأمر التبس على المحدّثين السنّة في مَن هُم أهل المشرق أصحاب فتنة آخر الزمان. وقد وجدنا في سنن الترمذي رواية فتن المشرق حيث يطلع جذل الشيطان أنه أعقبه مباشرة برواية أخرى في نفس الباب ولم يُفرق بينهما بعنوان آخر، ممّا يوحي للقارئ أنّ هذه الرواية الثانية هي من نفس باب فتن المشرق بحسب رأي الترمذي، حيث روى بإسناده عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «**تخرج من خراسان رايات سود لا يردّها شيء حتى تنصب بإيلياء**»[1].

وهذا الحديث لا يناسب هذا الباب حسب رواياتهم، حيث أنّ الرايات الخراسانيّة السود التي لا يردّها شيء حتى تُنصب بإيلياء. قد وردت بالروايات الممدوحة عندهم وهي راية الخراساني الشيعي حسب ما رووه

(1) سنن الترمذي، الجزء 4، الصفحة 265، الحديث 2269.

هم في كتبهم وأسانيدهم الصحيحة. ولهذا حاول شرّاح هذا الحديث من علمائهم أن يُشير أن المقصود من هذه الرايات إنّما هي رايات أبي مسلم الخراساني مؤسس الدولة العباسيّة، ولكن هذا لا يتناسب مع كون هذه الرايات تمهّد للمهدي سلطانه بأنّ دولة بني العباس الأولى قد انقضت ومضت، وكانت مذمومة مقدوحة غير ممدوحة حتى في كتبهم. ولم تمهّد للمهديّ عليه السلام سلطانه بينما -وحسب منطوق أحاديثهم أن- هذه الرايات السود هي الرايات الممدوحة التي تمهد للمهدي عليه السلام؛ ووجدنا مثل هذا الخلط في كلمات ابن كثير كما هو ظاهر الخلط في الترمذي أيضًا.

فتنة النجدي

وهناك تحديد آخر للفتنة المشرقيّة ذكره البخاري في صحيحه في باب قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الفتنة من قبل المشرق في الحديث الرقم 7094 قال: «**حدّثنا علي بن عبد الله حدثنا أزهر بن سعد عن أبي عون عن نافع عن ابن عمر قال: ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أللهم بارك لنا في شامنا، أللهم بارك لنا في يمننا، قال: يارسول الله وفي نجدنا؟ قال اللّهم بارك لنا في شامنا، أللهم بارك لنا في يمننا، قالوا يا رسول الله وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان**»[1].

وفي الخبر هذا، أنّ هناك فتنة سوف تكون في «**نجد**» هي الفتنة المشرقية التي يخاف منها، وهي ليست بفتنة واحدة، وإنّما فيها الزلازل

(1) فتح الباري في شرح صحيح البخاري الجزء 12، الصفحة 52، الحديث 7094.

والفتن وبها يطلع قرن الشيطان، فهي أمّ الفتن التي يخاف منها وأنذر منها النبي ﷺ. فأين تكون نجد هذه؟

من الواضح في الخبر أنّ (نجْد) مكانًا مقابلًا إلى الشأم وإلى اليمن، وهذا المكان كان معروفًا في عهد النبي ﷺ باسمه، ولذلك طلبوا من النبي أن يدعو فيبارك لهم نجْدَهم، فلم يُبارك لهم النبي ﷺ ذلك، وإنّما قال: «**هنالك الزلازل، والفتن، ومنها يطلع قرن الشيطان**».

فهذه المنطقة كانت معروفة في زمان النبي وإنّ أهلها كانوا معروفين وينسبون إليها وهي نفس منطقة نجد الحالية المعروفة وينسب إليها النجديّون؛ وأمّا ما قاله الخطابي وغيره في شرح هذا الحديث بأنّ نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها، وهي مشرق أهل المدينة، وأصل النجد ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغور فإنّه ما انخفض منها، وتهامة كلها من الغور، ومكة من تهامة انتهى.

وعرف بهذا وعاء ماء قاله الداودي إنّ نجدًا من ناحية العراق، فإنّه توهم أنّ نجدًا موضع مخصوص، وليس كذلك بل كلّ شيء ارتفع بالنسبة إلى ما يليه يسمى المرتفع نجدًا أو المنخفض غورًا[1].

ولكن هذا تخرّص وادّعاء يتناقض كليًّا مع نص الحديث فضلًا عن ظاهره، الذي جعل نجدًا منطقة محدّدة معروفة كما هو الحال في الشام وفي اليمن. وليس غريب مثل هذه التخرّصات عند القوم فإنّها ناتجة عن

(1) المصدر نفسه، الجزء 13، الصفحة 54.

الأهواء التي تُتبع، والآراء التي تُبتدع، والتي تُزيغ المرء عن الحقّ وتوقعه بالباطلّ فإنّ نجد من بداية أمرها إلى الآن معروفة باسم نجد، وهي المنطقة المعروفة التي ظهر منها محمد بن عبد الوهاب النجدي بمذهبه وآرائه المبتدعة، والتي ملأت الدنيا ضلالاً وتكفيرًا، والذي سمّي بمذهب الوهابية نسبة إليه، وما طالبان، وابن لادن، والظواهري، والأسماء المنكرة الأخرى إلا من صنيعة مذهبه وفتنه. وها هي الفتن والزلازل قد أحرقت الأخضر واليابس من نجد، ولعلّ - والله تعالى العالم أنّ - كل ما ورد من الذم في أهل المشرق، والفتنة المشرقيّة إنّما كان يُقصد هذه الفتنة المشرقيّة بخصوصها، أو كانت تلك الأخبار موضوعة من أجل التمويه عن فتنة النجديّ التي امتدت الى المشرق والمغرب.

وبهذا يمكننا أن نفهم عدم ذكر فتنة المشرق في روايات أهل البيت عليهم السلام، لأنّ أهل المشرق أو الفتنة المشرقيّة إنّما هي من صنع أسلاف أتباع مدرسة الخلفاء السّنّة، وليست هي بأكثر من فتنة أهل نجد وتطوراتها، وأتباعهم الذين سمّوا بأسماء مختلفة، ولكنّهم جميعًا يرجعون إلى محمد عبد الوهاب النجدي.

نعم في الروايات والأحاديث الشيعيّة المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام أنّ هناك إشارات إلى قادة هذه الفتنة، وإن لم يكن قد حُدّد مكانها ولكنّهم ذكروا من البلايا والفتن التي تكون قبل ظهور المهديّ عجل الله فرجه، مثل اسم عبد الله الذي جاء في بعض الأخبار الصحيحة سندًا كما في مختصر المهتديّ عن كتاب الغيبة للفضل بن شاذان عن الإمام الصادق عليه السلام، ورواه الشيخ

في الغيبة بإسناده عن أبي بصير قال: «**سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول من يضمن لي موت عبد الله أضمن له القائم**»[1]. والرواية الأخرى ترتبط بعبد الله ولعلّها تفسر كونه ضمن دائرة بني فلان، فقد روى الشيخ الطوسي بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**لا يمكن فساد ملك بني فلان حتى يختلف سيفا بني فلان، فإذا اختلفا كان عند ذلك فساد ملكهم**»[2].

وفي رواية صحيحة سندًا مروية عن أبي الحسن الرضا عليه السلام والتي قد يُحدد فيها مكان بني فلان وهو في منطقة الحرمين مكة والمدينة وما يُلحق بها بما يُسمى بين الحرمين، وربما تشمل مساحة الأرض الموجودة حاليًّا تحت عنوان مملكة بني فلان، فقد قال الإمام الرضا عليه السلام: «**إنّ من علامات الفرج حدثًا يكون بين الحرمين، قلت: وأيّ شيء (يكون) الحدث؟ فقال: عصبّية تكون بين الحرمين، يقتل فلان من ولد فلان خمسة عشر كبشًا**»[3]. فما علاقة بني فلان في هذه الروايات وعبد الله الوارد فيها، فهل هو ضمن دائرة بني فلان وله علاقة بالحدث بين الحرمين[4]؟

الواقع أنّنا لا يمكننا أن نقطع بهذه النتيجة، وإن كانت مُحتملة من حيث طريقة الجمع بينهما، وهما متوالية ممّا يحتمل أن تكون الاثنان رواية

(1) الغيبة للشيخ الطوسي الصفحة 447، الجزء 445.

(2) المصدر نفسه، الصفحة 448، الحديث 446.

(3) المصدر نفسه، الصفحة 448، الحديث 447.

(4) وردت في مجموعة واحدة في كتاب الغيبة نقلها عن غيبة الفضل بن شاذان.

واحدة، أو أنّ هناك قرينة حذفت بالنقل على وحدة مكان وزمان هذه الروايات، وهذا أمر طبيعيّ في أخبارنا حيث وقعنا في مشكلة عويصة، لأنّ أكثر الروايات قد حذفت قرائنها نتيجة النقل عن النقل لاستغناء الناقل عن تلك القرينة رعاية للاختصار.

وما علاقة بني فلان ببني العباس والعباسي الذي ذُكر بروايات أخرى بما تحدثت به عن عباسيي آخر الزمان، وأنّهم يكونوا ضمن عصر حركة مقدمات الظهور كما في مجموعة من الروايات، نذكر ما روي عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إلزم الأرض، ولا تحرك يدًا ولا رجلًا حتى ترى علامات أذكرها لك وما أراك تدرك ذلك: اختلاف بني العباس، ومناد ينادي من السماء، وخسف قرية من قرى الشام تسمى الجابية، ونزول الترك الجزيرة، ونزول الروم الرملة، واختلاف كثير عن ذلك في كل أرض حتى تخرب الشام، ويكون سبب خرابها اجتماع ثلاث رايات فيها، راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفيانيّ»[1].

فمن المعلوم أنّ بني العباس في هذه الرواية هم غير بني العبّاس الذي كانوا في عصر الإمام الباقر عليه السلام، لأنّ هؤلاء يكونون في نفس الزمن الذي يكون فيه السفيانيّ والأصهب والأبقع وهو زمن الخراسانيّ السابق بزمن قليل جدًّا لظهور المولى عجل الله فرجه.

(1) مختصر كفاية المهتدي لمعرفة المهدي عليه السلام، الصفحتان 214 - 215.

ومن الواضح أيضًا هناك علاقة ضلال، واشتراك عداوة، ووحدة منهج بين عبد الله العدوّ لآل البيت عليهم السلام، والذي ينتظر الإمام عليه السلام موته، وبين بني العبّاس في هذه الرواية وفي الروايات الأخرى الذين يكونون في آخر الزمان، وبين بني فلان الذين يشهدون الحدث بين الحرمين والاختلاف فيما بينهم الذي يثلج قلوب الأئمة والشيعة، ولكنّهم جميعًا ضمن دائرة الاستفهام هل أنّهم وجود واحد، وحركة واحدة، ودولة واحدة، وتجمّع واحد، أو أنّ هناك اختلاف فيما بينهم من حيث العلاقة التجمعية فأحدهم دولة مثلًا، والآخر جماعة، والآخر دولة أخرى، والرابع كيان يستقل عنهم جميعًا. أو أنّهم واحدًا في المنهج العدواني لآل البيت والشيعة؟

لم يتضح لي من خلال سبر هذه الروايات وغيرها أنّهم جميعهم كيانًا واحدًا، بل الواضح لي هو أنّهم كيانات متعدّدة، ووجودات متعدّدة قد تتفق فيما بينها، وقد تختلف، وإن كانت مشتركة جميعًا في حربها على الشيعة والتشيّع.

ويؤيّد ما ذكرته، أنّ الروايات الشريفة قد تكلّمت عن كلّ جهة بنفسها بدون نسبتها إلى الجهات الأخرى ولكنّها جميعًا محل شنآن أهل البيت عليهم السلام وبغضهم.

ولا نريد هنا أن نتحدّث عنهم جميعًا في هذا الجزء من البحث، ولكن يأتي الحديث عنهم في سلسلة علامات الظهور في بحثنا، وأمّا ما يلزمنا من الحديث هنا إنّما هو عن العبّاسيّ وعن بني العبّاس وعلاقتهم

بالخراسانيّ الأوّل، الذي قلنا أنّ المقصود به الانتساب الفكريّ والسلوكيّ أكثر من الانتساب النسبيّ. والشيء الذي نريد أن نقوله أنّ بني العبّاس في آخر الزمان لهم تشابه كبير جدًا بالعبّاسيّين؛ فالعبّاسيّون الأوائل كانت شعاراتهم آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وإعادة الحق إلى أهله حتى أنّهم لبسوا السواد حزنًا على سيد الشهداء عليه السلام فكان شعارهم السواد، وعندما انقلبوا على مبادئهم بقيت تلك الشعارات المنحرفة ولكنّها خالية من مضامينها الأصيلة التي بقي الشيعة وحدهم يحتفلون بها. وصارت شعاراتهم بدل أن يلبسوا السواد على سيد الشهداء صاروا يحفروا قبر سيد الشهداء ليضيعوا معالم القبر الشريف.

وربّما يكون من السهل على المحقّق أن يوجد مقارنة بين العباسيين وبين بني فلان في منطقة الحرمين الشريفين لكثرة التشابه بينهما، فيدّعي أنّ المقصود من بني العباس في العصر المتأخر زمنًا، هم حسب التطبيق من التشابه الكبير في الصفات هم بني فلان الذين يحكمون منطقة الحرمين لمدة من الزمن، فهم يشتركون من حيث المبادىء والسلوك من جوانب كثيرة.

أوّلها: أنّ دولة بني العبّاس قد ابتنت على عنوان دينيّ مقدّس بالانتساب إلى رسول الله، وكذلك وجدنا أنّ دولة بني فلان المعاصرة (مثلًا) تعلن انتسابها إلى النبي تحت عنوان خدمة الحرمين الشريفين؛ وأنّها حاملة الدعوة الإسلاميّة، كما أنّها حافظة الشرع الشريف، وعلى أراضيها انتشر معالم الشرع الشريف ومدارسه، وفي كلّ سنة يطبعون ملايين النسخ من

القرآن الكريم ويوزعوها على الحجاج وفي أطراف الأرض،كما أنّ لهم فضائيات كثيرة تمتهن الدين والدفاع عنه حسب زعمهم.

وثانيها: أنّ الدولة الجديدة قامت بنفس الأسلوب الذي قامت به دولة بني العبّاس على السيف والعنف والقتل وتحت عنوان الدعوة الإسلاميّة.

وثالثها: أنّ هَمَّ ساستها ودعاتها هو محاربة فكر أهل البيت عليهم السلام وعقيدتهم وقتل شيعتهم وأتباعهم.

ورابعها: أن هذه الدولة المعاصرة تتبنّى برنامج التمدّد والتوسّع السلطويّ بنفس الأسلوب الذي كانت تتبنّاه دولة بني العبّاس الأولى، والفارق بينهما أنّ دولة بني العبّاس الأولى كانت تملك الجيوش القادرة على الفتح، بينما تملك الدولة المعاصرة الجيوش الفاتحة على الطريقة العصريّة المسماة بحرب المدن وحرب العصابات، وهي أخطر بنتائجها عن الحرب التي تسمّى بالحرب النظاميّة، ولكنّها بالنتيجة تُشكّل إمبراطوريّة عسكريّة غير معُلن عن اسمها.

فمن المعلوم أنّ جيوش الوهابيّة المنتشرة بالعالم تشكل وحدة مترابطة ومتواصلة، وإن لم تُعلن باسم الإمبراطورية الوهابيّة، ولكنها في الواقع تشكل الخطر الأكبر في القوى العالميّة المعاصرة. وهي مرتبطة بشكل واضح ومتحقّق برجال الدولة الوهابيّة في منطقة الحرمين، وإن حاولت الدولة التملّص من مسؤولية أعمال تلك الجيوش العلنيّة والسريّة، ولكن كثيرًا من رجال الدولة وتجّارها واقتصادها ومواردها الإنسانيّة البشريّة

ومواردها الأخرى واضحة المعالم من جهة تمويل هذه الإمبراطورية السرية أو العلنية كما تريد أن تسميها؛ فهو صحيح.

وخامسها: أنّ هذه الدولة ثريّة جدًّا. وهي ما عرف عن الدولة العبّاسيّة بالثراء حتّى صار الثراء معلمًا للدولة العباسيّة الأولى، فكتب قصص ألف ليلة وليلة المملوءه بحياة الترف والبذخ الخياليّ؛ وهذا ما نجده ويجده المصنفون في حياة وملوك وأمراء هذه الدولة المعاصرة، وهي قصص تملأ المجلات والصحف والكتب، ويكفي مراجعة كتاب (تاريخ آل سعود) لناصر السعيد.

وسادسها: أنّ دولة بني العبّاس بُنيت على اسم مؤسّسها واستمرت كذلك تحكم مئات السنوات، وهكذا وجدنا الأمر بالنسبة إلى دولة بني فلان التي تأسّست في القرن الثاني عشر الهجريّ القمريّ، وما زالت تحت اسم مؤسّسها، فأولئك بني العبّاس وهؤلاء بني فلان.

وسابعها: أنّ دولة بني العبّاس ابتنت على الحفاظ على الكيان، الذي هو الأسرة والعائلة الحاكمة، وحوت الآلاف من الأمراء؛ بعكس دولة بني أمية فلم يكن فيها من الأمراء إلّا عدد الأصابع إن وجدوا. ومع هذا لم تسمع في التاريخ الأمويّ من عناوين الأسرة أسماء الأمراء بينما كانت في الدولة العبّاسيّة عناوين الأمراء كثيرة، وتملك القدرة الماليّة والثروات الموزّعة على أولئك الأمراء. وهذا ما لم نجده في التاريخ بهذا الشكل إلّا في دولة بني فلان التي تحوي على عشرات الآلاف من الأمراء الأثرياء أصحاب السلطة والثروة والمال، وكلّهم معترف بهم في قانون الأسرة

والعائلة. ولم نجد في الأُسر الحاكمة الملوكيّة حتى التي حكمت أوروبا في القرون الوسطى، هذه الصورة من كثرة الأمراء الأغنياء والمالكين للقدرة والسلطة إلّا في الدولة العبّاسيّة ودولة بني فلان المعاصرة.

وثامنها: الموقع المهم الدوليّ في خريطة العالم الذي كانت تشكّله دولة بني العبّاس في علاقاتها مع دول الشرق والغرب، وهذا ما نشاهده في دولة بني فلان، حيث أصبحت فيما تمتلكه من ثروة ونفط تتدخّل في السياسات الدوليّة، سواء على مستوى الإقليم أو على المستويات العالميّة. وإذا أردنا أن نتوسع بأوجه الشبه فهناك نقاط أخرى يمكننا أن نثبتها بما يُركز التشابه الوثيق بين دولة بني العبّاس الأولى وهذه الدولة التي ظهرت في آخر الأزمنة. ولم نجد لها شبهًا في دولة بني أمية وإنّما هي تشبه إلى حدّ كبير جدًّا الدولة العبّاسيّة حتّى في شعاراتها وأفكارها ومبادئها وقيمها، ولولا سببين لجزمنا أنّها المقصودة من دولة بني العبّاس في آخر الزمان:

1- اختلاف النسب، فإنّ هؤلاء ينتسبون إلى قبيلة عنزة، وهي قبيلة غير قرشيّة قطعًا لا يمتّون بصلة إلى بني العبّاس فلماذا ذكروا بهذا الاسم؟.

وربّما يُجاب عليه أنّ المقصود من دولة بني العبّاس هو الكيان الذي كان موجودًا في ذلك الزمان، وليس المقصود به العائلة والأسرة. فمن المعلوم أنّ دولة بني العبّاس كانت مشكلة من نظام الخليفة والأمراء والعائلة المالكة، وأمّا الوزراء والقادة العسكريّين فإنّهم كانوا من غير بني

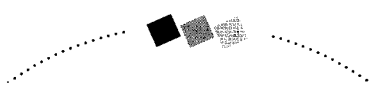

العبّاس، في جميع أدوار التاريخ العبّاسيّ وكانت إدارة الدولة بيد الوزراء والقادة، فحينئذٍ ينحل الإشكال باعتبار أنّ المقصود من بني العبّاس في آخر الزمان ليس النسب، وإنّما المقصود هو الجهة الحاكمة، ولن يشترط بالجهة الحاكمة الانتساب إلى العبّاس بوجه من الوجوه.

كما أنّ هناك من يُشكّك في صحة نسب كثير من بني العبّاس نتيجة لشيوع الزنا والفساد الذي انتشر في قصور ملوكهم، واختلاف المياه والأنساب فيما بينهم، فحينئذٍ إن صحّ مثل هذا الاحتمال الذي لا نجزم به، فيكون الحال بين الأسرتين واحد، كما هو معروف في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئيّة في صحّة انتساب هؤلاء الأمراء الجدد، الذي نجد أنّ الواحد منهم أقلّ ما ينتسب إليه العشرات؛ فيكون الواحد منهم ينتسب إليه العشرات من ظهره أو بمساعدة الآخرين في انتاجهم. وهو ما نجده في شخص واحد عاش في الأربعينات والخمسينات في القرن الماضي، وقد خلّف أسرة في خلال الخمسين سنة، فيها عشرات الآلاف من الذرية المنسوبة إليه؟!

2- يتعلّق بالموقع الجغرافيّ حيث إنّ مرابع الدولة العباسيّة كانت في بغداد فيما نجد الروايات الشريفة تتحدّث عن دولة بني العباس مطلقة دون تحديد منطقة ظهورها، ممّا أفرز تصورًا أوّليًّا لدى متتبّعي أحداث آخر الزمان بأنّ هذه الدولة العبّاسيّة الثانية والأخيرة سوف تظهر وتتأسّس في بغداد أيضًا. وقد ساعدهم على هذا التصوّر انصراف نشوء السفيانيّ في بلاد الشامّ واتخاذ دمشق عاصمة له.

فنشأ مقابل هذه الحتمية التاريخيّة المستقبليّة افتراض أنّ عاصمة بني العبّاس الأخيرة في زمن آخر الزمان، سوف تكون في بغداد ضمن تركيبة خريطة المقاربات التي سوف تحدث في جغرافيّة زمان قبل الظهور.

ويبدو أنّ مَيَّالي هذا التصوّر تكوّنت عندهم هذه الرؤية بهذا الفرز الذي بيّنّاه، بشكلٍ أشبه ما يكون في مقادير اليقين بأنّه قرب دائرة البديهة أو في حدودها، ولذلك نراهم قد استغنوا عن الدليل والاستدلال على ما فرز في أذهانهم من معرفة عاصمة دولة بني العباس، بينما يُلزم البحث العلميّ عدم الانسياق بهذا الاتجاه لفقدان الدليل من النص على موقع هذه الدولة العباسيّة الأخيرة جغرافيًا. فلم نجد في النصوص الحاكية عن المستقبل والمتحدّثة عن بني العباس ودولتهم الأخيرة أنّها سوف تكون في بغداد، كما أنّنا لم نجد في النصوص أنّ الحديث عن بني العباس مقارنًا بالحديث عن دولة بني أميّة، ولا يوجد تناسب بين حدوث الدولتين، حتى يُقال بعودة الدولتين. فإنّنا نعلم علم اليقين أنّ دولة بني أمية قد تحدّثت الروايات عنها باعتبار أنها تُمثّل كيان السفيانيّ الذي يتصل نسبه بأبي سفيان، ولا يتصل نسبه بمروان، مع العلم أنّ الدولة الأمويّة المنتسبة لأبي سفيان ما حكم بها إلا معاوية وابنه يزيد لعنهما الله تعالى. بينما كانت الدولة ممتدة على طول تاريخها ببني مروان وكانت هناك عداوة بين بني مروان وبين أبي سفيان ولم يجمعهما إلا المصالح المشتركة.

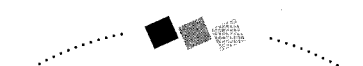

والمعروف في التاريخ أنّ معاوية هو السبب الأساسي في قتل عثمان بن عفان. وكان مروان يعرف ذلك ولكنه كتمه في نفسه ولم يعلمه آنذاك لدهائه، وكان ينتظر الفرصة السانحة لأخذ ثأره لأنّ عثمان كان من جناح مروان النسبي والسببي؛ ولذلك لم يذهب مروان إلى معاوية ويشركه في مسألة طلب الثأر بدم عثمان وإنّما رفضه في البداية، وجاء محفزًا الأبعدين عنه، وهما طلحة والزبير، وقد عقد الاتفاقيات فيما بينهما، مع أنّه كان يعلم أنّ طلحة والزبير ممّن اشتركا في دم عثمان، ولكنّه خيَّر نفسه بين قريبه الذي كان السبب الأساسيّ في قتل عثمان وهو معاوية وبين غريميه اللذين اشتركا بالتأليب على عثمان بمقدار ما اشتركت فيه أم المؤمنين عائشة بذلك التأليب الذي أدّى إلى مصرع الخليفة عثمان.

وقد علمنا في التاريخ أيضًا أنّ مروان لم يذهب إلى معاوية بعد حرب الجمل وإنّما ذهب إلى مكة والمدينة طمعًا منه لإعمال ثغرة جديدة. ولكنه حين قَصُرت يداه وقويت شوكة معاوية خضع للأمر الواقع ورجع متعاملًا مع معاوية في إسقاط دولة أمير المؤمنين عليه السلام.

ولم نجد لمروان دورًا بارزًا وواضحًا في معارك معاوية مع ما عُرف عنه من دهاء وبلاء، بعكس ما كان من دور واضح لعمرو بن العاص، أخو معاوية من أمه أو أبيه، نسب الزنا كما نصّ التاريخ على ذلك، بأنّ كلّ واحد منهما وُلِد بزنية من أبي سفيان، وضاعت النطفة بين عدة رجال اختارت الزانية الرجل الذي تنسب مولودها من الزنا إليه.

والتاريخ يُحدثنا بأن السفيانيّ سوف لا يجدّد دولة بني أمية لأنها دولة

بني مروان، وإنما يقوم بدولته بالشكل الذي لا يرتبط بالدولة الأمويّة الأولى، فهو ينتسب إلى أبي سفيان بنحو من النسب الذي سوف نفصّل الحديث عنه إن شاء الله تعالى عندما نتحدث عن السفيانيّ نفسه.

إنَّ الروايات التي تحدّثت عن دولة السفيانيّ قد جعلت الوضع التاريخي لها يمس الزمن التاريخي الذي يظهر به المهدي عليه السلام، ونجد أنّ الحديث عن بني العباس ودولتهم لم يدخل زمنيًّا في حدّ القرب الذي تشهده دولة السفيانيّ. وكذلك نجد فرقًا زمنيًّا بين دولة بني العباس الأخيرة ودولة السفيانيّ دون تحديد لهذا المقدار الزمني.

وبالنتيجة نفهم خطأ المقاربة بين العباسيّين والأمويّين، فإنّه لا توجد أيّ رابطة أو علاقة في مستقبل التاريخ، وما حدث في الزمن الأول من نشوء الدولتين، فكلّ واحدة منهما له حديث مستقل بنفسه، وعليه فإنّ عدم ذكر مكان قيام دولة بني العباس في آخر الزمان، تحتاج إلى أدلّة واضحة بالنص الصحيح على مكان قيامها، ولكنّنا وجدنا الروايات الصحيحة قد أغمضت وأهملت اسم المكان الذي سوف تظهر فيه دولة بني العباس في آخر الزمان، ممّا يعني أنّ هذا الإغماض والإهمال مقصود بنفسه وقد تُرك للقضاء والقدر المعلق بالبداء تحديد مكان هذه الدولة في مستقبل الأيام.

ونصل في نهاية التحقيق، إلى حقيقة أنّ دولة بني العباس في آخر الزمان يمكن أن تحدث وتقوم في أي منطقة تتوفر فيها الظروف المساعدة لقيام هذه الدولة. فلا يمكن لهذا السبب أن يكون مانعًا في ادّعاء أنّ دولة

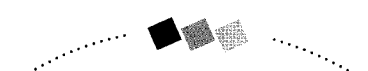

بني فلان هي دولة بني العباس في آخر الزمان، خصوصًا أنّنا قد وجدنا أنّ هذه الدولة تتركّب من كيانين:

الكيان الأول: المحكوم بالحدود الإقليميّة والمعاهدات الدوليّة والذي يملك القرار الرسميّ والمسماة باسم مؤسّسها.

الكيان الثاني: هو روح هذه الدولة الذي يستمد منها ديمومتها، والمتمثّل بعنوان الدين والمذهب ومؤسساته الدينيّة.

ومن البديهي تاريخيًّا أنّهم ومنذ بداية تأسيس الحكومة العباسيّة الجديدة، هناك اتفاق بين الكيانَين وقد مثّل الكيان الأول مؤسس هذه الدولة الزعيم السياسيّ والعسكريّ آنذاك (سعود بن عبد العزيز) وبين مؤسّس الكيان الثاني (الشيخ محمّد بن عبد الوهاب) وصار بينهما اتفاق تاريخيّ بأنّ الأوّل وذريته يحكمون دولة السياسة، والثاني وذريته يحكم دولة الدين؛ وما زالت السياسة في يد آل فلان، كما أنّه ما زالت الديانة بيد (آل الشيخ) ولم يتجاوز من هذه العائلة إلى غيرها.

وقد وجدنا العلاقة الوطيدة بين طرفي الحكم في داخل المملكة، بحيث نجد آثار كلّ كيان من هذين الكيانين ملموسة في جميع مدن وقرى المملكة.

كما وجدنا أنّ الموضوع يتغيّر خارج المملكة، حيث يبقى الكيان الأول السياسيّ يتعامل مع الدولة الأخرى طبق الموازين التي يمكنه أن يتعامل بها مع الدول، فيكون هذا الكيان في وضع محرج أحيانًا من تصرّفات الكيان الثاني، ويبقى دائمًا محكومًا بالسياسة الدوليّة، فهو دولة كسائر

الدول لا يتعدّى حدود مملكته إلا بمقدار بسط النفوذ السياسيّ المتوافق مع مصالح الدول الكبرى والعظمى.

بينما نجد الكيان الثاني يشكل الإمبراطورية العظمى الخطرة على المجتمع الإنسانيّ بشكل عام وعلى المسلمين بشكلٍ خاص. حيث يُسمح لهذا الكيان بالتمدّد السلطويّ بتجاوز الحدود الجغرافيّة للمملكة، وقد ساعدته على هذا التمدد النزاعات الدولية؛ وبالأخص في أيام الحرب الباردة بين القطبين، ممّا سمح لهذا الكيان أن يبني الجيوش السرية العالمية، ويُهدد المصالح الشرقية في حربه في مناطق القوقاز والشيشان، ويُجند جيوشًا من شتى أنحاء العالم في حربه (المقدسة) في أفغانستان وامتدادها إلى باكستان، وهكذا يتمدّد إلى شمال أفريقيا، ثم إلى جنوبها، ويتسع ليصل إلى جنوب أسيا، وبعدها ينتشر في جميع القارات بلا استثناء.

وقد بَنى هذا الجيش بتخطيط سرّي أشرف عليه في البداية كبار رجال الاستخبارات في العالم (الـ سي آي إي) ثم تمكّن هذا التنظيم بالتمدّد على مؤسّسه أيضًا وحَمل العنوان الذي حمله بنو العباس؛ ولبِس أفراده السواد كما لبِسه بني العباس، وكانت راياتهم سوداء كرايات بني العباس. فهلا يكفي هذا المقدار بين التشابه الكبير بينهم وبين دولة أبو مسلم الخراساني، وأبو العباس السفاح، وأبو سلمة الخلال، وأبو منصور الدوانيقي مع ما يقوم به أقطاب هذا التنظيم ممّن غَبَر وممَّن حضر كالزرقاوي وابن لادن والظواهري وأبو بكر البغدادي وغيرهم من الأسماء؟.

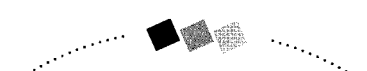

الفصل الثاني

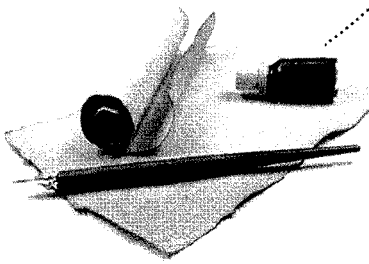

المسير الخراساني ومناطق النفوذ

(جغرافيّا وديموغرافيّا)

المبحث الأول:

جغرافيّة حركة الخراسانيّ

قد يكون الحديث عن الجغرافيّة التي يتحرّك فيها الخراسانيّ غريبًا ومستهجنًا، باعتبار أنّ موضوع خروج الخراسانيّ من خراسان معروف بين الكُتّاب الذين كتبوا عن علائم الظهور، ولكنّنا عند تحركنا في روايات علامات الظهور وجدنا أنّ أرض الخراسانيّ التي يظهر منها هي المشرق، ثمّ تمتدّ سلطنته على مواطنٍ أخرى من الأرض فتشمل في بعض تلك الروايات المشرق بإطلاقه، والذي يمتدّ إلى بلدانٍ كثيرة طبق التقسيمات الجغرافيّة المعاصرة للبلدان عكس ما كانت عليها جغرافيا المشرق في عصر النصّ الشريف.

كما إنّنا قد حصلنا، وحصل الكُتّاب الآخرون الّذين كتبوا في روايات علامات الظهور، على أنّ للخراسانيّ قبل ظهور الإمام عليه السلام وجود في بعض مناطق العراق مثل ظهر الكوفة وبعضها أتت على اسم الزوراء، ولكنّ المجلسيّ وغيره قد تكلّم عمّا هو المقصود منها: هل أنّ المقصود منها بغداد، أو أنّ المقصود منها الريّ، أو أنّ المقصود منها مكان آخر؟.

وفي بعض الروايات أنّ الخراسانيّ يكون له وجود في العراق، ولم يحدّد فيها المقصود بكلمة العراق. فما هو المقصود من كلمة المشرق؟

من قبل المشرق

جاء في بعض الروايات الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**تجيء الرايات السود من قبل المشرق، كأنّ قلوبهم زُبر الحديد، فمن سمع بهم فليأتهم وليبايعهم ولو حبوًا على الثلج**»[1]؛ وظاهر مثل هذه الروايات التي تُعبّر، عن حركة الرايات السود بعبارة (تجيء) تولد أكثر من استفهام عن المقصود من هذه الجملة؛ التي من جملتها أنّ الرايات السود تبتدئ حركتها من المشرق، إلّا أنّنا نجد في هذه الرواية أنّها حينما تتحرّك سوف يختفي مسار اتّجاهها، والسؤال هنا، إلى أيّ اتّجاه سوف تتجّه ليتحرّك نحوها الآخرون؟

وقد يُجاب عن هذا السؤال: بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عندما يقول (تجيء الرايات السود) أنّه يتحدّث عن المكان الذي هو فيه، ممّا يعني أنّ حركة الخراسانيّ سيكون اتّجاهها إلى جهة المدينة ومكّة.

وربّما يسأل آخر عن استخدامات كلمة (تجيء) فهل هي تستعمل فقط في المكان، حتّى يُجاب بذلك الجواب ويُستظهر ذلك الظهور؛ أم أنّ كلمة (تجيء) تستخدم للزمان أيضًا في لغة العرب فمن أين لكم أن تصرفوا الظهور إلى المعنى المكانيّ دون الزمانيّ؟

ولربّما كان النبيّ يتحدّث عن الفترة الزمنيّة القادمة التي سوف تأتي، وظهور الرايات السود من المشرق «**فأتوها ولو حبوًا على الثلج**». وحتّى

(1) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء 51، الصفحة 84.

لو بقيت في مكانها الشرقيّ ولم تتجاوزه إلى جهة جغرافيّة أخرى.

والحقّ أنّ الظهور لكلمة (تجيء) في هذه الرواية هي للمعنى المكانيّ، ولذلك عَبّر (فليأتهم)، ولم يعبّر عنه (فليذهب إليهم) وكلمة الإتيان للقريب ولا تستعمل للبعيد إلّا باستعمالات مجازيّة؛ كما يؤيّد هذا المعنى عبارة «**ولو حبوًا على الثلج**» تلازم العبارة أنّ الآخرين يتحرّكون بشكل بطيء وليس بشكل حثيث بسبب القرب، وليس من المنطق أن يتمّ الكلام مع أناس يعيشون الآلآف من الكيلومترات ويقولون لهم احبوا إلى أهل المشرق، ومع هذا وذاك فإنّنا عندما نتعامل مع رواية من هذه الروايات فلا يمكننا أن نتعامل مع كلّ رواية لوحدها مع غضّ النظر عن غيرها من الروايات التي جاءت بالبين؛ وإنّما نتعامل مع مجموعها باعتبار أنّ الواحدة منها تفسير للروايات الأخرى التي جاءت في مضمونها، وهذا الموضوع يحتاج إلى تفصيل في البيان واستشهادات واستدلالات تعطينا القناعة في حدود المكان الذي يتواجد فيه الخراسانيّ بعد ظهوره.

ومن الخطأ بمكان الخلط بين حركة الخراسانيّ في جوانب الأرض في أيّام إرهاصات ظهور المولى عجّل الله فرجه التي تعتبر هي الأيّام الحاسمة في تحديد مواقع المعارك الكبرى والملاحم العظمى التي سوف تكون قبل انتصاره وانتشار حكومته في أصقاع العالم، والخلط بين الجغرافيّة التي ستتوافر للخراسانيّ في مدّة بدايات إنشاء دولته وحركته. ولا يخفى أنّ للخراسانيّ معارك مختلفة تمامًا بين بداية وجوده والتي تتمّ بتسليمه مقاليد سلطانه وبين دولته للمولى عليه السلام.

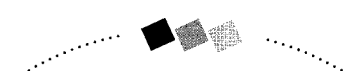

وممّا لا إشكال فيه أنّ الخراسانيّ وكذلك الأمر في اليمانيّ والسفيانيّ، لا يظهر أيٌّ منهما من دون سابق إنذار وبلا أيّ مقدمّات، فلا بُدّ من وجود مقدّمات يتحرّك فيها كلٌّ منهم بشكل طبيعيّ. ونحن نعتبر أنّ الذين كتبوا التاريخ الإسلاميّ مثل الطبريّ والمسعوديّ واليعقوبيّ وابن الأعثم، كانوا سذّجًا لا يعلمون أنّ التاريخ لا يُكتب بتلك البساطة والسذاجة، وبحلقات غير مرتبطة بعضها البعض. وقد وجدناهم يتحّدثون عن الحوادث التاريخيّة بطريقة ساذجة بدون إلتفات منهم إلى الدوافع التاريخيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة فضلًا عن الدوافع الحضاريّة، وقد وجدنا أنّ أسذج من كتب التاريخ بهذه الطريقة البدائيّة هو ابن كثير في **البداية والنهاية** وابن الأثير في كامله.

وقد يكون الكاتب التاريخيّ غير ساذج ولا بسيط، أو قد يكون عالمًا من علماء التاريخ، وذكيًّا ونابغة في معرفة الظروف الطبيعيّة لوقوع الحدث التأريخيّ الذي سيكون مُعبّرًا عن فترة زمنيّة من تأريخ حضارة هذه الأمّة أو تلك. لكنّه مع ذلك يُهمل البحث عن الدوافع الحقيقيّة التي كمنت وراء هذا الحدث؛ مثلًا: قد تكون هناك أسباب دينيّة أو مذهبيّة أو اقتصاديّة أو اجتماعيّة أو فكريّة أو غير ذلك، لقيام هذا الحدث أو الحدث الآخر، ولكنّنا وجدنا هذا المؤرخ الألمعيّ، قد تغافل عن عمد تلك الأسباب كلّيًّا ولم يذكرها، بل ولم يُشِر إليها وكان السرّ وراء هذا الموقف هو إرضاء السلطات عنه لعدم كتابة الحقيقة كاملة.

وقد وجدنا أنّ أبرز شخصيّة كاتبة للتاريخ عبّرت عن هذا الموقف هو

العالم الاجتماعيّ المؤسّس الكبير لعلم الاجتماع وعلوم الحضارة ابن خلدون؛ عبد الرحمن بن محمّد في تاريخه الكبير المُسمّى كتاب العبر، ديوان المبتدأ والخبر، في أيّام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.

فإنّنا وجدناه قد أبدع في مقدّمة تاريخيّة بالحديث عن الأسباب الموضوعيّة والعلميّة لنشوء الحضارات وتطوّرها. ولكنّه كان أسذج ما يكون عندما كتب التاريخ في باقي كتابه، فإنّه سار على نفس المنوال والطريقة التي سار عليها أسلافه في كتابة التأريخ. وقد جانب الحقيقة في كثير من المواطن التي اتّبع فيها السلطان، أو مال إلى الصوت المذهبيّ، الذي نطق في خلده، فتجاوز الحقيقة وانحاز الى ظلمات دهاليز السياسة بتحامله على الشيعة بلغة البربر.

وعودًا على بدء، إذا أردنا جغرافيّة حركة الخراسانيّ، فعلينا أن نفرّق بين فترتين من الزمن الذي يتحرّك فيه؛ فإنّ جغرافيّة حركته في البداية هي قطعًا غير جغرافيّة حركته في النهاية، ولذلك سوف نتحدّث إن شاء الله عن حدود المناطق التي يتحرّك فيها إلى حين يأتي المولى عجّل الله فرجه، ويسلم سلطنته له.

وهذه الفترة الزمنيّة لا تكون محدّدة الأبعاد، بل محكومة بطولها أو قصرها بالظروف المتغيّرة التي لم يتحدّث عنها المعصومون عليهم السلام، وتركوها لمستقبل التاريخ. والتي قد فهم العلّامة المجلسيّ رحمه الله من هذا الإهمال المتعمّد من المعصومين أنّ السبب يعود بتعلّق البداء بها.

ويتعرّض البحث أيضًا إلى الإشارة إلى سكّان تلك الأرض والقوميّات التي تسكنها، فالباحث المنصف يلزمه الحديث عن دراسة الإنسان كما يلزمه دراسة الأرض التي تحتضن الحدث، وكما يكون للأرض خصوصيّة وتكون لخصوصيّات تلك الأرض أدوار طبيعيّة في صناعة ذلك الحدث، فكذلك فإنَّ للإنسان والقوميّات البشريّة الدور الكبير في صناعة الحوادث التاريخيّة والمستقبل على الأرض.

وقد وجدنا الروايات التي تحدّثت عن جغرافيّة حركة الخراسانيّ، أنّها ذكرت مناطق وأسماء كانت تُطلق في مرحلة وجود المعصومين على مناطق جغرافيّة تغيّرت أسماؤها أو تبدّلت حدودها، فإمّا أنّها قد توسّعت فشملت مناطق أخرى، أو تضيّقت فخرج من مساحتها مناطق أخرى.

وهناك مناطق مختلفة تشترك بالأسماء لا يعلم في بعض الأحيان ما هو المقصود منها بالضبط، وهذا الموضوع لا يختصّ بمسألة الخراسانيّ فقط، وإنّما هو يشمل جميع أسماء المدن والقرى التي ورد ذكرها في روايات علامات الظهور مثل اسم الزوراء والرملة، والكوفة، والعراق، وطالقان، وسجستان، وما وراء النهر، وغيرها من الألفاظ التي كانت تستخدم في حينها لمعنى جغرافيّ يطلق على مكان خاصّ لحدود معيّنة، قد طرأ بعد ذلك بمرور الزمن تغيّر على الموضع فسمّي باسم آخر، أو تغيّرت حدود الجغرافيا أو كان في زمن المعصومين عليهم السلام أنّ الاسم يُطلق على عدّة مواقع وليس على موقع واحد.

فهل يُمكننا أن نفهم هذه المواقع من خلال كتاب معجم البلدان الذي ألّفه ياقوت الحمويّ المتوفّي سنة 626 هجريّة قمريّة الذي جرى على هذا المنهج أغلبَ، إن لم يكن جميعَ، من كتب تحليلات علامات الظهور مستعينًا بالمنسوب من الأخبار إلى النبيّ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام؟ وقد وجدناهم يحلّون الإشكال الذي ذكرناه مستعينين بهذا الكتاب أو كتاب مراصد الاطلاع وهو من تأليف صفيّ الدين ابن عبد الحق المتوفي سنة 739 هجريّ قمريّ.

وقيل إنّه من اختصار ياقوت نفسه كما في الذريعة لآغا بزرك الطهراني[1]. ومن المعروف تأخير ياقوت الحموي بزمنٍ كبير عن زمن المعصومين. وبتلك الفترة الزمنيّة قد تغيّرت أسماء المدن وأسماء المناطق وجغرافيّتها، فلا يمكننا أن نعتبر ما في معجم البلدان أو مراصد الاطلاع المصدر المفسّر لجغرافيّة الروايات الشريفة لاحتمال تغيّر الحدود الجغرافيّة، أو تبدّل أسمائها كما هو الحال عليه في الأسماء والحدود.

وحينئذٍ فهل يمكننا أن ندّعي أنّ الأئمّة عليهم السلام قصدوا بتلك المناطق الجغرافيّة المناطق الجغرافيّة في عصر الظهور؟ أو عصر يكون فيه الحدث التاريخيّ المستقبليّ لعلامات الظهور باعتبار أنّ الأئمة عليهم السلام يعلمون بالتغيّرات التي ستحدث على الأرض وعلى تلك الأسماء؟.

(1) آغا بزرك الطهراني، الذريعة (بيروت: دار الأضواء)، مجلّد 20، الصفحة 300.

ولا يمكننا أن نقبل بهذا الرأي إلّا إذا قلنا إنّ الأئمّة لم يخاطبوا المشافهين في أحاديثهم ورواياتهم الشريفة، وهذا يتعارض ويتناقض بالكليّة مع المبنى الأصوليّ القائل بأنّ الأوامر والنواهي والخطابات الصادرة من المعصومين عليهم السلام، إنّما خوطب بها المشافهين فقط، وتنجر تلك الخطابات إلى باقي المكلّفين باعتبار أنّ الشريعة المقدّسة لجميع العالمين بلا استثناء.

إلّا أنّه يمكننا الإجابة على هذا الإشكال العلميّ بأمرين:

الأوّل: إذا كنّا غير ملتزمين بمبنى: إنّ الخطاب موجّه إلى المشافهين؛ بل العكس من ذلك إذا التزمنا بأنّ الخطاب يشمل الأعمّ، فالجواب يكون جوابًا مبنائيًّا بالتعبير الأصوليّ، وينفع للقائلين بهذا المبنى، وبطبيعة الأجوبة المبنائيّة تكون محدودة التداول وضيّقة الأفق ولا تصلح للمحاججات الكلّيّة، بل تصلح في بعض دوائر الأجوبة النقضية كما قد حقّقناه في محلّه.

الثاني: أن نلتزم بالقاعدة الأصوليّة القائلة بأنّ خطابات المعصومين عليهم السلام موجّهة للمشافهين إلّا في علامات الظهور وما بعد الظهور، فإنّها خارجة تخصصًا منها، وذلك أنّه في علم الأئمّة عليهم السلام معلوم أنّ الظهور لا يتمّ في وجودهم الشريف بل يكون في آخر الدول والأمم، بحيث أنّ من يتحدّثون معهم مشافهة في زمانهم غير موجودين قطعًا، فسوف يكون الحديث إمّا عبثيّ (أعوذ بالله تعالى) لأنّهم يوصونهم بوصايا ويخبرونهم بقضايا لا يحضروها ولا يشهدوها، ولا يحضرها ولا

يشهدها جيل العشرين من ذراريهم، وإمّا أن يكون المقصود من حديث الأئمّة من هؤلاء ليس هم المشافهين وإنّما المقصود بهم أنّهم يتحدّثون مع الجيل الذي يكون حاضرًا في زمان علامات الظهور أو حاضرًا في عصر الظهور.

وبما أنّ من المستحيل أن يتحدّثوا معهم لأنّهم معدومون، فسوف يكون الحديث مع المعاصرين للمعصومين على نحو المرآة فقط، فلم يكونوا هم المقصودين بالحديث، وإنّما المقصود بالحديث هو من يأتي في الأزمان القادمة وليس وجودهم في الحديث مع الأئمة إلّا من قبيل الواسطة، مثل المرآة التي يستخدمها الطبيب عندما يعالج المريض. فالمرآة الكاشفة على الموضع الذي يحرم عليه رؤيته مباشرةً يستعين بها، وهو استعمال مجازيّ ليس إلّا، وهو يُريد بالأوّل والآخر أن ينظر الى موضع العضو المريض. وبما أنّه لا يستطيع لحرمة النظر، فهو يستعين بالمرآة ليتوصّل بها لمعرفة طبيعة المرض، وكيف يمكنه أن يعالجه.

وطبق هذه النظريّة فسوف تكون جغرافيّة الأماكن الواردة في علامات الظهور أو عصر الظهور هي الأماكن الحالية وليست التاريخيّة.

والحقّ أنّ الأنسب مع خطابات المعصومين عليهم السلام هو هذا المنهج الأخير، لأنّهم يُريدون أن يُفهِمُوا المعاصرين للحدث، ولا يُريدون أن يتحدّثوا مع معاصريهم لمجرّد الإخبار الخالي من المغزى والمقاصد العمليّة.

وعليه، فلننظر في هذه الأماكن ونقول: ما هو السبب الذي يجعل الخراسانيّ يتحرّك في هذه الأرض التي ورد اسمها في كثير من روايات الخراسانيّ في المشرق ؛ وأفترض في الجواب: أن يكون المقصود بالمشرق هي البلاد المُعبّر عنها حاليًّا بإيران، وبما أنّ خراسان تقع حاليًّا ضمن دائرة إيران الجغرافيّة فيكون من الطبيعيّ جدًا أنّ نجد الخراسانيّ يتحرّك من هذه الجغرافيا.

ومن هذا، وجدنا بعض الكتّاب الذين ألّفوا في علامات الظهور أنّهم توسّعوا في الحديث الجغرافيّ ليشمل القوميّات التي تسكن تلك الأرض، ويستعين بروايات كتاب أخبار أصفهان الحافظ أبي نعيم أحمد بن إسحاق الأصفهاني المتوفي سنة 430 هـ، وغيرها التي تتحدّث عن مناقب الفرس، ويستعين أيضًا ببعض الأخبار ويطبّقها على مدن الجغرافيا الحديثة التي تقطنها قوميّات أخرى من الترك والبلوش والكرد والعرب وغيرهم، وكلّ هذه القوميّات لهم تاريخ مشترك في مجد إيران وعظمتها خصوصًا بعد انتصار الثورة الإسلاميّة المباركة.

إنّ هذا المنهج لا يتلاءم مع موقع الخراسانيّ المحرّر للمشرق والمخلّص للمظلومين فيه، فهو صاحب مبادئ عُليا وعقيدة علويّة صافية أكبر من القيم القوميّة والجغرافيا، ويتعالى بعظمته على كلّ المنخفضات الفكريّة والأهداف الضيّقة، فهو يعيش الهمّ الكبير الذي يفكّر بالمستضعفين. وقد شغل ذهنه هدف التوطئة للمهديّ عليه السلام، كما ورد في النصّ الشريف عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، أنّه عبّر عن الخراسانيّ وجيشه وقواه بعبارة

«**الموطئون للمهدي سلطانه**»، وهنا نحتاج إلى وضوح في فهم الجغرافية التي يتحرّك فيها من خلال معرفة حدود المشرق وسلطنته على هذه الدائرة الجغرافيّة.

فهل المقصود بالشرق والمشرق هو الشرق الأوسط؟ أم أنّ المقصود بالمشرق هو المشرق الذي كان معروفًا عند أهل المدينة، ويشمل جميع البلدان التي في مشرقهم ومنها نجد والخليج والعراق وإيران وأفغانستان، بالإضافة إلى مناطق أخرى تقع ضمن هذه الدائرة الجغرافيّة.

وبتتبّع واستقراء أسماء المناطق التي يتحرّك فيها الخراسانيّ نجده يتّخذ من بعض البلدان أماكن استقرار لقوّته وقدرته وسطوته ودولته. كما أنّ له مناطق نفوذ يمتدّ إليها وجوده وتمتدّ اليها سلطته على نحو الحكم المباشر، وبحكم النفوذ السياسيّ الذي يتمتّع به. وقد وجدنا في الروايات التي تحدّثت بوضوح عن امتداد سلطته إلى العراق التاريخيّ (الكوفة والبصرة) والأماكن الممتدّة فيما بينها، كما وجدنا وضوحًا أيضًا في امتداد نفوذه إلى زوراء العراق.

وقد تحدّثت بعض الروايات عن مدينة الزوراء التي تُبنى في آخر الزمان، كما في خبر الخصال للصدوق رضوان الله عليه بإسناده عن الأعمش وبإسناده إلى مسلم بن خالد الزنجي عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده عليه السلام:

«**ستّة عشر صنفًا من أمّة جدّي لا يحبّوننا، ولا يحببّوننا إلى الناس،**

ويبغضوننا ولا يتولّوننا، ويخذلوننا ويخذلون الناس عنّا، فهم أعداؤنا حقًا لهم نار جهنم ولهم عذاب الحريق قال: قلت: بينّهم لي يا ابن رسول الله وقاك الله شرّهم. قال: الزائد في خلقه فلا ترى أحدًا من الناس في خلقه زيادة إلا وجدته لنا مناصبًا، ولم تجده لنا مواليًا، والناقص الخلق من الرجال، فلا ترى لله عزَّ وجلَّ خلقًا ناقصة الخلقة إلا وجدت في قلبه علينا غلًّا والأعور باليمين للولادة، فلا ترى لله خلقًا ولد أعور اليمين وإلا كان لنا محاربًا، ولأعدائنا مسالمًا، والغربيب من الرجال، فلا ترى لله عزَّ وجلَّ خلقًا غربيبًا - وهو الذي قد طال عمره فلم يبيّض شعره وترى لحيته مثل حَلك الغراب - إلا كان علينا مؤلبًا ولأعدائنا مكائرًا، والحلكوك من الرجال، فلا ترى منهم أحدًا إلا كان لنا شتّامًا ولأعدائنا مدّاحًا. والأقرع من الرجال، فلا ترى رجلًا به قرع إلّا وجدته همّازًا لمّازًا مشّاءً بالنميمة علينا، (والمخصّص بالخضرة من الرجال فلا ترى منهم أحدًا - وهم كثيرون - إلا وجدته يلقانا بوجه ويستدبرنا بآخر يبتغي لنا الغوائل. والمنبوذ من الرجال، فلا تلقى منهم أحدًا إلا وجدته يرصد لنا المراصد، ويقعد لنا ولشيعتنا مقعدًا ليضلّنا بزعمه عن سواء السبيل. والمجذوم وهم حصب جهنم هم لها واردون، والمنكوح فلا ترى منهم أحدًا إلا وجدته يتغنّى بهجائنا ويؤلّب علينا. وأهل مدينه تدعى سجستان هم لنا أهل عداوة ونصب وهم شرُّ الخلق والخليقة، عليهم من العذاب ما على فرعون وهامان وقارون. وأهل مدينة تدعى الرَّي هم أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء

أهل بيته يرون حرب أهل بيت رسول الله جهادًا، وما لهم مغنمًا، فلهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا والآخرة ولهم عذابٌ مقيم. وأهل مدينة تدعى الموصل هم شرٌّ من على وجه الأرض. وأهل مدينة تسمى الزوراء تُبنى في آخر الزمان يستشفون بدمائنا ويتقرّبون ببغضنا، يوالون في عداوتنا ويرون حربنا فرضًا وقتالنا حتمًا، يا بنيَّ فاحذر هؤلاء، ثمَّ احذرهم، فإنّه لا يخلو اثنان منهم بأحد من أهلك إلا همّوا بقتله»[1].

من الواضح لدى المحقّقين أنّ في الخبر أسرارٌ لا تنطبق حاليًّا على المناطق المعروفة بهذه الأسماء. فعلى فرض صحّة صدور هذا الخبر عن الإمام المعصوم عليه السلام فلن تكون مدينة الزوراء هي بغداد، وذلك لأنّ مدينة بغداد كانت مبنيّة في حياة الإمام الصادق عليه السلام، بينما نجد الخبر يتكلّم عن أنّ مدينة الزوراء سوف تبنى في آخر الزمان، وهو خلافٌ للواقع، لأنّ بغداد التي هي الزوراء الآن كانت مبنيّة في الزمان الأوّل وليست هي ما يبنى في آخر الزمان.

وقد وجدنا في رواية أخرى أنّ الزوراء ورد ذكرها وتفسيرها بالريّ كما في غيبة النعماني بإسناده إلى كعب الأحبار الذي قال في هذه الرواية: «**وإنّ القائم من ولد عليّ له غيبة كغيبة يوسف، ورجعة كرجعة عيسى بن مريم، ثمَّ يظهر بعد غيبته مع طلوع النجم الآخر (وفي نسخة أخرى مع طلوع الفجر الأحمر)، وخراب الزوراء وهي الريّ، وخسف**

(1) الصدوق، الخصال، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفّاري (قم: منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، 1403هـ)، الصفحتان 506 - 507 الباب السادس عشر، الحديث4.

المزورة وهي بغداد، وخروج السفيانيّ وحرب ولد العباس مع فتيان أرمينيا وأذربيجان تلك حربٌ يُقتل فيها ألوفٌ وألوف، كلٌّ يقبض على سيف محلّى تخفق عليه رايات سود، تلك حربٌ يشوبها الموت الأحمر والطاعون الأغبر وفي نسخة بدل الطاعون الأكبر»[1].

فقد وجدنا أنّ الري الذي ذُكر هنا في هذا الأثر أن المقصود بالزوراء هي الريّ، ولو أردنا أن نتتبع الريّ وما هو المقصود منها فسوف نجدها هي غير الريّ المعروفة حاليًا بإسم (الشاه عبد العظيم) وهي منطقةٌ ومن أحياء طهران، فإنّ الأسماء قد تبدلّت وتغيّرت لكنّها جميعًا وجدناها مشتركة في بقعة جغرافيّة هي المشرق الذي يخرج منه الخراسانيّ، كما في الروايات التي رويت عن مكان خروجه. وقد جاء في بعضها تُوصّف محلّ خروجه من المشرق كما تَصف محلّ خروج السفيانيّ من المغرب. ومن جملة ما رُوي في ذلك ما رواه الشيخ النعماني بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام، أنّه قال في خبر طويل:

«لا بُدَّ لبني فلان أن يملكوا، فإذا ملكوا ثم اختلفوا تفرّق ملكهم، وتشتّت أمرهم حتى يخرج عليها الخراسانيّ والسفيانيّ، هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسيّ رهان، هذا من هنا، وهذا من هنا، حتى يكون هلاك بني فلان على أيديهما، أما أنهّم لا يبقون منهم أحدًا»[2].

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 147، الباب العاشر، الحديث4.

(2) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 55، الباب 14 ، الحديث 13.

نفهم من هذه الأخبار -بغضّ النظر عن التفاصيل الأخرى- أنّ خروج الخراسانيّ من المشرق الذي يُقابله المغرب الذي يخرج منه السفيانيّ، وسوف نتحدّث عن جغرافيّة حركته في البحث المختصّ به إن شاء الله تعالى.

وهنا نحن نتتبّع جغرافية حركة الخراسانيّ فيما هو المقصود به من المشرق الذي يدخل ضمنه مناطق كثيرة، هي أكبر من إيران الحاليّة، وربما تكون أصغر من خراسان التاريخيّة في امتداداتها والتي تشمل دولًا كثيرة مثل أفغانستان وتركمانستان وطاجكستان وغيرها.

وما زالت أسماء مدن معروفة بتلك الأسماء التاريخيّة مثل هرات وبلخ وبخارى، لكنّها حاليًّا خرجت عن دائرة جغرافيّة خراسان وأصبحت دولًا، قد تكون بعيدة عن مسار حركة التمهيد للإمام المهديّ عليه السلام، وقد دارت بوصلة الحركة باتّجاه معاكس فأصبحت بغداد مثلًا جزءًا، وكذلك سامراء تُعتبر ضمن دائرة مشرق المعركة، ومحور المعارك هي الكوفة، لذلك تقول الأخبار إنّ السفيانيّ والخراسانيّ يتحرّكان بسرعة باتجاه المركز الذي يتقاتلان عليه، وهذا المركز هو الكوفة كما سيأتي تفصيله في حركة الخراسانيّ إن شاء الله تعالى.

ونؤكّد في هذا المقطع من البحث على أنّ دائرة المشرق التاريخيّة التي يخرج من عمقها ومن مركزها الخراسانيّ من خراسان، هي غير الدائرة الحاليّة للمشرق الذي يتحرّك فيه الخراسانيّ، وليس في تاريخ المشرق القديم، ممّا يدخل في حركة التمهيد للإمام المهديّ، إلّا المناطق الشيعيّة

المتمثّلة بإيران وما حولها من بلدان الشيعة، والتي نصطلح عليها في هذا البحث بخراسان الممهّدة للمهديّ عليه السلام، والتي تدخل ضمن دائرتها بلاد الشيعة في الخليج مثل البحرين والقطيف والأحساء والكويت وعمان ومسقط وغيرها من البلدان الشيعيّة الموالية لأهل البيت عليهم السلام والمهتمّة بقضيّة التمهيد للإمام المهديّ عليه السلام.

ولم تكن هذه التصوّرات ناتجةً عن الذوق الشخصيّ المتحكّم بالمصطلحات والألفاظ، بل فرضتها حقيقة الجغرافيا المحدّدة بسكّان المنطقة وهم الشيعة الاثنا عشرية، بالإضافة للشيعة الزيديّة الذين يؤمنون جميعًا أنّ لزمان الكفر والظلال نهاية سوف تتمّ على يد مُخلّص آخر الزمان الإمام المهديّ عليه السلام باسمه الشريف المعروف باسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ولم نستغرب ما كتبه الكاتب المصري السنّيّ محمّد عيسى داوود في كتابه **المهديّ المنتظر على الأبواب** والمنشور في مصر سنة 1997 م، عندما تحدّث عن المشرق وتصوّر أنّ المشرق هو مشرق أهل المدينة الذي يشمل مركز المشرق إيران المعاصرة وتنضمّ إليها مناطق العراق، وينتهي المشرق في دول الخليج لا سيّما الواقعة على البحر.

وبغضّ النظر عن صحّة تصوّراته وخطئها والتي اعتمد فيها على أمرين: الأوّل نصوص وشروح من مخطوطات يزعم أنهّا موجودة في بعض المكتبات السريّة في العالم. والثاني يعتمد على تطبيقاته وآراءه في تحديد الشخوص والشخصيّات والمناطق. ولأهميّة ما كتب، مع إنّنا لا نوافقه

إلّا في شيء واحد وهو اعتقاده أنّ المشرق يضمّ إيران وبلاد المسلمين في مشرق المدينة المنورة، ونختلف معه اختلافًا كليًّا في التفاصيل لأنّ المصدرين اللذين اعتمدهما في تحليلاته لم يثبت عندنا شيء منهما.

حركة آخر الزمان المتزامنة مع الظهور

كتب محمد عيسى داوود المؤلف المصريّ السنّي في كتابه المهديّ على الأبواب: ممّا جاء من عجائب هذا المخطوط الفريد، النصّ الآتي الصفحة 59:

«حرب بين جيش آشور وكلّ الدنيا، شاب فيها الرضيع... يليها حرب بين مصر واليهود أوارها يقرع قبل... وحرب سرّها في ستر، الجاني فيها سِرّخ الشر، وأكبر مجده (الهرالمجدون)، ولكن الشرّ خاب وانقهر و... رحاه دارت فطحن الشرّ... والمرام لا يكون ليهود... وملك الدنيا مهدي المسلمين... ورأس المدينة الحزينة وكرم الدين!!! شتلات ونخيل، وكل خير عَمَّ جزيرة العرب، وملك الدنيا مهدي المسلمين ابن حسن، وكلّ راية لجبار نزلت، وحان ربُّ المسلمين».

ويتكلّم عن المنطقة التي يتحرّك فيها المهديّ الذي هو ابن الحسن كما نصّ عليه، ويتطابق كلّيًّا مع العقيدة الشيعيّة الإماميّة التي تقول إنّ المهديّ بن الحسن، وفي شعارهم الدينيّ الذي يستعملونه دائمًا بالدعاء يا حجّة بن الحسن عجّل على ظهورك.

ويتحدّث الكاتب المصريّ السنيّ في كتابه المنشور سنة 1997 م عن

حركة آخر الزمان التي تتزامن مع ظهور المهديّ عجل الله فرجه والتي يُفترض أنّها سوف تظهر 2001، وبعدها تتصاعد حتّى تصل إلى اليمن بقوله:

فأهل اليمن وحاكمهم حينئذٍ لم يدّخروا لحظة من الوقت ترددًا أو تفكيرًا في بيعة (المهديّ)... والخروج بجيوشهم إليه حتى شيوخهم الكبار ممّن درسوا العلم والفلك وتوارثوا علوم الحرف!! فجيوش أهل اليمن لهم صولةٌ يوم الملحمة العظمى!!.

وقد كتب متحدّثًا عن السفيانيّ وعلاقته بالمهديّ وادّعى أنّه يحكم العراق، وقد خلط هنا بين السفيانيّ والخراسانيّ حيث قال: «**ويرسل المهديّ إلى الرجل السفيانيّ الذي يحكم العراق وأغلب جزيرة العرب بعثًا..!!**». وأمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه قال: «**السفيانيّ من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان، رجل ضخم الهامة، بوجهه آثار جدري، بعينه نكته بيضاء...**»[1]. وفي رواية: «**في إحدى عينيه كسل ضعيف**» يقال إنّه يدخل دمشق وإمارات الخليج وجزيرة العرب قبل المهديّ بقليل والله أعلم.

بينما نجد الروايات الصحيحة تتحدّث عن السفيانيّ أنّه يحكم بلاد الشام، ويتّصل حكمه ببلاد الغرب (الروم)، ويشكّل بمنظومته السياسيّة الجيوب (الحجابات) العسكريّة المتقدّمة للجيوش الغربيّة، فهو جزء من تلك المنظومة وليس مستقلًا عنها، ولن يحكم العراق، وإنّما قد

(1) المتّقي الهندي،كنز العمّال (لبنان- بيروت: مؤسّسة الرسالة، 1409 هـ/ 1989م)، الجزء 11، الصفحة 284.

يدخل غازيًا بعض مناطقه في بغداد وما يتلوها من البلدان إلى الكوفة. وكيف يراسل المهديّ الرجل السفيانيّ الذي يُعاديه، ويكون شعاره قتل آل محمّد ﷺ، وشيعته؟ كما يشهد لهذه الحقيقة ما ذكره المروزي في كتابه **الفتن** وهي كثيرة جدًا. وأعتقد أنّ الرجل قد خُلطت عليه الأوراق فلم يُميّز بين السفيانيّ والخراسانيّ.

ومع هذا نجده يتكلّم عن الخراسانيّ بصيغة واضحة، يسمّيهم أصحاب الرايات السود الذين يحكمون إيران فيقول: «**ويرسل المهديّ إلى حكّام الإمارات العربيّة وقطر والكويت وعمّان الطيبة والكويت بعثًا... ويرسل إلى أصحاب الرايات السوداء بعثًا... (إيران)**». ممّا يعني أنّ مقصوده من هذه الحركة هو امتدادات الشرق التي يحكمهما رايات الخراسانيّ، ولهذا يُعقب على أجوبة الدول التي أُرسل إليها الرسل بقوله: «**وتأتي الردود مختلفة!! فمنهم المبايع... ومنهم المتردّد... ومنهم الرافض... لكنّ ملايين مملينة من أصحاب الرايات السود، من إيران والدول الإسلامية المُستقلّة عن الاتحاد السوفياتي المنهار، يهبطون إلى جزيرة العرب في مسيرات حاشدة لايتوقّعها متوقّع!! لبيعة المهديّ يدًا بيد.. دون وسيط مبعوث... وإجابة عمليّة؛ بالرغم من أنّ أهل إيران لهم نظرتهم الخاطئة في المهديّ؛ إلا أنّ هذا الخطأ وجب أن يصحّح ما دام المهديّ الحقيقيّ بالآيات الربّانيّة والبراهين الماديّة، قد ظهر وليس هناك سواه فعل الله له ما فعل، وكان الخسف الآية المادية الكبرى التي لا جدال بعدها!!**

وأهل إيران أصحاب عقيدة قويّة وضمير حيّ، وفيهم خير كبير، وأن أهل السنّة أحسنوا فهمهم والتفاهم معهم على تصفية الخلافات المذهبية والإلتقاء فيما لا يخالف أصول العقيدة!! انتهى ما نقلناه بمقدار الحاجة وبدون تعليق.

هذه الخريطة تتطابق تمامًا مع خريطة الخراسانيّ في الأزمان القريبة لظهور المهديّ، ممّا يعني أنّ التصوّر الساذج الموجود في الكتب التي أُلّفت عن علامات الظهور أنّ حركة الخراسانيّ محصورة في إيران أو في بعض المناطق الإيرانيّة، إنّما هو تصوّر غير دقيق ولا يدعمه التحقيق العلميّ.

وأعتقد أنّ القائلين بأنّ الحركة الخراسانيّة سوف تضرب بالريّ، وأن المقصود من الريّ طهران ممّا سوف يولّد تمزّق في الدولة الخراسانيّة المتقدّمة زمانًا على ظهور المهديّ عجل الله فرجه أنّها كلام فارغ لا محصل له ولا دليل عليه، ربّما يمكنني القول إنّ التأثيرات اللا شعوريّة في العقل الباطن عند أولئك الكُتّاب جعلهم ينحرفون عن الفكر الصحيح لهذه الحركة قبل الظهور.

براهين عقليّة

إنّ هناك أدلّة وشواهد تورث القطع واليقين والعلم ببطلان تلك المقولة وصدق المدّعى الذي ندعّيه لقوّة هذه الدولة وبقائها لدولة صاحب الزمان عليه السلام.

ومن جملة تلك القرائن:

1- أنّ الروايات المتواترة تواترًا معنويًّا المورثة للقطع واليقين، والمروية من طرق السنة والشيعة، والتي تحدّثنا عنها سابقًا مفصّلًا، قد سمّت دولة الخراسانيّ بدولة الممهّدين للمهديّ. وبتعبير آخر قد ورد في الروايات القطعيّة أيضًا أنّها سمّت دولة الخراسانيّ بدولة «**الممهّدين للمهديّ سلطانه**»؛ ممّا يعني أنّ الدولة تبقى قوية صامدة لا يصيبها أيّ ضعف ذاتيّ ولا خسف ولا تشتّت شمل، حتى تكون قادرة على التمهيد والتوطئة لسلطان المهديّ عليه السلام.

2- كما أنّ معناه أنّ هذه الدولة بقوتها وعظمتها مستمرّة دون انقطاع زمنيّ أو مرحليّ إلى حين ظهور الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه، ثمّ إعطاء مكتسبات هذه الحركة وتورثها إلى المهديّ مباشرة.

3- أنّ أولئك الشُذاذ بالتفكير القائلين بذلك التصوّر الساذج والمنحرف، قد اعتمدوا لتكوين نظرتهم السوداويّة على رواية شاذّة لم يُعرف سندها تقول بوجود خسف في الريّ، وقد ناقشنا الموضوع سابقًا، والأسماء مختلفة، فهل أنّ المقصود من الري ري الزوراء وهي بغداد، وهل أنّ الري هي أسماء لمدينة واحدة أم لمدن متعدّدة؟.

4- فمثلًا يوجد حاليًّا في بغداد منطقة وهي واسعة نسبيًّا يسكنها التكفيريّون والنواصب، وقد جمعوا العدّة والعدد الضخم حتّى أصبحت يشُار إليها لقوّتها ومنعتها لما تحوي من قوّة للتكفير وقتال أهل الحقّ

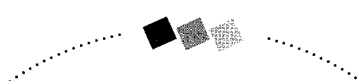

وتسمّى هذه المنطقة (بالريّ). وهي واقعة على تخوم بغداد ومجاورة للزوراء المعروفة حاليًّا ببغداد، ومجاورة أيضًا للمنطقة الخضراء التي تُعتبر تجمّع للساسة خلال هذه السنوات العشر التي حكمت العراق بعد سقوط دولة الصداميّين وإقامة الدولة الجديدة التي تحمل رايات منادية باسم أهل البيت عليهم السلام. ولكنّها في الوقت ذاته تُحاصر أهل البيت من جهة أخرى، بما هو أشبه بدولة بني العبّاس، فهل هم العباسيّون المذكورون في آخر الزمان، أم المقصود بهم غيرهم؟ ويكفي للتدليل والاستدلال على هذا الموضوع مراجعة العقائد التي يحملها هؤلاء الحكام الذين يزعمون أنّهم شيعة، ولكنّهم ينشرون فكر رجل، حكم فقهاء الشيعة بالإجماع على أنّه ضالّ مضلّ خارج عن مذهب التشيّع، وتقوم الدوائر الوهابيّة من آل سعود بنشر فكره بمختلف البلاد التي يسيطرون عليها وفيها من أتباع أهل البيت، وهو يتطابق تمامًا مع الدور العباسي خصوصًا أن هذه الرموز الحاكمة لا تُعبر عن أشخاص وأفراد وإنّما تُعبر عن جماعة لها امتداد أشبه شيء بالامتدادت العرقيّة القبليّة، بما يصحّ أن نسمّيه ونطلق عليهم مصطلح «**بني فلان**». وهذا الموضوع يحتاج إلى تفصيل أكثر عندما نتحدث عن سقوط الدولة العباسية الملازمة لظهور المولى عجل الله فرجه، وحينها سوف نعرف إن شاء الله تعالى أنّ بني فلان العباسيّ وآل العباس يختلفون عن الشيصباني عسكريًّا وأمنيًّا، لكنّهم يتفقون بالرايات المزعومة كما قرأنا في رواية سابقة في غيبة النعمانيّ[1].

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 147، الباب العاشر.

وحرب ولد بني العبّاس مع فتيان أرمينيا وأذربيجان تلك حربٌ يقتل فيها ألوف وألوف كلٌّ يقبض على سيف محلّى تخفق عليه رايات سود، تلك حربٌ يشوبها الموت الأحمر والطاعون الأكبر (الأغبر).

ألم يكن ما يسمّى بجيش الدولة الإسلاميّة في العراق والشام قد جاءت قيادته وفتيانه من الشيشان وبلاد القفقاز التي كانت تسمّى أرمينيا التأريخية؟ وأذربيجان ولا زالت حاليًّا تابعة إلى أرمينيا، وأذربيجان من الناحية السياسيّة ضمن حكومة الاتّحاد السوفياتيّ سابقًا وفي محور روسيا لاحقًا.

«**تخفق عليه رايات سود**» وهذه الرايات السود اليوم هي رايات جيش داعش وأعوانه والنصرة ومسميّاته والقاعدة وفروعه، حيث يحملون الرايات السود لدولتهم المسمّاة بدولة العراق والشام، كما نجد دولة بني العبّاس تحمل رايات سود أيضًا بشعارات ومسمّيات ولون واحد وقد صبغوا حتّى عجلاتهم العسكريّة باللون الأسود وقوّاتهم يلبسون اللون الأسود.

مدّ وجزر

وعوداً على بدء، وحتّى لا نخرج من أصل البحث فإنّنا نقرأ بأنّ دور الخراسانيّ في المنطقة وبالخصوص في العراق، وما حولها من الامتدادات الشيعيّة سوف يكون ضمن دائرة المدّ والجزر الذي يجعل الظروف السياسيّة والعسكريّة هي التي تتحكّم بهذه الامتدادات للدولة الخراسانيّة في هذه المنطقة حتّى تصل إلى كثير من البلدان في نشر

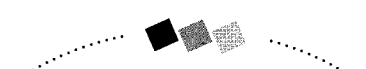

الإسلام، وإن كانت غير واضحة المعالم بشكل مسفر كما هو الحال في ما يكون نفس مناطق الحكم في جغرافيا خراسان. ولذلك سمّينا وجود الدولة الخراسانيّة في هذه المناطق، وبالخصوص العراق، بأنّها في آخر الزمان تقع في منطقة النفوذ الخراسانيّ. وهنا يستلزم الانجرار بالبحث إلى هذه النقطة، أن نحدّد علاقة سكان هذه المنطقة بالخراسانيّ، فهل ينتمون إلى هذا النفوذ طوعًا وباختيارهم ويعتقدون بأنّهم جزء من هذه الدولة، أم أنّ هناك اعتقاد آخر يسيطر على سكان هذه المنطقة؟

الجواب: إنّنا نقرأ في كتب الأخبار والروايات المتحدّثة عن علامات آخر الزمان المتعلّقة بظهور الإمام عجل الله فرجه بأسانيد متعدّدة، وهي موجودة في كتب الفريقين من المسلمين الشيعة والسّنّة على نحو متظافر ومستفيض، بل يمكنني أن أزعم أنّها وصلت إلى حدّ التواتر المعنويّ أو قريب من التواتر جدًّا. فقد قالت هذه الروايات المرويّة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعن الأئمّة الأطهار عليهم السلام، أنّ راية المشرق راية حقّ. وحثّت على الالتحاق بالرايات السود التي تخرج من المشرق، وأنّها موطئة للمهديّ عجل الله فرجه، حتّى جاء في بعضها «**فأتوها ولو حبوًا على الثلج**»، وقد جاء في بعضها: «**فإنّ فيها المهديّ**»، ومن المقطوع عند الشيعة والسّنّة أنّ المهديّ سوف يظهر في مكّة المكرمة زادها الله تعالى شرفًا، ويكون أوّل ظهوره عندما ينادي الناس وقد لصق ظهره على الكعبة المشرّفة وطلب البيعة لله، وهذا المقصود من أنّ فيها المهديّ هو المعنى المجازيّ الذي يتجلّى بحقيقة أنّ هذا الجيش الخراسانيّ هو المسدَّد والمؤيد بقوّة المهديّ الغيبيّة.

فهو معهم يسدّدهم ويؤيّدهم، وتتحقّق الانتصارات، ويتحقّق الظفر، والامتدادات الغيبيّة ببركة وجوده عليه السلام.

أمّا لماذا أقحم اسم المهديّ بحركة الخراسانيّ بحيث قد يوَلّد هذا الإقحام صور خاطئة عند السذج والحشويّين؟[1]

والحقّ أنّ هذه الروايات التي تحدّثت عن أنّ المهديّ في رايات أهل المشرق، وقالت فأتوها ولو حبوًا على الثلج؛ فإنّها بالواقع تحثّ على ضرورة الالتحاق بركب الخراسانيّ، ولم يقصد بهذا الحثّ على أهل المشرق أنفسهم؛ لأنّهم المعنيّين بالقضيّة، فمن غير المعقول أن يقال لهم: إذا ظهرتهم فأتوا أنفسكم ولو حبوًا على الثلج، كما أنّه ليس منطقيًّا من هذا الحثّ هو الطرف الآخر المعادي لأهل المشرق وهم أتباع السفيانيّ، والشيصبانيّ، والرايات السود المعادية لأهل البيت عليهم السلام المذمومة لأنّهم يقعون في طرف محاربيّ الخراسانيّ، فكيف يحثّونهم للالتحاق

(1) (الحشويّة: مذهب سنيّ عقائديّ تأريخيّ يؤمن بظواهر الأخبار ويتّبعها دون تحقيق علميّ بمضامينها ومقاصدها أي يتطابق مع الحقائق الدينيّة. وقد أصطلح الشيخ المفيد رحمه الله في كتابه أوائل المقالات على أصحاب الأخبار الشيعيّة الذين يعملون بظواهر الأخبار دون تعمق وتمحيص بحقائقها الدينيّة العلميّة بأنّهم من (الحشويّة)، وجرت انتصارات سنة علمائنا الأبرار الكلاميين في كتبهم بإطلاق هذا الاصطلاح على جميع المتفقّهين والقارئين للأخبار، دون وصولهم إلى مرتبة الاجتهاد العلميّ المتعارف عليه عند فقهاء الإماميّة، ومؤكّد أنّ كلّ من يُقحم أنفه في تفسير الأخبار بطريقة التبرّع (والعنديّات الجيبيّة) فهم حشويّة منحرفون عقائديًّا، وقد لا يصلوا إلى مستوى الانحراف والضلال، وإن كانت تقوّلاتهم في مسائل عاديّة أو غير مهمّة فكريًّا وعقائديًّا على هذه التصوّرات المنحرفة قضايا عقائديّة مهمّة، وادّعاءات تخرج بعضها يقين الإنسان من مذهب التشيّع وتدخّله في مذهب أهل البدع والضلال، كما هو الحال في جماعة ما يُسمّون (جند السماء) الذي ادّعى المهدويّة في منطقة الزركة بالكوفة، أو جماعة المدعوّ أحمد بن الحسن (أحمد إسماعيل كاطع) أو جماعة ما يسمّى باليمانيّ القحطانيّ أو غيرهم من أئمة الضلال.

بأهل المشرق الخراسانيّين أهل الحقّ، فيكون الحثّ وبشكل طبيعيّ جدًا موجّهًا إلى مناطق النفوذ التي سوف يتحرّك إليها الخراسانيّ وهم الشيعة في المناطق الأخرى سواء كان في العراق أو الخليج أو لبنان أو غيرها من بلدان العالم، مثل الهند والباكستان والدول المجاورة لإيران.

جميع هؤلاء الشيعة هم المقصودون بالحثّ بالالتحاق بجيش الخراسانيّ. ويبدو أنّ التأريخ السياسيّ لمنطقة نفوذ الخراسانيّ غير متوافق مع طبيعة الحركة الخراسانيّة من حيث القضايا العسكريّة أو السياسيّة أو غيرها. وقد حصل تشويش بين سكّان هذه المنطقة وبين الخراسانيّ. ممّا حدا بالمعصومين عليهم السلام الذين يقرأون في الجفر الأبيض ويعلمون ممّا في اللوح المحفوظ الغيب والمستقبل، أن يحثّوا سكان هذه المناطق على الترفّع عن كلّ الخصوصيّات الضيّقة والأسباب التاريخيّة التي ولّدت التعارض أو الحقد أحيانًا ويلتحقوا بهذا الركب المهدويّ المقدّس.

خريطة حركة الخراسانيّ في دورها التمهيديّ

لا نُريد أن نتعدّى خطوط الحركة التي ذُكرت في الروايات الشريفة، والتي نطق بها المعصومين عليهم السلام كما رُويت عنه، في زمن بعيد نسبيًّا عن زمن حدوثها على الأرض، ممّا يعني ملاحظة التغيّرات الجغرافيّة والديموغرافيّة في سكّان تلك المنطقة.

ومن المعلوم أنّ المعصومين كانوا يعلمون أيضًا بأنّ هذه التغيّرات واقعة لا محالة، وهم تكلّموا وخاطبوا أناسًا لن يشتهروا بتلك التغييرات

والحوادث، إلا أنّهم عليهم السلام أرادوا أن يوصلوا الفكرة إلى تلك الأجيال القادمة من خلال المجموعة التي تكلّموا معها مشافهةً، ممّا اقتضى أن يكلموهم بأسلوب السهل الممتنع في هذه القضيّة، وهي تعني أنّ الفكرة بمقدار ما هي غامضة عن المخاطب فهي واضحة لديه، وهذا يلزم أن تكون التصوّرات مطروحة بالخطوط العامّة التي يمكن تحقّقها على أكثر من وجه مع فرضية دخول البداء على بعض التفاصيل، ومع ذلك فإنّ وصول القضيّة لا يعتريها تغيير وتبديل.

إنّنا نريد أن نكوِّن صورة عن حركة الخراسانيّ في دورها التمهيديّ لظهور الإمام المهديّ عجل الله فرجه فحسب، ولسنا بصدد أن نرسم الخطوط التي يبدأ الخراسانيّ تحرّكه منها، وكيف يمتد نفوذه، وما يلابس تلك القضايا من أحداث وجزيئات، فإنّ هذه الأمور وإن ورد بعضها في بعض الروايات فإنّها تتعب المتتبّع لتلك الآثار، وسوف يدخل في مشاكل الإسقاطات الروائيّة ممّا يتحكم فيه الرغبة الذاتيّة وعدم الموضوعيّة في تلك العمليّة الإسقاطيّة أو التطبيقيّة وهذه هي منشأ الأخطاء التي وقع بها الكُتّاب التطبيقيّين والتي ناقشناها في الحلقة الثامنة من سلسلتنا هذه.

وقد ورد في بعض الأحاديث الشريفة أحداث تجري في تلك الفترة الزمنيّة، وذُكرت فيها أسماء مثل العُماني، والمرواني؛ قبل خروج السفيانيّ، ولم تُذكر تفاصيل أخرى عن غيرهما، كما أنّ هناك في الروايات حديث عن مناطق تظهر في أرض الخراسانيّ مثل طالقان، والنار التي تخرج في أذربيجان، وما يكون في (ملّتان)، وهذه القضايا كلّها تدخل تحت عنوان

دراسة جزئيّات حركة الخراسانيّ التي يمكن أن تنطبق على مواصفات متحرّكة يمكن أن توصف بها الحركة (أ) أو الحركة (ب)، أو (ج)، وهكذا يبقى المدار في التطبيق متحرّك غير ثابت، وربما يشير إلى هذا المعنى ما رواه الشيخ الأقدم النعماني في كتابه الغيبة بإسناده إلى أبي الجارود قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام (أي الإمام الباقر عليه السلام: لا يزال ولا تزالون تمدّون أعينكم إلى رجل تقولون هو هذا إلّا ذهب»[1].

تطبيقات احتماليّة وليست قطعيّة

إنّ هذه الرواية تشير إلى التغييرات في التطبيق التي يمكن للإنسان أن يتصوّرها منطبقة على تلك الأوصاف، على مصداق معيّن من الرجال ثمّ يذهب هذا الرجل، وتذهب أيّامه ولم يحدث الذي ينتظرونه فيبحثوا عن شخص آخر فيطبقون عليه تلك الأوصاف فيذهب كالذي سبقه، وهكذا دواليك، والمشكلة تستمر.

وهذه المشكلة ليست ناتجة عند أهل القضيّة في البحث عن الحالة، أو عن الرجل؛ لأنّ الأئمّة عليهم السلام عندما أخبروا عن رجال الظهور، وحالاته، كانوا يتحدّثون عمّا هو موجود في اللوح المحفوظ الذي لا يتغيّر، ولا يتبدّل؛ وعن أمور واقعة في التقدير الإلهيّ، لكنّ الناس يستعجلون ذلك التقدير، فيحاولون أن يظهروه بتطبيقه على ما يتصورون أنّه المقصود لوجه شبه ببعض الخصوصيّات.

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 189، الباب 10، الحديث 33.

لذا، لا نرى أنّ هذه المسألة هي من المسائل السهلة المنال، بل هي من المسائل الصعبة التي لا يمكن لأحد أن يبتّ بها إلّا المعصومون. وهم عليهم السلام لم يتعاملوا معنا بهذا الأسلوب عندما تحدّثوا عن كبريات الأحداث بشكلها العامّ من دون الخوض بالتفاصيل، وهو ما نعبّر عنه بالخطوط العريضة للأحداث المهمّة التي تحدث قبل الظهور وفي أثناء الظهور. ولكن الحديث عن تلك التفاصيل ليس ممنوعًا شرعًا، بل العكس تمامًا، وقد تكون الأغراض الإلهيّة من ذكرهم عليهم السلام لبعض الخصوصيّات أن يضعوا علامات في طريق الأمل للخلاص من ثقل المسؤوليّة، ومن ظلام المحنة التي مُني بها المؤمنون ممّا يكون الحديث بها شمعة في آخر النفق، أو بلسمًا يحفظ ألم الصعوبات والمحن. ولكن يشترط أن ينتبه الجميع إلى أنّ هذه التطبيقات احتماليّة وليست قطعيّة كما يفعل بعض الكُتّاب والمتحدّثين ويزعم أنّ ما يقوله يقينًا لا لبس فيه ممّا يوقع مَنْ يستمعون إليه بالإشكاليّة المتقدّمة. ومن هنا جاء الخطر على الدين والمعتقد الحقّ عندما تشابه الفتن بالحقّ فيتصوّرها المتصوّر أنّها حقّ، لكنّها فتنة لأنّها شبهة، والشبهة كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**سمّيت شبهة لأنّها تشبه الحقّ**»[1].

إذا أردنا الاستفادة من هذا الأسلوب لتطييب الخواطر، فمن اللازم دائمًا أن نذكر حقيقة أنّ هذه الطريقة هي طريقة احتماليّة، ومن تصوّرات

(1) المازندراني، شرح أصول الكافي (بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، الطبعة 1، 2000م)، الجزء 10، الصفحة 74.

المتحدّث، وليست هي جزء من مقولات المعصومين عليهم السلام، فإن صدقت فيكون التطبيق صحيح، وإن لم تصدق فغير صحيح، والمشكلة كانت منّا لا منهم عليهم السلام فهم كجدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطقون عن الهوى بل أخذوه كابر عن كابر عن جدهم النبي الخاتم.

نظام الخرز

ورد في بعض الروايات أنّ الخراسانيّ يخرج مع السفيانيّ واليمانيّ في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد.

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**خروج السفيانيّ واليمانيّ والخراسانيّ في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظامٌ كنظام الخرز يتبع بعضه بعضًا، فيكون البأس من كل وجه، ويل لمن ناواهم**»[1].

قد يفهم البعض من هذه العبارة أنّ بداية انبعاثهم تبتدئ في يوم واحد، وشهر واحد وسنة واحدة؛ ولكنّ ما جاء في الرواية من عبارة «**فيكون البأس من كلّ وجه ويل لمن ناواهم**»، أنّ المقصود من الوحدة الزمانيّة بين هذه القوّة تتحقّق في خروجهم. ولا يمكن تصور خروج قوّة عسكريّة من أيّ من هذه القوى الثلاثة وبهذه الصورة التي يكونوا فيها أقوياء بحيث يملأوا الدنيا بأسًا، ولا يناوِئُهم أحد أو يزاحمهم، أو يكون في عرض واحد معهم بما يملكونه من البأس الشديد. قد نتصوّر أنّ قوّة الخراسانيّ في خروجها قد تجاوزت مرحلة الإعداد العسكريّ، والفنّيّ،

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحتان 255 ـ 266.

وانتقلت إلى مرحلة التحدّي وإعلان القوّة، ولا يمكن تصوّر تحقّق هذه المرحلة إلّا بأزمان تطول وتختلف مع الآخرين في بداياتها، وهذا بالفعل ما يمكننا أن نتصوّره بالتمدّد الزمنيّ الذي تعيشه حركة الخراسانيّ في بدايات حركته، وأوائل نهضته بما يحتاج من وقت طويل حتى يستطيع أن يتجاوز المراحل الصعبة التي عاشها الأوّلون من المجتمعات الشيعيّة تحت الضغط الأمويّ والعباسيّ الذي امتدّ بعد فناء دولتهما بأسماء وعناوين مختلفة؛ مثل دولة ما تسمّى بخلافة آل عثمان، والدول التي تلتها بعد تقسيم تلك الدولة، بينما نجد الطرف الآخر يتحرّك بشكل سهل بتجميع القوى، والمدد الماليّ والبشريّ لما يملكه من امتدادات في مجتمعاته المتّفقة على منهجه الأمويّ القديم الجديد لمكافحة منهج الخراسانيّ الجديد الذي يبدأ في أرضٍ قد يكون له فيها من يحتضن حركته ويقوّي شوكته وهي بلاد المشرق الشيعيّ الممتدّ من خراسان.

وقد وجدنا بعض الروايات تعبّر عن أنّ ابتداء أمر الإمام المهديّ عجل الله فرجه من قبل المشرق كما في الرواية التي تقول إنّ بدو أمره عليه السلام من المشرق، كما في حديث أمير المؤمنين عليه السلام عن الحارث الهمداني عنه عليه السلام قال: «**المهديّ أقبل، جعد، بخدّه خال، يكون مبدأه من قبل المشرق**»[1].

وهكذا، نجد الروايات التي تحدّثت عن رايات أهل المشرق وأنّهم يمهّدون للمهدي سلطانه، وهذا التمهيد يحتاج إلى سنين طوال وعجاف

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 316، باب 18، الحديث 14.

حتى يتمكّن الممهّدون من تثبيت سلطانهم وقوّتهم وشوكتهم، ومن ثمّ يمهّدون لسلطان الإمام عجل الله فرجه، وهذا يحتاج إلى زمان، وأدوار، ومراحل سياسيّة من البسط والقبض السياسيّ المتعدّد والمتنوّع، وهو يختلف بظروفه عن ظروف وأحوال حركة السفيانيّ فلا يمكن أن نتصوّر الوحدة الزمنيّة في كلّ مراحل هاتين الحركتين.

كما نحتمل أن تكون هذه الحركات الثلاث: السفيانيّ، والخراسانيّ، واليمانيّ؛ متعاقبة فيما بينها بما نعتبره إحداها نتيجة التي سبقتها؛ مثلًا: ما يمكن أن يُقال إنّ أصل هذه الحركات الثلاث تبتدئ بتحرّك الخراسانيّ، ثمّ بعد ذلك تبتدئ الحركتان الأخريتان، فربما تكون الحركة اليمانيّة متأثّرة جذريًّا بحركة الخراسانيّ وان اختلفت معها من حيث الظروف والمكان والقيادة ولكنّها في الواقع امتداد في المشروع التغييريّ لدحض الباطل وإقامة العدل، وتكون بعدها وكردّ فعل معاكس حركة السفيانيّ الذي يُجمِّع قوى الظلام والضلال ليوقف تحرك الخير والنور، فيحاول أن يتسابق مع الخراسانيّ في امتداداته في المنطقة (منطقة النفوذ)، وربما يساعد على هذا الفهم ما ورد في النص الشريف «**نظامٌ كنظام الخرز يتبع بعضه بعضًا**»[1]. فلو كان المقصود من الوحدة الزمنيّة هو الاتّحاد الزمنيّ باليوم، والشهر، والسنة؛ فلا يمكن تصوّر أنّ النظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضًا. والواضح أنّ التتابع يتناقض مع الاتّحاد كليًّا فلا يوجد من طريق إلّا القول: إنّ التتابع معناه أنّ أحد هذه الحركات

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 264.

تتبع الأخرى بالتحرّك وتكون منبعثة بسبب الظروف التي تحدثها الحركة الأولى السابقة عليها وهي حركة الخراسانيّ فيكون ما طرحناه من تصوّر هو التفسير المنطقيّ لهذه الوحدة الزمنيّة. وبهذا المنوال التتابعيّ، فإنّ نفس النصّ يعطيك صورة واضحة أنّ منشأ التغيير هو بحركة أهل المشرق الذين يمهّدون للمهديّ سلطانه، ثمّ تبدأ حركات الخير تقتدى وتتبع هذه الحركة الممهّدة التي سوف تجد لها أعدادًا كثيرة يكون آخرهم السفيانيّ؛ ولا ينتهي هذا الصراع بحوادثه الأخيرة إلّا بحضور الإمام المهديّ.

بقي لدينا مسألة واحدة هي تفسير ما ورد في هذا الخبر «**ليس في الرايات راية أهدى من راية اليمانيّ**»[1] ونوكله إلى مكانه من البحث في دراسة حركة اليمانيّ إن شاء الله تعالى، ونقول هناك إنّه لا يوجد لهذه العبارة أي مدلول يتعارض مع مداليل أنّ راية الخراسانيّ هي الممهّدة للمهديّ سلطانه، فلكلّ واحد منهما دوره في التغيير في مرحلة قبل الظهور، كما يبقى دور الخراسانيّ هو البداية النورانيّة لهذا التغيير. وما تأتي من حركات إصلاحيّة إنّما تأتي ضمن هذا التحرّك الكبير.

إنّ تصوّر حركة السفيانيّ تتصارع بامتداداتها مع امتدادات نفوذ حركة الخراسانيّ، ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**لا بدّ أن يملك بني العباس فإذا ملكوا واختلفوا وتشتّت أمرهم خرج عليهم الخراسانيّ والسفيانيّ هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة**

(1) المصدر نفسه.

كفرسي رهان، هذا من ها هنا وهذا من ها هنا حتى يكون هلاكهم على أيديهما أما أنهما لايبقون منهم أحدًا أبدًا»[1].

يتّضح وجود تحرك للسفياني على منطقة نفوذ الخراسانيّ وكما عبّرت الرواية على أنّه تسابق، فتقول (يستبقان). وقد قرأنا سابقًا أنّ نفوذ الخراسانيّ يكون بوجهها الشيعيّ، ولم يبقَ أمام السفيانيّ إلا منطقة نفوذه وفيها تحرك للسفياني على منطقة نفوذ الخراسانيّ. وقد لا يبقى من العراق إلا الوجه السيّء الذي يصلح حاظنة للسفياني.

حركة الرايات باتجاه الشام في المرويّات

وردت مجموعة من الأخبار في كتاب الفتن لنعيم ابن حماد عن راية بني العباس التي تتحرك باتجاه بلاد الشام والقتال بينهما وبين الرايات الصفر وتتصارعان أشد الصراع فيقول: «**إذا أقبلت الرايات السود من المشرق والرايات الصفر من المغرب حيث يلتقوا في سُرّة الشام فهنالك البلاء**»[2].

وشبيه بهذه الرواية ماورد عن النبي قال: «**إذا أقبلت فتنة من المشرق ظهرها، وفتنة ببطن من المغرب والتقوا في البطن الشام. وبطن الأرض يومئذٍ خير من ظهورها**»[3].

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 259 الجزء 18.

(2) الملاحم والفتن، مصدر سابق، الباب 47 الصفحة 38.

(3) المصدر نفسه، الصفحة 18.

تواجهنا مشكلة السند في مثل هذه الروايات التي يرويها نعيم، وقلنا سابقًا أنّ كتاب الفتن لنعيم ورد بأسانيد عامّية لا يمكننا الوثوق بما جاء فيه، كما قلنا أنّ اعتماد السيد ابن طاووس عليه بالنقل منه فإنّما يكون في باب الاعتماد على قاعدة الإلزام، ولكني وجدت السيد ابن طاووس وهو الناقد للرجال حاول أن يعتمد على ما انتخبه من كتب ثلاثة أحدها كتاب الفتن تأليف نعيم بن حمّاد الخزاعي. وذكر أنّ هذا الكتاب لا غنى لمن يحتاج إليه عنه لأنّه أقرب عهدًا بالصحابة والتابعين وقد زكّاه جماعة من المفسرين[1].

كما نقل عن الخطيب البغدادي قوله في نعيم ابن حمّاد (روى في أحاديثه عن أصحاب علي بن أبي طالب عليه السلام[2].

ثم قال: «**وقد اقتضت الاستخارة أن أذكر من هذه الثلاثة المصنفات ما يوفقني الله جل جلاله لذكره وأكون في نقله متابعًا لمقدس أمره وحافظًا يجمع ما تفرق من سره ومستفتحًا لأبواب بره ونصره..**»[3]. ممّا تجعلنا هذه المقدمات أكثر تسامحًا في قبول بعض تلك الروايات لنعيم نتيجة لبعض القرائن المساعدة على التسامح بالنقل، مع أنّ بعض تلك الروايات تنطق عن الوقائع والأحداث التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والإمام الباقر عليهما السلام من الغيبيّات، وقد تحققت بالفعل وذُكرت

(1) المصدر نفسه، الصفحة 18.

(2) المصدر نفسه، الصفحة 19.

(3) الملاحم والفتن، مصدر سابق، الباب 48 الصفحة 39. التشريف بالمنن في التعريف بالفتن، السيد ابن طاووس، الصفحة 95، الباب 49.

بعض تلك الغيبيّات عن المستقبل وهي متوافقة مع ما ورد عن أهل البيت في كتب الشيعة الإمامية.

ومن ذلك ما تحدّث به نعيم ابن حمّاد عن دولة بني العباس عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «**إذا رأيتم الرايات السود فالزموا الأرض ولا تحّركوا أيديكم ولا أرجلكم ثمّ يظهر قوم صغار، لا يؤبه لهم، قلوبهم كزبر الحديد، أصحاب الدولة، لا يوفون بعهد ولا ميثاق، يدعون إلى الحق، وليسوا من أهله أسماؤهم الكنى، ونسبهم الغري، شعورهم مرخات كشعور النساء حتى يختلفوا فيما بينهم، ثم يوتي الله الحق من يشاء**»[1].

إنّ هذا التعريف في كلمة الدولة إمّا أن تكون عهديّة؛ أو جزء من اسم العلم. ولم نجد في الحديث إشارة إلى (دولة ما)، فلم يبقَ مجال أمامنا إلا بتفسير اللام التعريفيّة بأنّها جزء من اسم العلم بعدما فقدنا دلالتها العهديّة؛ فيعني أنّ هنالك قومٌ اسمهم أصحاب الدولة الفلانيّة.

ومن صفة هذه الرايات أنّها سوداء، وهي الصفة التي ذكرت في الباب السابق وفي أخبار كثيرة عنه من كتاب الملاحم أن راية العباس، إثنتان، والأثنتان باطلتان.

قال السيّد ابن طاووس: «**الباب الرابع والثلاثون فيما ذكره نعيم بن حماد في كتاب الفتن أيضًا من النهي عن نصر راية بني العباس الأولى والثانية: قال نعيم عن أبي المغيرة ابن عياش، عن ثعلبة بن مسلم**

(1) عبد الله نعيم بن حماد المروزي، كتاب الفتن (دار الفكر،1414ه/ 1993م)، الصفحة 35، الباب 35.

الخثعمي، عن عبد الله بن أبي الأشعث: والأخرى أولها وزر وآخرها كفر لاتنصروها لا نصرها الله»[1].

إنّ تلك العهديّة أو التعريفيّة كما فهمها السيد ابن طاووس عائدة لهذه الرواية، وهي الدولة الثانية لبني العباس.

وأمّا عبارة (فالزموا الأرض) فواضحة ضرورة بمعنى: وإمساك الأرض، وعدم التحرك عنها، لأن تلك الفترة التي يحكم بنو العباس في دولتهم الثانية فترة قصيرة، ودولة يمكن معارضتها والتمرد عليها، وتنخر قواها، ولذلك فهي دولة وزر وآخرها كفر.

وصف ذمّ

وأما هؤلاء يتصفون بصفات خاصة بهم بأشكالهم، وهيئاتهم، وشخصياتهم، فهم يتصفون أولًا بأنّهم (قوم صَغار) بفتح الصاد يعني أذلاء، ولذلك استتبع هذا الوصف بقوله (لا يؤبه لهم)، ولكن هؤلاء القوم يتميزون بميزة القسوة والوحشيّة فلهم قلوب (كزبر الحديد).

وليس في هذه العبارة مدحٌ لهم، وإنّما هي وصف بأنّهم قساة ليس في قلوبهم رحمة، وهو ما يتناسب مع أصولهم الذليلة فهم من شذاذ الآفاق، تجمعهم كلمة الحق التي ليسوا هم من أهله، حيث جاء في تكملة وصفهم: يدعون إلى الحق وليسوا من أهله، بما يتناسب مع شخصيّاتهم الوحشيّة.

وكذلك جاء في وصفهم أنّ (أسماؤهم الكنى) كأن يكون اسم أحدهم

(1) الملاحم والفتن، مصدر سابق، الصفحة 35.

أبو بكر البغدادي، وأبو عمر، وأبو علي الشيشاني، وأبو محمد الجولاني؛ ومن صفاتهم أيضًا (ونسبهم الغري) فإنّ انسابهم متلونة ومختلفة ولا يشبه شيء شيئًا ومن صفاتهم أيضًا (شعورهم مرخاة كشعور النساء).

وجاء في رواية أخرى في وصف هؤلاء ما قاله السيد ابن طاووس رحمه الله عن نعيم في الباب الثامن والثلاثون، فيما ذكر نعيم في كتاب الفتن من الفتنة الحالقة تحلق الدين، حدثنا نعيم، عن عبد القدوس، عن سعيد بن سنان، عن أبي الزاهرية، عن حذيفة بن اليمان قال: يخرج رجل من قبل المشرق يدعو إلى آل محمد وهو أبعد الناس منهم، ينصب علامات سوداء أوّلها نصر وآخرها كفر، يتبعه خشالة العرب، وسفلة الموالي، والعبيد الآباق رقوا من الأفاق، سيماهم السود، ودينهم الشرك وأكثرهم الخدع. قلت وما الخدع؟ قال القلف، ثم قال حذيفة لابن عمر لست تدركه يا أبا عبد الرحمن. فقال عبد الله ولكن أحدث به من بعدي فتنة تدعى الحالقة تحلق الدين يهلك فيها صريح العرب، وصالح الموالي، وأصحاب الكفر والفقهاء، وتنجلي عن أقل من القليل»[1].

وفي هذه الرواية تداخل مع الرواية السابقة في صفة أولئك الذين يخرجون من المشرق براية العباسي من جهة خراسان وهي من بلاد المشرق، وكانت آنذاك خراسان ولاية كبيرة تدخل في ضمنها مقاطعات من أفغانستان وسستان وبلوشستان التي بعضها في إيران حاليًا والبعض الآخر في باكستان.

(1) المصدر نفسه، الصفحة 36.

فالكلام في هذه الرواية موجّه إلى رجل عكس ما رأيناه في الرواية السابقة فإنّه كان موجه إلى الرايات السود؛ والكل واحد.

وقد جاء التعبير في هذه الرواية برجل إشارة إلى القائد المحرك لهذه الجماعة الذي يخرج من المشرق ويدعوا إلى آل محمد وهو أبعد الناس منهم. وهذا الوصف منطبق على مؤسّس هذه الجماعات الخارجة من المشرق كما ينطبق على القائد الميدانيّ الذي يتزعّم دولة بني العبّاس حيث يدعو إلى تلك الدولة المزعومة ويدّعي الانتساب إلى آل البيت وهو أبعد الناس منهم نسبًا وولاءً، وتاريخًا، وعقيدةً. ويقوم هذا الرجل بنصب علامات سوداء وهي الشعارات السوداء التي تُنصب في كلِّ مكان يمكن أن تكون فيه هو وجماعته.

وجاء في الأخبار عن هذه الحركة أنّها (أولها نصر وآخرها كفر)، وهذا الوصف هو نفسه الذي جاء في روايات سابقة وغيرها، حيث وصفت بها الدولة العباسيّة الثانية، كما تتحرك تلك العلامات وتحصل على الانتصارات الكبيرة، ولكنها سوف تكون آخرتها كفر، فيخرج الناس من دين الله أفواجًا.

وجاء في الوصف أنّه (يتبعه خشالة العرب) وهذا وصفٌ للأراذل الذين سوف يتبعونه من أوساخ العرب وفضالاتهم، كما أنّه يتبعه (سفلة الموالي) وهم أي الموالي من المسلمين غير العرب الذين يتجمعون من الآفاق المتنوعة، ولذلك (يلتحق بهم العبيد الآباق من الأفاق) وهم الناس الضائعين والتائهين والمهزومين من مشاكلهم وأوضاعهم الخاصة

والعامة، ويتجمعون من مختلف الآفاق فهم حقًا يصدق عليهم القول أنّهم (من شذاذ الآفاق).

من قرقيسيا إلى حرستا

عندما نجمع هذه الأوصاف نعلم أنّها أوصاف رجال هذه الدولة التي تمتد في منطقة النفوذ السفيانيّ قبل أن يظهر، ولذلك فإنّه عندما يظهر سيحاربهم؛ ثم يؤسّس دولته على تلك الجغرافيا التي كانوا عليها بعد معركة طاحنة بين العباسي والمرواني في منطقة (قرقيسيا). وقرقيسيا هي منطقة تاريخيّة لا وجود لها اليوم، ولكنّها تشكل المساحة ما بين منطقتين؛ مشرقيّة ومغربيّة. وربما تكون هاتين المنطقتين إشارة إلى الجغرافيا التي يمتد اليها حكم هذه المجاميع العباسيّة.

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**إن لولد العباس والمرواني لوقعة بقرقيسيا يشيب فيها الغلام الحزور، ويرفع الله عنهم النصر ويوحي إلى طير السماء وسباع الأرض: إشبعي من لحوم الجبارين؛ ثم يخرج السفيانيّ**»[1].

وهذه الواقعة التي تقع في قرقيسيا تقع بين طرفين لا يمتّان إلى الشيعة بصلة، فتتطاحنان حتى يهلك منهما الكثير، ولا يكون النصر لأحدهما كما في بعض الأخبار. وهذه الرواية أيضًا تنص على هذه الحقيقة عندما قال عليه السلام: «**ويرفع الله عنهم النصر**» ومن صفات هذه المعركة أنّها

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الباب 18، الحديث 12، الصفحة 303.

معركة قاسية يشيب فيها الغلام.

ومن صفاتها أيضًا أنّها لا تكون في المدد الطويلة التي تصل إلى العقود، وإنّما مدتها الزمانيّة تكون متناسبة مع الأمر العادي للغلام فلذلك فهو يشيب ويبقى غلام كما جاء في وصفه في هذه الرواية، ولو كانت المدة طويلة لما استشهد بهذه الكلمة وهي (الغلام الحزور) لأنّها حينئذٍ لا تصلح للتعبير عن المدة الطويلة؛ ولكن بما أنّ المدة قصيرة فقد استعمل هذا التعبير ليوضح المصائب التي تولدها معركة قرقيسيا الذي يفنى فيها الكثير، فيقتلون قتلة شنيعة.

ومن صفات هذه المعركة أنّها تفقد المقاتلين قدراتهم اللوجستية، فلذلك تُترك أجساد الموتى مهملة في العراء، وجيفة بلا دفن، فيوحى بنحو ما من الوحي والإلهام التكويني حيث تتجمع طير السماء وسباع الأرض للشبع من تلك اللحوم.

ومن صفات قتلى هذه المعركة «**أنّهم من الجبّارين**» وهذا الوصف لم يكن وصفًا محمودًا فإنّه جاء معبّرًا عن القوى المتحاربة المتقاتلة بجبارية فيما بينها، وهي تتناسب مع وحشيّة وقسوة أولئك الجبارين الذين وصفوا في الروايات بالأوصاف المتقدّمة وهي أوصاف طاغوتيّة بعيدة عن الأوصاف المدنيّة التي يتصف بها أتباع الخراسانيّ، حيث ركزت مفاهيم حركته والأتباع الذين عاشوا في مناطقهم التي يحكمها بتركيز مفهوم المستضعفين وهو يتناقض كليًّا مع مفهوم الجبارين.

و(الجبّارين) هنا يمكن أن ينطبق على قوى أخرى تشترك في المعركة، فقد جاء في بعض الروايات أنّ هناك مصارع للترك أيضًا في معركة قرقيسيا. والنتيجة في هذه المعركة أنّها مُقدمة لخروج السفيانيّ واستيلائه على الكور الخمس.

وجاء في روايات أخرى أنه سوف يحدث قبل هذه الوقعة اختلاف بني العباس فيتقاتلون فيما بينهم حتى يفنوا عن آخرهم ولا يبقى منهم أحدٌ.

ويبدو أنّ هذه المعركة طاحنة تشترك فيها أطراف متعددة وهي أشبه بالحرب العبثية، غير واضحة الأحداث العسكرية، وربما يعود سبب ذلك إلى الجغرافيا السياسيّة التي تحكم المنطقة التي تمتد إليها أيدي، ورقاب الجبارين، وتتناقض أغراضهم وأهدافهم السياسية نتيجة الأرض المتموجة، أو الأرضية المتموجة التي تظهر في تلك المرحلة، وفي المنطقة، فهناك أطماع متضاربة من جهات مختلفة أوربية وغربية وشرقية، وقد جاء في أكثر من رواية في ملاحم السيد أنّ أوائل معركة قرقيسيا حدثٌ سّماه (من الشرقية) وهناك حدث آخر سمّاه (من الغربية) والإثنان حركتان ضخمتان تحدثان في المنطقة بغض النظر عن تفاصيلهما، فهما حدثان ينطلق كل واحد منهما من جهته وقوته العالمية حيث أن الصراع وإن كان في منطقة محددة ولكنه يعبِّر عن حرب عالمية يُخرج كل صيصية من صيصيته كما في بعض الأخبار.

ثمّ يحدث حدث في منطقة (حرستا) وهي إحدى المناطق المهمّة في محافظة ريف دمشق، ويبدو أنّ هذا الحدث قبل خروج السفيانيّ وبعد

معركة قرقيسيا وهو حدث ملفت للانتباه ولم يكن جزئيًّا وبه مميزات جعلته يذكر من دون الأحداث الأخرى وإن كانت كبيرة.

وزعم بعضهم أن هناك استخدام نووي ولم نجد عليه شاهدًا؛ ولكن المعلوم هو ما ذكرناه من أن هذا الحدث متميز، وملفت، كما أنه حدث فاصل؛ فهو في الوقت الذي يكون رحمة للمؤمنين، وعذابًا على الكافرين، فهو أيضًا يكون مقدمة لخروج السفيانيّ كما سوف يأتي تفصيل خرجته عندما نتحدث عنه بشكل مستقل إن شاء الله تعالى.

التحرّك العسكريّ للخراسانيّ

هل حركة الخراسانيّ في خارج منطقة حكمه هجوميّة أم دفاعية؟

من الواضح من تتبّع الأخبار الشريفة أنّ حركة الخراسانيّ لم تكن لطلب نفوذ ولتوسيع رقعة حكمه، ولذلك فهو لم يتحرك إلا بعد تحرّك القوى المعادية، فوجدناه يتحرك بحدود معينة إلى العراق لمساعدة الشيعة ضد العباسيّين أو ضد العباسي، وكذلك وجدناه كما في الروايات أيضًا، أنّه يتحرك إلى الكوفة (العراق) لمواجهة خطر السفيانيّ؛ فهو والسفيانيّ كفرسي رهان أيضًا، وليس للخراسانيّ خطة مسبقة في احتلال العراق، أو غزو المنطقة، وإنّما يقتصر هدفه، وتقتصر همّته على الحفاظ، ومن أجل الدفاع عن المستضعفين من أهل المشرق الذين يقعون تحت نفوذ حكمه، أو يتحرك ضمن الدفاع عن أراضي حكمه على نحو الحرب الإستراتيجية ليبعد الخطر عن الأراضي التي تقع تحت سلطته بعيدًا عن جيوش المتوحشين العباسيين.

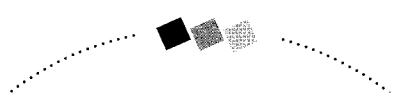

المبحث الثاني:

ديموغرافية المجتمع الخراسانيّ

تفاعل البيئة الحاضنة

من المهمّ التحدّث عن طبيعة المجتمع الذي يحتضن حركة الخراسانيّ من حيث التأثّر والتأثير في التحرّك الثوريّ أو المبدئيّ الذي يقوده الخراسانيّ. فما هو نوع هذه الحركة، وما مدى قوّتها في إيجاد الأرضيّة الممهّدة للظهور، وما هي نقاط الضعف التي نفهم من خلالها الآثار السلبيّة التي سوف تظهر في هذه الحركة في الممارسة بعد التحرّك، وقبل تحرّك الخراسانيّ؟

ومن الواضح جدًّا، إنّنا مُلفتين في عنوان بحثنا إلى الحقيقة العلميّة في دراسة أنثربولوجيا المجتمع الخراسانيّ الذي قد صُرِّح به في قوانين علم الاجتماع، بأنّ معرفة هذه الطبيعة العامّة للمجتمع إنّما تعرف من خلال الدراسات الميدانيّة. ولازم هذه الحقيقة أنّ البحوث التجريديّة تكون في واقع الحال بحوثًا نظريّة لا تصلح غالبًا لإيجاد قواعد لها باعتبارها بحوثًا بعيدة عن الواقع غير مستقاة من تجارب ميدانيّة، ومستقرءات من خلال تتبع الباحثين لنماذج موجودة على الأرض في الجغرافيا البشريّة مثلًا؛ ولكن من المعلوم أيضًا في سوسيولوجيا المجتمعات وجود مشتركات طبيعيّة

يمكنها المشاركة في تكوين الصورة الواقعيّة لطبيعة المجتمع باستخدام قوانين التشابه الاجتماعيّ، فإنّنا نجد أنّ دارسي طبيعة المجتمع العراقيّ مثلًا، أمكنهم أن يدرسوا المجتمعات التي تشترك مع المجتمع العراقيّ، وإن كانت بعيدة جغرافيًّا عن العراق ولكنّها مشتركة بالتشابه من حيث القواعد النظميّة للمجتمعين. وللمثال على هذه الفكرة ما صرّح به الدكتور علي الوردي في كتابه **طبيعة المجتمع العراقيّ** في طبعاته الأخيرة في حياته، بأنّ كتابه المتحدّث والدارس لطبيعة المجتمع العراقيّ قد دُرّس في الجامعات الأخرى لا من أجل معرفة طبيعة المجتمع العراقيّ وإنّما لوجود الشبه بين تلك المجتمعات والمجتمع العراقي؛ ولسنا الآن بصدد مناقشة ما ذكره الدكتور، وما قاله من حيث الصحّة وعدمها، ولكنّ المسألة واضحة الدلالة كما نصّ عليه علماء الاجتماع، بأنّ هناك خصوصيّات لكلّ مجتمع من المجتمعات قد تتميّز بها عن المجتمعات الأخرى وتشاركها بها، وعندما نُريد أن نتحدّث عن طبيعة المجتمع الذي يظهر ويمتدّ فيه نفوذه؛ والتحدّث الذي يمتدّ نفوذه إليه فإنّنا لا يمكننا أن ندرسها على الطريقة الميدانيّة الأمريكيّة في البحث الاجتماعيّ، ولا غيرها من الطرق البحثيّة المعروفة في علم الاجتماع، لأنّنا ندرس ظواهر في مجتمعنا لم تظهر بعْد، وإنّما يفترض أن تظهر في مرحلة مستقبليّة من التاريخ.

وربّما يُناقش من قبل المختصّين في علم الاجتماع بأنّ هذا المنهج يتناقض مع المنهج العلميّ في علم الاجتماع، ويدخل ضمن المناهج الغيبيّة.

والحقّ، وإن كنّا نوافقهم بأنّنا سوف نتحدّث عن مجتمع غائب غير حاضر، من المفترض أنّه سيحدث ويتواجد في المستقبل؛ ولكنّنا نختلف معهم بأنّ المنهج الغيبيّ للمجتمع المفترض لا يتناقض مع المنهج العلميّ إذا ابتُني المنهج الغيبيّ على فرضيّات تؤدّي إلى نتائج علميّة وإن كانت على مستوى الفرد. ومن الصحيح أيضًا القول إنّه لن يكون هذا البحث من ضمن البحوث الغيبيّة التي لا تربطها بالتجربة شيء، وإنّما لها مدخليّة ضمن الأبحاث العلميّة التجريبيّة التي تُعنون بعنوان الفرضيّات، وهي إحدى مراحل البحوث التجريبيّة الطبيعيّة وليست هي من مسائل الغيب والغيبة.

ولتقريب الفكرة نأخذ مثالًا متعارفًا عليه حاليًّا، ما يُسمى بالخيال العلميّ الذي نشط أخيرًا في أوروبا وأمريكا والدول المتطوّرة تكنولوجيًّا. ممّا أثّر على النشاط الفنّي والإنتاج السينمائيّ والأدب القصصيّ، مع أنّ هذا الخيال لم يمتّ إلى الواقع المعاصر بشيء.

ولكنّنا وجدنا المخترعين والعلماء المختصّين يستفيدون من هذا الخيال ليوجدوه إلى واقع، توعز كثير من الأنشطة والتقدّم التكنولوجيّ نجاحاته إلى هذا الخيال العلميّ.

ولم أقصد من المثال مجاله التطبيقيّ على الفكرة تمامًا، بل أقصد به تقريب الفكرة. وقد قيل بالمثل المعروف «**المثال يقرّب من وجه ويبعد من وجوه**».

أمّا بالنسبة لتطبيق النظريّة التي ذكرناها على واقع المجتمع الخراسانيّ فإنّنا من حيث تشخيص المنهج نقول:

إنّ في الروايات الغيبيّة المتحدّثة عن بعض الحوادث المستقبليّة للتاريخ المرويّة عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله المتوفّى قبل أكثر من ألف وأربع مئة وخمسة وعشرين سنة؛ كما أنّ الروايات المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام والتي نُقلت بتاريخ سابق كبير بما يمكن أن يصل تاريخ بعضها إلى ألف ومئتيّ سنة أو أكثر، نجدها تحدّثت في خلال حديثها عن مجتمع آخر الزمان الذي يظهر فيه آخر الأئمة، وهو الإمام المهديّ عجل الله فرجه بمعالم تختصّ بهذا المجتمع، ممّا يُعطينا صورة عن طبيعة هذا المجتمع وربما يُقال في انتقادنا على هذه المنقولات: بأنّ هذه الأحاديث إنّما تحدثت عن مجتمع الظهور للإمام المهديّ ولم تتحدث عن مجتمع الخراسانيّ؟.

والجواب: إنّ الروايات تنقسم إلى نوعين:

الأوّل: تحدّثت عن مجتمع الخراسانيّ بالخصوص وهي روايات أهل المشرق، والروايات التي تحدّثت عن طبيعة سكّان بعض المناطق التابعة لها ضمن الحدود الإداريّة المفترضة لجغرافيّة المشرق المكانيّة والتي تحدثنا عنها سابقًا.

والثاني: فهي وإن لم تتحدّث عن طبيعة سكّان المنطقة الخراسانيّة، ولكنّنا نعلم أنّ حركة الخراسانيّ تكون في الوقت الملاصق لزمن الظهور المهدوي؛ فإنّ خروج الخراسانيّ يتزامن مع خروج السفيانيّ الذي يخرج

قبل ظهور الإمام المهديّ عجل الله فرجه بحوالي السنة والشهرين كما دلّت عليه الروايات.

ونعتقد أنّ الخراسانيّ يخرج في سنة واحدة وشهر واحد ويوم واحد كما في الخبر المروي عن الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: «**خروج السفيانيّ واليمانيّ والخراسانيّ في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضًا، فيكون البأس من كلّ وجه، ويلٌ لمن ناواهم**»[1]. ولا ننسى ما بيّناه أكثر من مرة أنّ الوحدة الزمنيّة تعتمد على بداية الخروج للثلاثة والذي يبدأ بخروج الخراسانيّ.

ومن الطبيعيّ كون المجتمع الذي يخرج فيه الخراسانيّ والسفيانيّ هو نفس المجتمع الذي يظهر فيه الإمام المهديّ عجل الله فرجه فيؤيده المجتمع الخراسانيّ، ثمّ يجتمع الجميع مع اليمانيّ على حرب السفيانيّ.

لذا، علينا أن نصنّف المجتمع الخراسانيّ الموالي لعقيدة أهل البيت والمنتظر للإمام المهديّ طبق تصنيف الروايات التي حدّدناها في موضع سابق من هذا البحث في جغرافيّة حركة الخراسانيّ، فقد رأينا أنّ الخراسانيّة تتحرّك في مجتمعين متغايرين نسبيًّا وإن التقيتا تحت العنوان العقائديّ الواحد، وهو عنوان التشيّع وموالاة أهل البيت عليهم السلام. وقد ميّزنا بينهما سابقًا بأنّ المجتمع الأوّل هو المجتمع الذي يبدأ حركته فيه ويبني كيانه السياسيّ والعسكريّ والاقتصاديّ والعالميّ ضمن حدوده

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 264.

الدوليّة، وجغرافيّته الإقليميّة، بينما يكون المجتمع الآخر مجتمع نفوذ الحركة الخراسانيّة. وقد تركّزت الروايات على أنّ محلّ هذا النفوذ هو العراق، أو ما عُبّر عنه بالكوفة أو كوفان، كما في الخبر المروي في غيبة النعماني عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام حدّث عن أحداث تكون بعده إلى قيام القائم. قال الحسين: «**يا أمير المؤمنين متى يُظهر الله الأرض من الظالمين؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لايظهر الله الأرض من الظالمين حتى يسفك الدم الحرام (ثم ذكر أمر بني أمية وبني العباس في حديث طويل) ثم قال: إذا قام القائم بخراسان، غلب على أرض كوفان، وملتان، وجاز جزيرة بني كاوان.....إلخ**»[1]. واسم الكوفان وإن كان يُطلق على مدينة الكوفة، ولكنّه يمكن أن تكون الألف والنون مزيدتين على اسم الكوفة بما قد يُراد منها مزيدًا من انطباق العنوان على الحدود الأوسع للكوفة، ممّا يشمل المناطق الشيعيّة التي تقع في حدودها كربلاء والحلّة والديوانيّة والناصريّة وغيرها.

وقد وجدنا الروايات التي تحدثّت عن الكوفة وكوفان في هذه المنطقة، وطبيعة هؤلاء السكان غير ما ذكرته الروايات عن طبيعة سكّان منطقة الحكم الخراسانيّ.

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 275، باب 14، الحديث 55.

صفات سكّان المجتمع الخراسانيّ

جاء وصفهم في الروايات بالصفات الإيجابيّة ولم يُلحظ في تلك الروايات أيّ صفة في هذا المجتمع، ولا يعني أنّهم خالين من الصفات السلبيّة أو أنّه كاملُ مثاليٌّ البتة. إنّما نستظهر من هذه الروايات أنّها تحدّثت عن صفات القوّة في هذه الجماعة من الناس، وهو عرض أساسيّ في تحديد دورهم الطبيعي والقيادي في الحركة التغييريّة للخراسانيّ. ومن البديهي أن نعتقد وجود صفات سلبيّة فيهم ولكنّها معفو عنها بالتقييم الحقيقيّ لسكان هذه المنطقة لأنّ الحسنات يُذهبن السيئات. كما أنّ المقام ليس في دراسة طبيعة هذه الجماعة من جميع ما تميّزت به بمكوّناتها وإنّما المقصود منها بيان حال الجماعة الخراسانيّة القويّة المجاهدة والممهّدة للمهديّ عليه السلام، وليست هي حديث عن شعب أو قوميّة مع الالتفات إلى ما جاء في تلك الروايات من كلمة (قوم) التي تستخدم في كثير من استعمالاتها اللغويّة إلى (المجموعة من البشر، وإلى معنى الجماعة). ولم تكن معرفة الاستعمال بالمعنى المستخدم في أواخر القرن التاسع عشر ميلاديّ بالمعنى القوميّ، لأنّ مصطلح القوميّة بمعناه المعاصر ظهر متأخرًا في بداية تشكيل الانتماءات العرقيّة في أوروبا ومن ثمّ انتقاله إلى المجتمعات الشرقيّة.

بالإضافة إلى ما وجدناه من تعامل العقيدة الإسلاميّة وشريعتها مع الأفراد والأقوام على أسس مبادئيّة فكريّة غير محكومة بعرقيّة أو انتماءات يمكنها أن تشترك الجماعات المختلفة فكريًّا وعقائديًّا، فلا

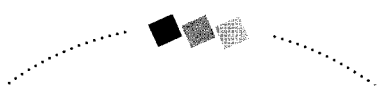

تصلح تلك المشتركات لأن تستخدم كقاعدة للتميّز بين الجماعات البشريّة؛ لأنّ المفروض بها أن تكون مستخدمة من الجانب الإيجابيّ في تميّز العلاقات، ولا تصلح أبدًا في التفاضل المحدود لأنّ هذا التفاضل سوف يتناقض بالضرورة مع ميزتها الوحيدة فيها وهي الاشتراك، ممّا يلزم التضاد المنطقيّ. وهو ما نصّت عليه الآية الشريفة: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [1].

ومن أهمّ تلك الصفات الكماليّة التي يتميّز بها هذا المجتمع:

1. وضوح الرؤية وقوّة العقيدة:

من جملة تلك الروايات التي تشير إلى هذه الحقيقة ما جاء عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**كأنّي بقومٍ قد خرجوا من المشرق يطلبون الحقّ**»[2]. وهذه الرؤية الواضحة لا تزلزل، وهو ما يُعبر عنه في الخبر الآخر المرويّ عن الإمام الكاظم عليه السلام (الحسن الأوّل) قال: «**رجلٌ من أهل قم يدعو الناس إلى الحقّ، يجتمع معه قومٌ كزبر الحديد، لا تزلّهم الرياح العواصف ولا يملّون من الحرب، ولا يجبنون، وعلى الله يتوكّلون، والعاقبة للمتقّين**»[3].

توضح هذه الرواية الشريفة دعوتهم إلى الحقّ وصلابتهم فيه، بحيث لا تزلّهم عواصف السياسة، ولا حروب الخصماء. وفي الخبر صفات جماليّة

(1) سورة الحجرات، الآية 13.

(2) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 273، باب 14، الحديث50.

(3) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء57، الصفحة 215.

سوف تأتي ضمن سياق تعدادها إن شاء الله تعالى.

ورُوي أيضًا عن الإمام الصادق عليه السلام أنه وصف أهل طالقان، حيث قال في الرواية:

«له كنز لم تنشر منذ طويت، ورجال كأنّ قلوبهم زبر الحديد لايشوبها شك في ذات الله أشدّ من الحجر، لو حملوا على الجبال لأزالوها، لا يقصدون برایاتهم بلدة إلّا خرّبوها، كأنّ على خيولهم العقبان يتمسّحون بسرج الإمام عليه السلام يطلبون بذلك البركة، ويحفون به ويقونه بأنفسهم في الحروب، ويكفونه ما يريد فيهم، رجال لا ينامون الليل، لهم دويٌ في صلاتهم كدويّ النحل، يبيتون قيامًا على أطرافهم، ويصبحون على خيولهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار، هم أطوع له من الأمة لسيّدها، كالمصابيح، كأنّ قلوبهم القناديل، وهم من خشية الله مشفقون يدعون بالشهادة ويتمنّون أن يقتلون في سبيل الله، شعارهم يا لثارات الحسين إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر يمشون إلى المولى إرسالا، بهم ينصر الله إمام الحقّ»[1].

2. القوّة العسكريّة:

وقد ورد في أخبار متعدّدة شريفة ممّا رويت عن المعصومين عليهم السلام أنّهم يستخدمون القوّة العسكريّة في سبيل حصولهم على الحقّ كما في الخبر المروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**كأنّي بقومٍ قد خرجوا**

(1) البحار، المجلسي، الجزء 52، الصفحة 308.

بالمشرق يطلبون الحقّ فلا يعطونه، ثمّ يطلبونه فلا يعُطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ما سألوه فلا يقبلونه حتّى يقوموا»[1].

3. **التوكّل على الله:**

وليست من المسائل العادية، أو السهلة التي يمكنها أن تحدث عند كلّ مَنْ يدَّعي أنّه يملك قوّة قدرة التوكّل، وإنّما التوكّل على الله حالة نفسانيّة كماليّة محصورة بالمتّقين الذين يملكون الانقطاع إليه سبحانه عزّ وجلّ وقد يئسوا عمّا في أيدي الناس، فبذلك هم يتعاملون مع الله عزّ وجلّ وحده لا شريك له، ولم يكن مبتغاهم سوى رضاه. والحقّ، أنّ كلّ من يتأمّل بالشرق أو الغرب لنصرته ومعونته فهو غير متوكّل على الله سبحانه وإنّما المتوكلون، أولئك الذين اعتقدوا أنّ الله وحده هو المقصود، ورفعوا شعار «**لا شرقيّة ولا غربيّة جمهوريّة إسلاميّة**».

4. **النصر:**

تميزّت هذه الفترة الزمنيّة التي يظهر بها أهل المشرق بأنّها فترة صراع عميق بين الحقّ والباطل يأخذ أشكالًا متنوّعة، ولكنّه بالنتيجة ينكسر الباطل بنحو من الانكسار أمام هذه القوة الحقانيّة بما لم يسبق له مثيل في تأريخ الصراع البشريّ بين قوى الظلام وقوى النور وقد وجدنا صدر الصراع في نهضة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام قد تنتهي مع أعدائهم

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 281، الباب 14، الحديث 50.

وخصومهم أهل الباطل غالبًا إلى استشهادهم عليه السلام، وتغلّب أهل الباطل على السلطان والحكم وقيادة المجتمع البشريّ الذي يتصارعون فيه مع أهل الحقّ، وفي بعض الصور قد يغضب الله تبارك وتعالى على أهل الباطل، وينتقم منهم بعد أن يسمح للنبيّ أو العبد الصالح أن يُهاجر من الأرض التي تغلّب عليها أهل الباطل هو وعياله وأتباعه من المخلصين والمؤمنين به.

وهذه أيضًا من النتائج السلبيّة لأهل الحقّ، بينما نجد الوضع يختلف تمامًا في حكومة الموطئين ودولتهم التي يحكمها الخراسانيّ حيث تكون النهاية والنتيجة بنهاية الصراع بين الحق والباطل وينتصر الحق بظهور الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف. وتبدأ فصول نهاية قصة البشريّة على الأرض وبداية القيام لدولته روحي وأرواح العالمين له الفداء.

ويمكننا أن نؤشّر إلى هذه الحقيقة بما روي عن الإمام الباقر عليه السلام في **كتاب الغيبة** للنعماني، حيث يقول في ذيل الرواية المتقدّمة عن خروج أهل المشرق: «**إنّما إنّي لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر**»[1].

ومعنى هذا قرب الفترة الزمنيّة بين نهضة الخراسانيّين الشرعيّة الشيعيّة وبين قيام القائم عجل الله فرجه. بحيث يمكن للإنسان الذي يعيش فترة الثورة الخراسانيّة أن يبقى بعمر طبيعي ليصل فيعيش في دولة القائم، كما

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 282.

أنّ هذا النص واضح الدلالة على انتصاراتهم العسكريّة فيستمرون بالحكم ولا يدفعونها إلا لصاحبها، حتى ولو فرضنا وجود بعض الخسائر فإنّها سوف تكون خسائر جزئيّة لا تؤثّر على وجودهم وبقائهم كدولة وسلطان.

انتصارات الخراساني

من الروايات التي وردت بغير طرق الشيعة، وبأساليب عامّيّة سنّيّة دلّت على انتصارات الخراسانيّين، ما رواه ابن ماجه في سننه عن رسول الله أنّه قال:

«إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريدًا وتطريدًا حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون فيعطونه ما سألوا، فلا يقبلونه حتى يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي فيملأها قسطًا كما ملوؤها جورًا، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوًا على الثلج»[1].

فهذه الرواية واضحة الدلالة بل هي نصّ على انتصاراتهم السياسيّة والعسكريّة وأخذهم الحقوق المشروعة ومطالبهم التي ينادون بها. والشيء بالشيء يُذكر أنّ نهاية المفاوضات حول النوويّ سوف يستسلم الغرب لمطالبهم ويعطونهم كلّ ما يريدونه ويناضلون من أجله كما نص عليه هذا الخبر.

(1) سنن ابن ماجة ، الجزء 2، الصفحة 1366، الباب 34 من كتاب الفتن (باب خروج المهدي)، الحديث 4082.

كما تقدّم في الخبر الآخر من تاريخ قم أنّ الإمام الكاظم عليه السلام وصف القائد القمّي الذي يدعو الناس إلى الحق «**يجمع معه قوم كزبر الحديد، لا تزلّهم الرياح العواصف، ولا يملّون من الحرب ولا يجبنون**»[1].

وقد صرّح بعض فقهاء قم بأنّه: «**يُحتمل انطباق مفاد هذه الأخبار على الثورة الإسلاميّة في إيران كما لا يخفى**»[2].

كما جاء في خبر آخر بهذا المكنون، وهو الانتصارات الكثيرة التي سوف تحققها هذه الحركة والنهضة، من جملتها ما روي عن تاريخ قم. روى بعض أصحابنا قال: «**كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالسًا إذ قرأ هذه الآية حتّى إذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليهم عبادًا لنا أولي بأسٍ شديدٍ فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولًا، فقلنا: جعلت فداك مَنْ هؤلاء؟ فقال ثلاث مرات (هم والله أهل قم)**»[3].

فهذه صريحة بالانتصارات العظيمة التي سوف تحقّقها هذه القوّة المناهضة للباطل على جميع الأصعدة السياسيّة والعسكريّة والأمنيّة، والاقتصاديّة والعلميّة وغيرها.

5. يوطئون للمهديّ سلطانه:

تقدّم سابقًا أنّ الخراسانيّين هم الذين يمهّدون للمهديّ سلطانه. ورد

(1) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء 57، الصفحة 216.

(2) الشيخ منتظري، دراسات في ولاية الفقيه (قم: المركز العالميّ للدراسات الإسلاميّة، الطبعة 1، 1408ه)، الجزء 1، الصفحة 240.

(3) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء 57، الصفحة 216.

هذا المعنى بنصوص كثيرة مستفيضة، بل إنَّ ادّعاء التواتر المعنويّ فيها لا يعتبر مجازفةً، بل ممكن لكثرة ما ورد في طرق السنّة ومن طرقنا: ومن جملة تلك الطرق ما ورد في سنن ابن ماجة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**يخرج ناسٌ من المشرق فيوطئون للمهدي يعني سلطانه**»[1].

وفي ميزان الاعتدال للذهبيّ نقل عن أحمد في مسنده بإسناده عن ثوبان قال: قال رسول الله: «**إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبوًا على الثلج فإنها خليفة الله المهديّ**[2].

وقال المقدسيّ في عقد الدرر بعد أن نقل هذه الرواية: «**ولعلّ قوله عليه الصلاة والسلام وعلى آله: «فإنّ فيها خليفة الله المهديّ**» أي فيها توطئة وتمهيد لسلطانه كما سبق في حديث عبد الله ابن الحارث آنفًا»[3].

ولا نطيل بالمقولات والروايات هنا فقد تحدثنا عنه سابقًا في حلقة الموطئين، والشيء بالشيء يُذكر أنّ نهاية المفاوضات حول النووي، سوف يستسلم الغرب لمطالبهم ويعطونهم كلُّ ما يرُيدون ويناضلون من أجله كما نص عليه هذا الخبر.

6. أنَّ فيهم نفرٌ من أصحاب المهديّ عجل الله فرجه:

ورد في أكثر من رواية أنّ في جيش الخراسانيّ الذي يأتي لنصرة أهل العراق ليحارب السفيانيّ ثمّ ينتصر عليه، يكون فيه ضمن العديد

(1) سنن ابن ماجة، الجزء 2، الصفحة 1368، باب 34، رقم الحديث 4088.
(2) الذهبي، ميزان الاعتدال (بيروت: دار المعرفة)، الجزء 3، الصفحة 128.
(3) عقد الدرر، الصفحة 126.

من هذه القوة نفرٌ من أصحاب القائم عليه السلام، كما في غيبة النعماني[1]، أسند الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه ذكر علامات الظهور ثم قال: «**ويبعث السفيانيّ جيشًا إلى الكوفة وعدتهم سبعون ألفًا فيصيبون من أهل الكوفة قتلًا وصلبًا وسبيًا. فبينما هم كذلك إذ أقبلت رايات من قبل خراسان (من ناحية خراسان خ.ل؛ نحو خراسان خ.ل) وتطوي المنازل طيًّا حثيثًا، ومعهم نفرٌ من أصحاب القائم... إلخ**»[2].

وهذا الخبر واضح الدلالة على أنّ هذا الجيش الخراسانيّ فيه أكثر من عنصر من أصحاب القائم عليه السلام.

ويبقى الكلام في أنّ هؤلاء الأصحاب: هل هم الذين سيكونون في مستقبل التأريخ من أصحاب القائم عليه السلام وذلك بما يملكونه ويتميزون به من صفات قدسيّة أهّلتهم ومكّنتهم من أن يتبوّأوا هذا المقام الرفيع؟ أم أنّ المقصود (من أصحاب القائم) وتسميتهم بهذا الاسم الشريف كونهم فعلًا قد يكونوا مبعوثين من قِبَله عليه السلام لخراسان، أو القيام بهذا القيام وبهذه المهمّة لمقاتلة بعث السفيانيّ في الكوفة وتخليص شيعته فيها من جرائمهم، خصوصًا أنّ الرواية قد أشارت في آخرها أنّ هذه الحركة الأخيرة تكون بوجوده وظهوره صلوات الله عليه، حيث ينزل السفيانيّ ببعثه الآخر في بيداء الحجاز، وينزل عليهم الغضب الإلهيّ بإبادتهم عندما يُنادي جبرائيل في السماء (يا بيداء أبيدي القوم)

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 281، الباب 14.

(2) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء 52، الصفحة 237.

فيخسف بهم البيداء، فلا ينجوا منهم إلا ثلاثة يحول الله وجوههم في أقفيتهم...؟ الرواية الشريفة تقول:

«والقائم يومئذٍ بمكة قد أسند ظهره إلى البيت الحرام مستجيرًا به فينادي: يا أيّها الناس؛ إنّا نستنصر الله فمن أجابنا من الناس، فإنّا أهل بيت نبيّكم محمد صلى الله عليه وآله ونحن أَوْلى الناس بالله، وبمحمد صلى الله عليه وآله، فمن حاجّني في آدم فأنا أولى الناس بآدم، ومن حاجّني في نوح فأنا أولى الناس بنوح، ومن حاجّني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم، ومن حاجّني في محمّد صلى الله عليه وآله فأنا أولى الناس بمحمّد صلى الله عليه وآله، ومن حاجّني في النبيّين فأنا أولى الناس بالنبيّين...»[1] إلى آخر خطبته، والأحداث التي تصير؟

المدّة الأقرب

الذي يظهر من الخبر الشريف أنّ مقصوده من عبارة (ومعه نفرٌ من أصحاب القائم) أن الحديث يتحدث عن وقائع الظهور وهي المدّة الأقرب، والحديث كان بشكل عامّ عن أصحاب القائم، ويمكن أن يتحقّق على أيّ نحو من النحوين اللذين ذكرناهما، وهما: كون هؤلاء النفر فيهم من الأهليّة؛ أو كونهم مبعوثين من القائم؛ فيبقى المعنى مجمل غير مفصّل، ولكن هذا الإجمال يعطي صورة مبيّنة، ومفصّلة وهي تقول: إنّ جيش الخراسانيّ فيه من الميّزات الذاتيّة بالصلاح، والتقوى، والشجاعة،

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 290، الباب 14، الحديث 67.

والقوة، والاستقامة، والثبات، ووضوح الرؤية، وصلابة العقيدة ما يجعل هذا الجيش مؤهّلًا لاحتواء أنصار المهديّ عجل الله تعالى فرجه بأيّ نحو من أنحاء الاحتواء، فإنّ وجود الناصر للمهديّ في هذا الجيش يميّزه عن الجيوش في باقي العالم ولم نجد في جيش من جيوش العالم الآخر أنّ فيه من أصحاب الإمام المهديّ، وإنّما قد يكون رأس الهرم والهيكل لجيش مُعيّن في تلك الجيوش التي تقع في دائرة نصرة المهديّ قد ارتبط بنحو من الارتباط بالإمام المهديّ كما سوف يأتي الحديث عن اليمانيّ وشرح عبارة أنّ اليمانيّ يدعو إلى المهديّ وإن رأيته أهدى الرايات والمقارنة بينه وبين الخراسانيّ.

إنّ راية الخراسانيّ قد وُفقت بتوفيق إلهيّ كبير حيث كان فيها نفرٌ وليس واحد فقط من أصحاب المهديّ. وعندما نقرأ ونسمع بالنفر من أصحاب المهديّ فإنّنا نعلم علمًا قطعيًّا يقينيًّا أنّ أصحاب المهديّ لم يكونوا من الخانعين، وليسوا من القاعدين، ولا من المستسلمين للأمر الواقع، ولا هم من الذين يعاونون الطاغوت، ولا من الكسالى الذين لا يهمّهم الدين، وليسوا هم من الانتهازيّين الذين همّهم بالأساس مصالحهم الخاصّة ويركضون وراء الدرهم والدينار، كما أنّهم ليسوا من أصحاب البطر أو الأفكار الضيقة، أو من اللامبالين الذين لا يهمهم إن شرّقت الأرض أو غرّبت.

بل هم نقيض هذه الصفات تمامًا؛ مملوؤن حركة وحيويّة ونشاط لنصرة الدين الذي هو همّهم الأوحد للدفاع عن العقائد الحقّة وإن ضحّوا

من أجلها؛ وقد قدّموا الكثير في طريق النضال والجهاد والتضحية من أجل انتصار دين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وانهزام الاستعمار وأذنابه والرجعيّة، ونفر الشقاق والنفاق.

ويعني هذا أيضًا أنّ هذا الجيش يتحرك بقادته الإلهيّين الذين هم من أصحاب المهديّ؛ فإنّنا نعلم أنّ الموضوع إذا كان متعلّقًا بمرحلة قبل ظهور المهديّ عجل الله فرجه الشريف، فممّا لا إشكال فيه يكون عمل هؤلاء النفر من الأصحاب قد أتى أُكُله من هذا النجاح، وحقّق الانتصارات الكبيرة. كما استطاع هؤلاء أن يرتقوا بعناصر جيش الخراسانيّ إلى المستوى العقائديّ الكبير، وبنوا القاعدة الواعية والشجاعة، والقاعدة القائدة؛ ومعنى هذا: أنّ هذا الجيش هو جيش عقائدي بكل معاني الكلمة.

وعلى فرض أن يكون النفر من أصحاب القائم عجل الله فرجه قد أُرسلوا من قبل شخص الإمام عجل الله فرجه للخراسانيّين فمعناه أيضًا: أنّ هذا الجيش هو جيش عقائديّ خالص ومخلص ومتميّز، بحيث حصل على عناية خاصّة من المولى عجل الله فرجه، وامتازوا بها عن غيرهم من أهل البلدان، فإنّنا سوف نقرأ في حركة الخراسانيّ وغيره أنّ العالم في تلك المرحلة الحرجة من تأريخ البشريّة يعيش الغليان والفوران في كلّ العالم، وخصوصًا العالم العربيّ والإسلاميّ المحيط بالعالم العربيّ؛ إمّا لكونهم يعيشون حالة صراع عنيفة يحتاجون للخلاص ممّا عانوه من جور وظلم حكّامه، أو أنّ الوعي الإسلاميّ عند المسلمين وعلى اختلاف مذاهبهم، والذين يكونون في بعض المناطق متقاتلين فيما بينهم، ولكنّهم مع ذلك يعيشون الاحساس

بقرب ظهور المهديّ الذي سوف يكون هو المخلّص، وبه سوف تكون نهاية التأريخ المأساويّ الذي عاشه المستضعفون؛ لأنّه سوف يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا.

والحديث عن هذه الظاهرة الغريبة سوف يأتينا في محلّه إن شاء الله تعالى من هذه البحوث.

والخلاصة أنّ جيش الخراسانيّ هو جيش المهديّ في مشرق الأرض، والكماشة التي تأخذ بخناق السفيانيّ الذي يظهر بعنصر مترابط يبين جميع الأجنحة العبّاسيّة والمروانية والغرب الصليبيّ.

وكما أسلفنا، فإنّ سلطنة الخراسانيّ تمتد إلى مناطق نفوذ له خارج الحدود الإداريّة لدولته، وقد تكلّمت الروايات عن مناطق له في شرق دولته وفي غرب دولته؛ وتميّزت بقع جغرافيّة تقع تحت نفوذه في مشرق بلاده عن باقي مناطق نفوذه، بحيث نجد الروايات تلصق هذه البقع والمنطقة بدولته لصوقًا كبيرًا بما قد يوهم أحيانًا أنّ الروايات تتحدّث عن دولة واحدة وشعب واحد وهو المعبّر عنه بـ (المشرق)، ولكن وجود جملة من الروايات التي تكلّمت عن أهل المشرق بصفات متمايزة ومتغايرة ومختلفة فيما بينها؛ قد تسميها الروايات بأسمائها التاريخيّة، وبأسمائها الجديدة مثل الطالقان ويقصد منها - والله العالم- أفغانستان، وقد كان تاريخيًّا يُطلق اسم طالقان على المنطقة الإداريّة لكثير من مواقع أفغانستان حاليًّا الشيعيّة منها والسنّيّة، ولذلك قد نجد في بعض الروايات التي تتحدّث عن مستقبل الأحداث الذمّ لطالقان، بينما نجد في البعض الآخر المدح

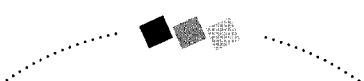

لمنطقة وأهالي طالقان التي هي منطقتان واقعتان في إيران إحداهما قرب الحدود لجمهورية آذربيجان الحالية.

سلبيّات وإيجابيّات المجتمع العراقيّ

تتلخّص مميّزات المجتمع العراقيّ بالنقاط التالية:

1- الامتحان الإلهيّ وصعوبة الأحداث: وردت روايات عدّة في آخر الزمان تظهر بلايا، ومحن، وفتن تملأ البلدان، واختصّ بعضها بقوميّات دون أخرى؛ بينما نجد بعضها الآخر تتحدّث عن شعوب وأماكن وبقاع ذكرت أسماؤها في تلك الروايات مثل كلمة (ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب).

فالشر هنا مُنكر (أي نكرة وليس معرفة) لم تفصح عنه الروايات الشريفة ممّا يُبقي المعنى مجملًا بين أن يكون هذا الشرّ شرّ حقيقيّ بما تكسب العرب بأعمالها السيّئة كما قد يكون هذا الشرّ شرٌّ نسبيّ تحسبه العرب شرٌّ لها ولكنّه خير محض لها، كما هو المُعبّر بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

ومن الروايات التي تحدّثت عن بلايا آخر الزمان ما يحدث في مصر «**وقتل أهل مصر أميرها**» وما يُلازم ذلك من الشرّ الذي يحيق بأهلها والتناقضات والآلام، وبعض الأخبار تحدّثت عن فتنة الشام وخرابه كما سوف نقرأها إن شاء الله تعالى في حديثنا عن السفيانيّ «**وتكون فتنة**

(1) سورة البقرة، الآية 216.

طاحنة تخرب الشام وقتال بين الأصهب والأبقع وأحداثٌ موجعة يشيب منها الوليد».

أمّا العراق، فقصّته في تلك الأيّام العصيبة هي أمّ القصص وليس مثل حكايته حيث الدمار والخراب والنقص في الأموال والأولاد والأنفس كما جاء في الخبر الشريف في قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [1] .

فإنّ هذه الأحداث العظام ممّا اختُصّ بها العراق وأهله دون غيرهم قبل الظهور، وإن شاركهم أهل الشام في بعضه؛ فقد روى النعماني في غيبته بإسناده عن أبي بصير قال:

قال أبو عبد الله عليه السلام لا بدّ أن يكون قدام القائم سنة يجوع فيها الناس، ويصيبهم خوف شديد من القتل، ونقصًا من الأموال والأنفس والثمرات، فإنّ ذلك في كتاب الله لبيّن، ثم تلا هذه الآية: «**ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع، ونقص في الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين. وروى بإسناده عن جابر الجعفي قال: «سألت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام عن قول الله تعالى (ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع)، فقال: يا جابر، ذلك خاص، وعام. فإمّا الخاص من الجوع فبالكوفة. ويخص الله بن أعداء فيهلكهم وأمّا العام فالشام يصيبهم خوف وجوع ما أصابهم مثله قط، أمّا الجوع فقبل قيام القائم عليه السلام، وأما الخوف فبعد قيام القائم عليه السلام**»[2].

(1) سورة البقرة، الآية 155.

(2) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 259.

وروى الطبري الإمامي في دلائل الإماميّة بسند معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إنّ لقيام قائمنا عليه السلام علامات؛ بلوى من الله للمؤمنين. قلت: وما هي؟ قال: ذلك قول الله عز وجل: (ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين) قال: (لنبلونّكم) يعني المؤمن (بشيء من الخوف) من ملوك بني فلان في آخر سلطانهم (والجوع) بغلاء الأسعار (ونقص) من الأموال. قال: فساد التجارات وقلّة الفضل (الأنفس) موت ذريع (والثمرات) قلّة ريع ما يزرع، وقلّة بركة الثمار (وبشّر الصابرين) عن ذلك بخروج القائم عليه السلام. ثم قال لي: يا أبا محمّد، هذا تأويله (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)»[1].

وفي العراق فتن كثيرة وقتلٌ ذريع وموت سريع، ويسيطر عليه قومٌ لا خلاق لهم وتعمّ الفوضى أرجاءه، حتّى نجد عودة ظاهرة السبي وبيع النساء في بعض محلّاته وامتداداته الجغرافيّة، وأعظمها فتنة وفجيعة ما ورد في مائدة الجبّارين من قتل مئة ألف منهم في (منطقة قرقيسيا) وهي المنطقة المحاذية للمنطقة السوريّة بين دير الزور والرقّة والحسكة والقامشلي.

وجاء في تفسير أسباب هذه البلايا في العراق أنّها اختبار وامتحان يمرّ به أهله ليتمحّصوا ولينقوا حتّى لا يبقى منهم من يثبت على الحقّ

(1) محمّد بن جرير الطبري، دلائل الإمامة (قم: مؤسّسة الدراسات الإسلاميّة، الطبعة 1، 1413ه)، الصفحة 259.

إلّا الأندر، فيكونوا بمستوى المسؤوليّة وتحمّلها وهم الحاضنة الصالحة لقوّات الإمام المهديّ وجنده القادمين من شتّى بقاع العالم.

نتائج الامتحان

وجدنا بعض الروايات تحدّثت عن نتائج هذا الامتحان، فالمجتمع العراقيّ سوف يعاني في تلك المرحلة من ردود فعل طبيعيّة للضغوط النفسيّة التي مرّ بها ممّا تظهر عليه عوارض أمراض متعدّدة منها:

1- الفرقة: عندما تفقد الأمّة قائدها المنقذ تعيش في تخبط عشوائيّ، ممّا يجعلها تتفرّق إلى فرق متعدّدة غير مجتمعة وذلك بعودة أو التجاء (على اختلاف الظروف)[1] للجهة التي تحسب كلّ جماعة أنّ قوّتها فيها وعنده يلتجيء إلى الروح العشائريّة أو القبليّة بكل

(1) فالظروف التي حكمت العراقيّين في النظام الإداري العثمانيّ أعطت للقبيلة ولشيخها السلطة الإداريّة والقضائيّة المطلقة على منطقته وقبيلته في مقابل الولاء للسلطة العثمانية بينما نجد الظروف تغيرت في الملكية بعد احتلال العراق من البريطانيين ولكن النظام احتفظ بالامتيازات الخلاقة للقبيلة ولشيخها، وحينما جاء النظام الجمهوري سنة 1958م رفع شعار التقدمية ومحاربة الرجعية والقبيلة والعشائرية كنظام قضائي وإداري يتحاكم اليه بالنظم العادية المعبرّ عنها بالعرفية، وهكذا استمرت القضية في الأنظمة السياسية المتعاقبة على الحكم ببغداد واشتدّت الأزمة بين السلطة والقبيلة حتّى أحداث 1991م حيث انقلبت الموازين عند السلطة بإرجاع النظام القبلي وأعادته إلى الحياة القضائية والإدارية والسياسية. بينما نقرأ في التكوين الاجتماعيّ للمجتمع العراقيّ أنّ الإنسان الذي يعيش بالمدينة يكون أبعد بكثير عن العلاقة بالقبيلة بل إن من ثقافة إنسان المدينة العراقي في فترات قبل التسعينات أنّه يرفض التقاليد والعادات القبلية ويعتبرها نوعًا من التخلّف والقضايا المرفوضة غير المقبولة وهو مرتبط عكس ما عليه الوضع في القرى والأرياف والصحراء العراقيّة التي ترى مظاهر القبيلة وسلطتها واضحة في الكثير من تفاصيل حياتها العامة والخاصة. ولكن وجدنا بروز ظاهرة سلطة القبيلة بعد التسعينات من القرن المنصرم في المجتمع العراقيّ، وتراجع ثقافة المدينة، ونمو الانتماء إلى ثقافة القبيلة ليوفّر الإنسان غير المنتمي لقبيلة قوّة لحمايته من الآخرين وما زالت هذه الظاهرة موجودة تحكم كثير من فواصل الدولة والمجتمع التي أخذت تتسرّب إلى الثقافة العامّة، ومن ثمّ تبنيها من قبل مراكز القرار السياسيّ والثقافيّ في البلد.

سلبيّاتها وتناقضاتها مع الدين والتطوّر الاجتماعيّ، وما تحويه من مواطن التخلّف عن الحضارة والمدنيّة، لتحس تلك الجماعة بالقوّة التي تحميها من الجماعات الأخرى.

2- ظهور الأحزاب والتجمّعات السياسيّة والعسكريّة لفقدان القائد القادر على تجميع الأمة، ممّا يلجِئ كلّ جماعة إلى توفير الأمن الذاتيّ لها، وتجميع أكبر مقدار من القوّة لحماية أفراد الجماعة، أو طمعًا من أجل كسب المزيد من المكتسبات التي قد يعطيها عنوانًا عصريًّا طموحًا مقبولًا من التطوّر الاجتماعيّ أو الحضاريّ أو المدنيّ الذي تعيشه الأمّة العراقيّة.

وقد تكون هذه القوّة أو تلك تستند على برامج خارجيّة، وأجندات يُخطط لها في دوائر دول كبرى أو صغرى من دول قريبة أو بعيدة. وسوف تكون هذه الأجندات والبرامج بطبيعة الحال بما تملكه من قوّة المال، والسلطة، والاستخبارات، والأمن، والهجرة إلى البلدان المستقرة. كل هذا يؤهلها لتلك الدول ذات الأجندات الخارجيّة في أن تكون هي الأقوى في استقطاب المجموعات المتفرّقة. وسوف نجد تلك الدول قد ركز همّها الأساسيّ على التفرقة وعدم اتّحاد المجاميع فيما بينها، لأنّ أصحاب تلك الأجندات يتصوّرون أنّ أي تقارب بين تلك المجاميع هو قوّة تضرّ بهم، وبأجنداتهم، فهم يعلمون من خلال أجهزتهم الاستخباريّة أهميّة العراق كموقع استراتيجيّ في العالم، ويعلمون أيضًا أنّ العالم ذاهب إلى خطّ النهاية، وأنّ هناك حدث سوف يُفجِّر العالم بنظمه الاقتصاديّة

والسياسيّة ويغيِّر وجه العالم من حيث إيجاد سلطة جديدة تتمتّع بقدرات التغيير السياسيّ والأمنيّ والعسكريّ للعالم. وسوف يبدأ هذا الحدث أو يستقرّ من بدايته في العراق، وهم يعلمون أنّ هذا الحدث يقوده المخلّص كما يسمّون حدث قرقيسيا بحدث هرمجدون، وقد امتلأت المكتبات الأميركيّة والغربيّة من الأبحاث المخابراتيّة التي تتحدث عن هذه الوقائع التي توشك أن تحدث، ولذا فإنّهم يبحثون دائمًا عن رأس الخيط الذي قد يوصلهم إلى رجال الحدث.

فالموضوع ليس من نسج الخيال وإنّما مأخوذ مأخذ الجد عند تلك الدول والسلطات العالمية، وعندنا شواهد واقعية حدثت على الأرض نعرض عن ذكرها هنا لأسباب متعدّدة.

3- الفوضى: فإنّه وبشكل طبيعيّ عندما تضعف السلطة على أيّ مجتمع فسوف تبرز ظاهرة الفوضى التي تشكّل الخطر الأدهى على الحضارات فتقتلها وتميتها. وضياع السلطة أو ضعفها يقوّي في المجتمعات اللامسؤوليّة وهي في رأي الاجتماعيّ: تكوين المجتمعات اللامنتمية؛ لأنّ الانتماء يوازي المسؤوليّة ويساويها، فالإنسان غير المنتمي غير منضبط، وغير ملتزم، سواءًا على المستوى القيَمي والمبادىء والمثل، أو على مستوى الطاعة للقوّة التي ينتمي إليها وينتظم إليها، فمع عدم وجود الانتماء يساوي عدم الالتزام، وهو بالضبط ما يمكن أن نعبّر عنه بعدم الانضباط، وليس معناه ما يساوي الفوضى.

وقد مرّ المجتمع العراقيّ بتجارب صعبة عبر التاريخ أفقدته الإحساس بالانتماء إلى حاكميه، فقد كان مُحتلًا عبر التاريخ الطويل من قبل الدولة العثمانيّة التركيّة وبعدها الإنكليز الذين ورثهم الأميركان. وما زال العراقيّون يعيشون تحت هذه السلطة بشكلٍ مباشر أو غير مباشر، فمرّة يحسّون أنّ الأنظمة الحاكمة أنظمة استعماريّة حاكمة علنيّة، وأخرى يحسّون بأنّ أنظمتهم الحاكمة هي تحكمهم بالوكالة عن الاستعمار، ولهذا وجدنا الكره والبغض عند الإنسان العراقيّ تجاه رجال السلطة والحكم، فمجرّد أن يكون الإنسان في السلطة والحكم يحسّ الفرد بأنّه أمام شخص آخر وإن لم يعتبره غريبًا عن حياته كعراقيّ ولا ينتمي إليه كفرد أو كسلطة.

كما أنّ الإحساس بالانتماء إلى الأرض لم يتمركز في حياة الإنسان العراقي المعاصر لأسباب تعود إلى تاريخه البدويّ. فإنّ المجتمع العراقيّ يعود إلى أصوله الصحراويّة البدويّة، أو أصول مائيّة أهواريّة (معيدية)، والأصلان لا يؤمنان بالأرض المحدّدة، وإنّما يتّبعون الظروف الطبيعيّة والبيئيّة في تنقّلاتهم، فلا يتمسكون بالأرض، ولهذا تجد أنّ أبنيتهم تتكوّن من الخيمة التي يمكن أن يبنيها في أي بقعة من الأرض وفي فترة زمنيّة قياسيّة قد لا تتجاوز الساعة زمنًا. وكذلك الأمر في الأهوار والجنوب حيث يمكنه أن يبني بيته من القصب في أي بقعة وبوقت قصير لا يتجاوز الساعات وبسرعة مذهلة، وهو مستعد نفسيًّا وروحيًّا وعاطفيًّا أن يترك هذا البيت بأسرع ما يمكن ولا يبالي إليه ومن دون حنين أو ذكرى لتلك الأرض أو ذلك الوطن الذي سكنه لمدّة من الزمن. كما أنّ القبائل التي

سكنت العراق هي قبائل مهاجرة من دول وبعضها من أخرى ودول مجاورة من مناطق أو بعيدة. مع أن مفهوم المواطنة جديد على المجتمع الإسلاميّ بشكل عامّ والعراقيّ بشكل خاصّ.

لذا، فإنّ هذا المفهوم غير متجذّر في شخصيّة الإنسان العراقيّ ممّا يجعل الانتماء يتبع المزاجيّة في التعاطي والتفاعل مع الآخرين. ومن المعلوم أنّ المزاجيّة في التعامل معناها الاضطراب والقلق، وعدم الاستقرار في القرارات والمواقف تجاه الآخرين وتجاه الأحداث وهذا هو بالضبط الفوضى بعينه.

ولعلّ هذه الفوضى أصبحت جزءًا من شخصيّة الإنسان الذي يسكن هذه البقعة حتّى بعد انتمائه فسوف لا يفارقه القلق والإضطراب. وقد نجد في هذا التفسير للروايات الشريفة التي تحدّثت عن مرحلة ما قبل مجيء الإمام المهديّ للعراق وهي الفترة الأخيرة من تاريخ الزمن قبل الظهور حيث قالت الروايات الشريفة إنّه عليه السلام يأتي ظهر الكوفة وعليها ثلاث رايات قد اضطربت.

وتستعمل اللغة العربيّة الاضطراب بمعنى القلق وعدم الاستقرار، وهو يساوي الفوضى؛ وهو الذي عبّرنا عنه سابقًا باصطلاح التدافع، فإنّ التدافع ينشأ بسبب عدم الطاعة؛ وعدم الطاعة ينشأ بسبب عدم الانتماء، وهذا العدم مهما يكن فسيبقى بالنسبة للشعب العراقيّ أمر نسبيّ، لأنّه مزاجيّ وعاطفيّ، ومن طبيعة المزاج والعاطفة أن لا يكون لهما مرتبة واحدة، وإنّما مراتب مختلفة.

ولا نقصد به عدم الطاعة بشكل مطلق، أو عدم الانتماء دائمًا في جميع الأزمنة والأمكنة في جميع الأحوال، فهذا الأمر غير معقول حدوثًا عند أي إنسان، وفي أيّ مجتمع إنسانيّ؛ وإنّما نقصد به السلوك العامّ للفرد والأمّة؛ وقد يطيع أحيانًا وقد يعصي أحيانًا أخرى، أو يضطرب أحيانًا ولا يعرف ماذا يفعل، فنجده لا يستقرّ على شيء ممّا يسبب عدم وضوح الرؤية لديه في كثير من الأحيان، أو قد يولِّد عنده حالة التبعيّة للغير وهي مزاجيّة صعبة عانى منها حُكّامه ورؤساؤه.

ففي الوقت الذي يحكمه العدل بولاية أمير المؤمنين عليه السلام تجده مجادلًا مُعاندًا؛ ولكنّه عندما يحكمه الغرباء من أهل الشام في زمان معاوية وجدناه مُطيعًا مُتبعًا، ولكن مع ذلك لا يؤمن تمرده في أي وقت وفي أي حالة.

4- الكرم: ويتميّز هذا الشعب بالجود والعطاء والكرم الذي يندر أن نجده في أيّ مجتمع آخر في المجتمعات الإنسانيّة، ولا تكاد تنفصل هذه الصفة عن الشخصيّة العراقيّة على مرّ التاريخ، وكثيرًا ما يتنازل العراقيّ الفرد عن حقوقه وامتيازاته للآخرين الذين لم يعرفهم لمجرد أن يطلب منه ذلك، وجمال هذه الخصلة انعكست إيجابيًّا على الصورة التي يحتفظ بها الآخرون عنه بحيث تغفر له جميع أخطائه من صفات الضعف التي اعترته.

ومهما عظمت هذه الصفة فإنّ لها سلبيات اجتماعيّة ولَّدت حالات سيّئة من جملتها عدم احترام المال العام، ومال الآخرين والتعامل مع

المال بحالة المشاعية الملكيّة وعدم قداسة الملكيّة الشخصيّة؛ ولهذا فهو يسهل عليه أن يتعاطى مع الآخرين بطريقة يفهمها أنّ الملكيّة قبيحة وصفة الإحساس بالتملّك الشخصيّ وعدم التعدّي صفة البخلاء، ولكنّه بنفس الوقت الذي يحسّ بحرمة وقدسيّة التملّك الشخصيّ فهو يعتزّ بما يحوزه أو يتملّكه، ولا يسمح للآخرين أن يتسلّطوا عليه بغير وسيلة الكرم، مثلًا بأسلوب التحايل أو بأسلوب القوّة وليس هذا ناشئ من غريزة حبّ التملّك كما يقال لها عند بعض الدارسين، فإنّنا نشكّ بوجود مثل هذه الغريزة وإنّما ناشئة من حبّ الذات فهو يعتزّ بحاجته التي يمتلكها لأنّها منسوبة لذاته؛ وهو معتزّ بذاته التي يعتبرها كرامته ولا يتنازل عنها بشتّى الوسائل، ولكنّك تستطيع أن تأخذ منه أيّ شيء وأغلى شيء، بكلمة طيّبة، وبأسلوب الاستدعاء والطلب الذي يحرّك عواطفه الإيجابيّة لتجعله يعطي أغلى ما عنده بلا مقابل، وقديمًا قال مثلهم بالدارجة العاميّة (حشَّم المعيدي وأخذ عباته).

ويحاول بعض علماء الاجتماع أن يُعيد ظاهرة الكرم عند الإنسان والمجتمع العراقيّ إلى أصوله البدويّة. وهذا التفسير يتناسب مع طبيعة البداوة العربيّة التي سكنت الجزيرة العربيّة، ولا يتناسب بشكل مطلق مع الإنسان البدويّ الذي كان يسكن في البداوات العالميّة الأخرى، لأنّه ليس صفة لازمة للبداوة وإنّما هو صفة كانت ملازمة للمجتمع الذي سكن مكّة والجزيرة العربيّة بشكل عامّ.

يحاول البعض تفسير الكرم عند المجتمع العراقيّ باعتبار أنّ العراق

بلد العطاء والخير والجمال. فينعكس هذا العطاء على سلوك المجموعة البشريّة التي تسكنه. ومع جمال هذا التصوّر، فإنّه لا يعكس حقيقة واقعيّة عن تفسير هذه الظاهرة الخُلقيّة التي اختصّ فيها المجتمع دون مجاوريه القريبين إليه من المجتمعات الأخرى، وهذه الظاهرة لو تتبّعناها لوجدنا أصولها تعود لديانة إبراهيم الخليل الذي روي عنه أنّه كان لا يأكل منفردًا وإنّما يبحث وقت أكله عن من يشاركه الطعام، واستمرّت هذه الطريقة الخلقيّة في حياة وسلوك ابنه إسماعيل النبيّ عليه السلام وأمّه هاجر حيث كانا مصدر الخير والعطاء النبويّ في الجزيرة، وعلَّموا الناس الكرم بأعلى مستوياته، ثمّ أصبحت هذه الطريقة ظاهرة تجذَّرت بنفوس ذريّتهم وأتباعهم حتّى تحولَّت تاريخيًّا إلى جزء مهمّ من ثقافة الإنسان العربّي الذي كان ينتمي إليهم نسبًا أو ينتمي إليهم طريقة، ولهذا نجد القرآن الكريم قد نسب كلّ الخيرات الإنسانيّة التي كانت موجودة في الجزيرة وفي مكّة بالخصوص إلى إسماعيل وإبراهيم والتي عبّر عنها القرآن الكريم: (ملّة أبيكم إبراهيم).

ولعلّ الكرم الذي تجذر بحياة الإنسان الذي عاش في هذه المنطقة صار سببًا لمعرفة كمالات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، فكثيرًا ما وجدنا في التاريخ النبويّ وتاريخ الأوصياء أنّ موقفًا كريمًا من هؤلاء الصادقين عليهم السلام قد يسبّب هداية مجتمع، أو جماعة، أو قبيلة، أو إنسان؛ وقد امتلأت كتب المناقب بتلك الأخبار المأثورة عن كرمهم وكيف أدّت إلى صلاح الفاسدين أو الغافلين.

ومن هنا، وجدنا الكرم يدخل في صفات إيجابيّة أخرى مثل العدل والإنصاف والزهد والصبر وغيرها. فالكرم لم يكن مجرّد رفع اليد عمّا يمتلكه الإنسان وتركه للآخرين يتصرّفون به، وإنّما هو كمال في أعلى مراتب الصفات التي يتّصف بها الكُمّل في الوجود، فهي الخيمة التي تستظلّ بفنائها صفات كماليّة لا يمكن تصوّر تحقّقها وحدوثها من دونه.

ولعلّ لكلّ هذه الأشياء ولغيرها من الأسباب اختصّت روايات أهل البيت عليهم السلام أن يكون العراق عاصمة دولتهم، أو دولة الإمام المهديّ لأنّ العاصمة تكون مأوى المحبّين والغرباء (الأجانب كما يعبّر عنه في المصطلح المعاصر)؛ وهذا شرطه أن يكون المجتمع الحاضن مجتمعًا كريمًا وقد يكون والله تعالى العالم اختيار هذا الشعب في آخر الزمان لتتمّ على يديه نهاية المأساة التي عاشها العدل في الحقب التاريخيّة من بعد عهد النبيّ إلى يوم الظهور، باعتبار أنّ هذا الشعب مضحّي، مُقدّم للقرابين، وقادر على تحمّل مأساة التضحية وهذه الصفة الكماليّة من صفات الدين التي بنى الدين ركائزها في نفوس معتنقيه.

وربّما يكون الإنسان غير متديّن، لكنّ هذه الخصلة قد تكون متحقّقة فيه بسبب الاهتمام الذي حظيت به من الطبيعة والبيئة والأجداد، ويعود سبب تجذّر هذه الصفة إلى الدين فهو صاحب الفضل الأوّل في تجذّرها في نفوس أتباعه الحاليّين والسابقين.

استطاع مذهب أهل البيت عليهم السلام أن يحوّل الكرم إلى شعائر دينيّة يتحسّسها أتباعهم في الإطعام والضيافة تحت عنوان الشعائر الحسينيّة،

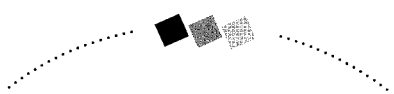

فقد تجاوز الحدَّ بشكلٍ لفت انتباه العالم خصوصًا في السنين الأخيرة بعد سقوط الصنم، وإشهار هذه الشعائر الحسينيّة المقدّسة؛ فإنّ الكرم وصل إلى حدٍّ انبهر العالم به، فسفرة الإطعام اليوميّ وصلت في أيّام الزيارة الأربعينيّة الحسينيّة العراقيّة بحجمها وطولها إلى مئات الكيلومترات ولمدّة تجاوزت العشرة أيّام بما عجزت المجتمعات المسلّمة فضلًا عن غيرها وحتّى العربيّة عن استيعاب هذه الظاهرة ممّا لم نجد تفسيرًا لها. إلّا أنّها من الصناعات الغيبيّة الإلهيّة التي صنعها الله سبحانه وتعالى تدريجيًّا في العصور السابقة حتّى وصلت ذروتها في العصر الحاضر بما تجلّت هذه الحقيقة التكوينيّة بهذه الصورة الفريدة العالميّة من الكرم والعطاء ويتناسب مع كمالات عصر التمهيد للظهور. فإنّنا على يقين من وجود تطوّر كماليّ في المجتمع الإنسانيّ، وأقلّها في المجتمع الذي يتحرّك فيه الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف مستقبلًا، ويكون هذا الكمال بدرجة قريبة من أدنى درجات الكمال في عصر الظهور ويكون في أعلى المستويات في عصر التمهيد حتّى يتلاقح الكمالان ويجريان في نهر واحد.

5 - الشجاعة: تميّز المجتمع العراقيّ بالشجاعة وهي الجرأة والإقدام، وقد نسبها بعض المحلّلين الاجتماعيّين إلى أصوله البدويّة، وقد تميّز البدو بالاهتمام بهذه الخصلة وأكثر الاعتماد على هذا التفسير الدكتور علي الوردي في موسوعته **لمحة اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث** وفي كتابه **دراسة في طبيعة المجتمع العراقيّ**، حتّى يمكن الحصول في مواقع كثيرة من كتبه هذه على نصوصه بأنّ الشعب

العراقيّ يهتمّ بالشجاعة باعتباره منحدر من أصول بدويّة، وهو قريب عهد بالبداوة.

ومهما يكن تفسير هذه الصفة لدى الإنسان العراقيّ فإنّنا نعتبر أنّه لا خلاف بين أحد من الذين درسوا طبيعة مجتمع الإنسان العراقيّ وعرفوا مميّزات هذا المجتمع أنّه مجتمع شجاع بطبيعته، وهو يملك الإقدام والجرأة بحيث تصل أحيانًا إلى أماكن سلبيّة يخال بعض المغفّلين أنّها من الشجاعة؛ على أنّها في الواقع ليست في صورتها تلك من الشجاعة بشيء، وإنّما هي من الصفات السلبيّة الممقوتة.

وتظهر هذه الحالات في المجتمعات المضطهدة والمعذّبة عندما تخرج وتتخلّص من سلطاتها الجائرة، فيبدأ التمرّد على القيم، والتجرّؤ على الآخرين والاعتداء، تحت عنوان صبغة الشجاعة والجرأة.

وهذه الصفة ليست مختصّة بالشعب العراقيّ وإنّما يمكنها في أن تكون كلّ مجتمع يُضطهد، ثمّ يتمكّن من استرداد هويّته فيكون داخلًا في واقع لم يألفه، فتنقلب في شخصيّته وذهنه المفاهيم؛ وهي حالة مرضيّة مؤقّتة في المجتمعات لا يمكن أن تكون ثابتة وإنّما سوف يتطوّر هذا المجتمع بواسطة ما اكتسبه من الحريّة، ويتقدّم، فيصحّح المفاهيم عنده وهذه الأمراض سوف تكون قصيرة المدى مع وجود المصلحين الاجتماعيّين والأخلاقيّين.

والشجاعة هي صفة كباقي الصفات الإنسانيّة تخضع لعوامل الوراثة

والبيئة، التي يمكن معرفة تحقّقها في الإنسان عند توفّر عوامل انتقالها الوراثيّ التي شخّصها علماء الوراثة بنظريّاتهم، في أنّها لها مساحة يمكنها أن تنتقل من خلال الجينات الناقلة للصفات البشريّة ولو أنّ هنالك بحث خلاف بين علماء الوراثة في الشروط الوراثيّة التي توجد عمليّة الانتقال الصفاتيّ، وبدأ الخلاف يتقلص بينهم وكادوا يتّفقون على أنّ هناك وجود مساحة بالصفات تنتقل بعدما كان هناك رأي آخر عند بعض علماء الوراثة كان يصرّ على أنّ الصفات البشريّة غير خاضعة للانتقال الوراثيّ، وإنّما هي خاضعة للعوامل والأسباب البيئيّة.

أوضح المتأخّرون من علماء الوراثة أنّ للجينات قدرة على نقل الصفات الوراثيّة، ولكنّها تختلف بحسب الظروف والجينات الناقلة لهذه الصفات، وربّما يكون هناك ضعف ناتج عن أسباب وراثيّة للتغيّر الذي يحدث بسبب الاختلاف الوراثيّ والبيئيّ، ومنه نفهم النصوص التي تحدثت عن رواية الشجاعة في الأعقاب كما روي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «**لو ولد أبا طالب الناس كلّهم لكانوا شجعانًا**»[1]. إنّ المجتمعات المتكوّنة من الجماعات الإنسانيّة المتكوّنة من الأفراد لا يخضعون لنظم وراثيّة واحدة وإن كانوا متقاربين بالنسب فضلًا عن المجتمعات المختلطة من أنساب غير متقاربة وراثيًّا، أي أنّنا نخطئ عندما نزعم بأنّ المجتمع المعيَّن الذي يقطن أرضًا معيّنة يبقى متحفّظًا بصفاته التي امتاز بها مجتمعه الأوّل وذلك لما يعتري المجتمعات من التغاير السكّانيّ بواسطة الهجرة،

(1) ابن ابي الحديد المعتزلي شرح نهج البلاغة، الجزء 10، الصفحة 78.

والتبادل الأسريّ، وتغاير الظروف البيئيّة والتربويّة، وكلّها مؤثّرة على قوّة الجينات بنقل الصفات الفيزيولوجيّة فضلًا عن الصفات السلوكيّة.

هناك مساحة من التلاقي بين أفراد المجتمع في الصفات السلوكيّة تحدّدها قوانين الوراثة والضوابط التربويّة والشروط البيئيّة، فيمكننا أن نُسمّي مجتمعًا بصفة حملها السكّان الأقدمين بشرط وجود بقايا من ذريّة تلك المجتمعات السكّانيّة القديمة.

وبغضّ النظر عن تطبيق هذه المقولات على المجتمع العراقيّ من حيث ثبوت الاتّصال النسبيّ مع مجتمعاته السابقة التي سكنت في العراق، فإنّنا نقدر بأنّ للظروف الأخرى البيئيّة والوراثيّة بمقدار ما ساعدت على إمكان معرفة بعض الصفات السلوكيّة المميّزة لهذا المجتمع، ومنها ما عرف عن المجتمع العراقيّ بأنّه مجتمع شجاعٌ.

ولعلّ الشجاعة التي سجّلت لهذا المجتمع جاءت من خلال المواقف البطوليّة التي ظهرت عند أشخاص وجماعات عراقيّة سكنت هذه الأرض، ووقفت تلك المواقف الخالدة على مرّ التاريخ المكتوب لهذا المجتمع.

ولم يقتصر الوصف في المجال العسكريّ، بل تعدّاه إلى المجالات العامّة الأخرى السياسيّة والأخلاقيّة والأدبيّة، فقد عُرف عن العراقيّ جرأته وشجاعته في ساحة المعارك كما عُرفت عنه شجاعته في مواقفه السياسيّة والثقافيّة وجرأته الأدبيّة.

ومن يقرأ تفاصيل تاريخ هذا المجتمع العراقيّ يجد التطوّر السلوكيّ

بتقدّم التاريخ؛ بمعنى أنّنا كلّما تتبّعنا الحوادث والمواقف الإيجابيّة بسلوكيّات هذا الشعب مثل الكرم والشجاعة وهي صفات تتجذّر وتتراكم وتتكثّف عند الإنسان العراقي كلّما مرّ الزمن، حتى وصلنا إلى مرحلة الذروة في تاريخنا المعاصر؛ فإنّ هذه الصفات المعروفة عن الإنسان والمجتمع العراقيّ ربما لم تكن واضحة قبل أربع قرون، مثلًا كما نشهدها حاليًّا في تاريخنا المعاصر كما يشهد له كلّ مَن كَتَبَ عن طبيعة الإنسان والمجتمع العراقيّ، وبالخصوص في فترة أواخر الدولة العثمانيّة.

وعندما نشخّص في عقليّة ونفسيّة السكّان العراقيّين أصول العلاقات السياسيّة والاجتماعيّة فقد وجدنا أنّ المجتمع العراقيّ قد مرّ في فترة الاحتلال العثمانيّ بمرحلة تفتّت، وتمزّق، ورجوع، وانكفاء، وتراجع إلى البداوة بعدما مرّ بمرحلة كان هو رائد من رواد الحضارة العالميّة ولكن على شاكلة قد لا ترتبط بأصالته كما في العهود العباسيّة فإنّه عُرف عنه بحضارته وتقدّمه النسبيّ، وكلّ عوامل وأسباب تلك الحضارة كانت بيد قادة غير عراقيّين ومؤثّرين من عناصر تركيّة ورومية وأجنبيّة أخرى. وقد أدّى هذا الاستغراب إلى نتيجة سلبيّة وهي (التفكّك والانكفاء والتراجع) ولكنّنا وجدنا في أواخر العهد العثمانيّ من خلال الحركة السياسيّة والاجتماعيّة تطوّرًا في النضوج الحضاريّ كسلوك لدى المجتمع العراقيّ بشكل أمكنه أن يفسح لعلماء الاجتماع أن يسمّوا هذه المرحلة من تاريخ الشعب العراقيّ بمرحلة استرداد الطبيعة العراقيّة، وبالخصوص صفة الشجاعة السياسيّة التي أذهلت كلّ من كتب عن تاريخ العراق الحديث في

أواخر العهد العثمانيّ، والمواقف الجريئة، والشجاعة في عهد الاحتلال البريطانيّ في العراق، والمقاومة الصلبة التي تحدّت الغزو البريطانيّ، وذلك لظهور حالة الاستقلال السياسيّ عند هذا المجتمع الذي كان يفتقده سابقًا حتّى في عهود الدولة العباسيّة، فوجدنا ظهور قادة سياسيّين شجعان كانوا يمثّلون قسمًا من رجال الدين الشيعة، ومن شيوخ العشائر، وسجّلوا تلاحمًا عكسوا فيه الطبيعة الصادقة للمجتمع العراقيّ في مقاومته السياسيّة واستقلاله عن الأجانب، ممّا جعل قوّة الاحتلال أن يجهد في محاولته لإرجاع دائرة الحركة التاريخيّة للمجتمع العراقيّ إلى الوراء وإضمار هذه القوّة بطرق ثلاثة:

- القيام بتفكيكه للقيادة السياسيّة بين العلماء وشيوخ العشائر، ثمّ القضاء على كلّ جهة منهما على حدة بشكل مستقلّ. فبعد أن استطاع للوهلة الأولى أن يوجد مثل هذا التقسيم حيث إنَّه قام باعتقال أو نفي رجال الدين السياسيّين الشجعان عن العراق إلى الهند وإيران بينما أغرى شيوخ العشائر بمناصب سياسيّة، ومناصب دولة، وبالمال الذي كدّسه عليهم بحيث صار كثير منهم يملكون ثروات طائلة.

- اعتراف النظام البريطاني الجديد بالعنصر التركيّ الذي سكن العراق بأنّه قوميّة عراقيّة فصار جزءًا من تركيبة المجتمع العراقيّ الذي كانوا يشكّلون غالبيّة سنيّة.

وهذا الاعتراف أمر صحيح وطبيعيّ باعتبار أنّ هذه القوميّة وإن جاءت من العنصر التركيّ بواسطة الغزو العثمانيّ للعراق، ولكنّها ترتبط أيضًا بالعراق من حيث التاريخ فإنّ بعض الأتراك سكنوا العراق لقرون عدّة، وهذا ما يجعلهم جزءًا من سكّان البلاد. وبالمقابل، فإنّ قوى الاحتلال اعتبر سكان الفرس الذين سكنوا العراق لقرون طويلة وربّما يمتدّ بعضها إلى قبل الحملة العربيّة في عهد عمر بن الخطاب، لأنّ العراق كان مسكونًا من الفرس كما كان مسكونًا من العرب في ذلك العهد، واستمرّت بقاياهم يمثّلون جزءًا حقيقيًّا من الشعب العراقيّ فضلًا عن المهاجرين في القرون المتقدّمة من تاريخ العراق الإسلاميّ، فإنّهم قد سكنوا العراق لقرون طويلة ممّا يجعلهم جزءًا من سكّان هذا البلد. ولكنّ الاستعمار الجديد اتّبع النهج العثمانيّ في تغريب هذا العنصر القوميّ لأنّهم كانوا شيعة ومنتمين قوميًّا إلى العنصر الحاكم للدولة المنافسة للعثمانيّين، وكان الاستعمار قد ارتضى هذه السياسة التفريقيّة بين العنصرين التركيّ والفارسيّ باعتبار المذهبيّة، فإنّ الفرس كانوا بأجمعهم من الشيعة الإماميّة، ولهذا كانوا مرتبطين بكلّ الحركات الداعية لاستقلال العراق، ووجدناهم قد رفضوا الاحتلال البريطانيّ، وجاهدوا تحت الراية العثمانيّة التركيّة لأسباب دينيّة كما حملوا راية الاستقلال في مجاهدتهم المحتلّ الجديد عسكريًّا وسياسيًّا؛ لذا تعامل النظام السياسيّ البريطانيّ في العراق مع هذا العنصر القوميّ بأنّه غريب عن الكيان العراقيّ، ولم يعترف به جزءًا من سكّان العراق كما اعترف بالأتراك والأكراد والكلدان

والقوميّات الأخرى، بل وقام بعمليّة نفيهم إلى إيران مع أنّهم لا يمتّون بصلة إلى الأراضي الإيرانيّة، فهم من سكّان العراق أبًّا عن جدّ وإن حملوا التبعيّة الإيرانيّة على نحو متابعة التبعيّة الإيرانيّة باعتبار أنّ الفرد العراقيّ كان بحاجة إلى الحماية من سلطات الاحتلال العثمانيّ، فلم يكن أمامه إلّا الاحتماء بالسلطات العثمانيّة أو الإيرانيّة أو الهنديّة ولم يكن في العراق حينها دولة أو جماعة مستقلّة وإنّما هي محصورة بالحماية العثمانيّة أو الحماية الإيرانيّة، ويضاف لها أحيانًا الحماية الهنديّة.

- قام نظام الاحتلال البريطانيّ بإيجاد نظام سياسيّ غير متكافئ في البلد مبتنيًا على تسليم القدرة بيد الأقليّة الصغيرة نسبيًّا، المنتمية للنظام العثمانيّ، بينما قام هذا النظام السياسيّ الجديد بقوانينه ورموزه السياسيّة بإبعاد القوى المناهضة له وهم الشيعة الذين كانوا وما زالوا يمثّلون الأغلبيّة من سكّان الوسط والجنوب ممّا ولّد الهجرة السكانيّة من الجنوب بسبب عوامل كثيرة من جملتها النظام الاقطاعيّ التي مُسِخَت قوانينه على جنوب العراق ممّا ولّد حالة الفقر المدقع، والتخلّف المدنيّ عند هذه الطبقة من سكّان البلاد الذين تخلّوا عن أراضيهم وصارت أراض بور، ولم يجدوا بديلًا عن عملهم الزراعيّ في الأراضي الجديدة، ممّا جعلهم يتخلّون عن مهنتهم الأصليّة وهي الزراعة، ويمتهنون مهنًا وحرفًا تعتبر من الحرف والمهن الدانية، وصاروا مع مرور الزمن يشكّلون عبئًا على المجتمع الجديد الذين هم جزءًا منه. لذا فهم

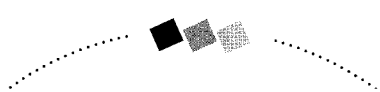

يمثّلون بغالبيّتهم العظمى الفقر المدقع، وما زالوا يعانون في الوقت الحاضر من مشكلة الفقر، ولا أظن أنّها ستحلّ إلّا بالتغيير الديمغرافيّ لمنطقة شمال بغداد وإرجاعهم إلى مهنتهم الأصليّة وهي الزراعة ومشاركتهم مكوّنات المجتمع الأخرى بالحقوق بعدما كانوا هم الشجعان والأبطال دائمًا عندما يحتاج إليهم قرابين كما حدث في الحروب السياسيّة التي أرادتها النظم التي حكمت العراق في القرن العشرين وما زالت ليومنا الحاضر.

عَودًا على بدء، فإنّ الاستقلال السياسيّ قد تطوّر في العراق وأعطى للبلد طبيعته المستقلة وإن كان في بداياته؛ وتجذّرت هذه الطبيعة، وأخذت مساحة أوضح لأحداث ما بعد 2003 ميلاديّة ممّا يعني أنّ هذا التطوّر السياسيّ سوف يؤثّر على طبيعة الإنسان العراقيّ بتثبيت وتركيز صفاته المستقلّة لوجود علاقة صميميّة بين الاستقلال السياسيّ الذي يؤدّي إلى الاستقلال الطبيعيّ نفسيًّا وسلوكيًّا وانتمائيًّا ضمن القواعد العلميّة التي تحدّد طبيعة الانتماء للبلد. من هذه القواعد العلميّة عدم وجود فرق بين العناصر العلميّة المكوّنة لسكّانه؛ ويمكنني أن أجزم وبضرس قاطع أنّ الفضل في تحقّق بوادر هذا الاستقلال السياسيّ والاجتماعيّ يعود إلى شجاعة الإنسان العراقيّ، فإنّ شجاعته وبطولته التي أنجحت وثبتت ما بناه الأجداد في أواخر الدولة العثمانيّة من دعوة الاستقلال السياسيّ والاجتماعيّ والأمنيّ، وإن كان هذا الثالث هو (الاستقلال الأمنيّ) لم يتحقّق ولا أراه يتحقّق بسهولة نظرًا لأسباب موضوعيّة.

8- النخوة: ومن لطائف هذا الشعب أن تجد النخوة موجودة في كلّ شخصيّة عراقيّة وتكون معه حتّى عندما يكون بعيدًا عن بلاده.

وربّما يعدّها بعض المحلّلين النفسيّين أنّها هي والشيمة، والمعروف، (والشهامة والتفاعل الإيجابيّ مع الآخرين بلا شروط ولا قيود ولا حساب للربح والمكسب الذاتيّ الشخصيّ بل هي من صفات الفروسيّة التي يعتزّ بها البدويّ وتُعدّ صفاته المعروف بها في القياسات الحضاريّة).

والنخوة والشهامة والشيمة صفة نادرة الحدوث والوقوع في المجتمعات الإنسانيّة وهي تنطلق من إيثار الآخرين على النفس وتحمّل المتاعب والأذى من أجلهم ورحابة الصدر وكلّها مرتبطة بالكرم.

ومهما تكن جذور هذه الصفات الإيجابيّة فهي تعبّر عن الكمال الإيجابيّ الذي يتمتّع به الإنسان العراقيّ ممّا جعله محبوبًا بين أقرانه من الشعوب المجاورة، بينما كاد أن يكون نموذجًا مثاليًّا غير واقعيّ في الحضارات الأوروبيّة المادّيّة والذاتيّة.

الإيجابيّة والتناقض في طبيعة المجتمع العراقي

ولا نعني من هذا أنّ هذه الصفات الإيجابيّة المتقدّمة غير موجودة عند الآخرين من المجتمعات المجاورة أو البعيدة، وإنّما نقول إنّها صفة قد تميّز بها المجتمع العراقيّ بما قد يمكن للإنسان ان يُشِّبه هذا التميّز بأنّه تعويض، أو إبدال عن السجايا المتناقضة الأخرى.

وقد وجدنا بعض المحلّلين النفسيّين للمجتمعات قد وصف شخصيّة

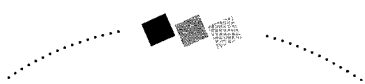

الفرد العراقيّ بـ (التناقض). فإنّك تجد هذه الشخصيّة الغريبة غالبًا ما تجمع بين النقيضين من الصفات، ففي الوقت الذي نجد الشيمة والنخوة والشهامة يعتز بها العراقيّ ويفتخر، نجده في نفس الوقت يفعل نقائضها بما يذهب تلك الصفات من خاطره وذهنه.

بغضّ النظر عن اعتبار هذه النقطة السلبيّة عوارض مرض نفسيّ بما يُسمّى في علم النفس بالشخصيّة السايكوباتيّة. وهي تنشأ من انعدام الاستقرار العاطفيّ فهو مصاب بالفجاجة وقلّة التبصّر في عواقب الأمور. كما إنّه مرتجّ المزاج وسريع الغضب والانفعال. ولكنّنا نعتقد بأنّ الأئمّة الأطهار ولّدوا قوّة روحيّة دينيّة قادرة على معالجة هذه الأمراض وإصلاحها إذا توفّرت الفرصة لخلفاهم وهم «**العلماء**» لممارسة دورهم العلاجيّ للأمّة.

المؤثّرات الفعليّة للسلوك الاجتماعيّ العام في العلاقة مع الخراساني

قد أخذ الحديث عن العراق وأهل الكوفة مأخذًا عظيمًا من الروايات المتحدّثة عن مستقبل الأحداث، ولصقت حركة الخراسانيّ في عمليّاته في تمهيد ظهور الإمام المهديّ بالحركات العسكريّة والأمنيّة التي يقوم بها في هذه المنطقة بالخصوص؛ ولذلك من يريد أن يقرأ حركة الخراسانيّ التي يشارك فيها للتمهيد للظهور عليه أن يفهم علاقة الخراسانيّ بالعراق والعراقيّين. وقد وجدنا أنّ هذه العلاقة المتميّزة لم تكن علاقة تبعيّة مطلقة، وإنّما هي علاقة تتصف بالتمازج أحيانًا وبالتباين أحيانًا أخرى.

كما وجدنا في الروايات المتحدّثة عن علامات الظهور أنّ الإمام المهديّ قبل أن يظهر ويأتي إلى العراق، سوف تتمركز ثلاثة رايات في منطقة العاصمة التاريخيّة المستقبليّة للعالم في دولة الإمام المهديّ عجل الله فرجه والمسمّاة بالكوفة، أو بظهر الكوفة؛ وهناك ثلاث رايات قد اضطربت: وهي راية الخراسانيّ وراية الحسينيّ وراية الحسنيّ. ويمكن تفسير عبارة اضطربت أنّها تباينت فيما بينها في وجهات النظر السياسيّة والعسكريّة مع أنّها جميعها تقع ضمن دائرة التمهيد للظهور.

وقد تُفسّر عبارة (اضطربت) بمعنى تدافعت، لكثرة عددها الذي يشبّه بصورة الأمواج بالبحر، فالموج العالي عندما يتدافع مع الأمواج الأخرى يكون سببه التناقض والاختلاف، ويعود السبب إلى القوّة الكامنة فيها ممّا يعني التلاحم بينها لصد الآثار الطبيعيّة الخارجيّة عنها، مثل العواصف التي تريد أن تنقل مياه البحار إلى السماء والغيوم، ولكن مياه البحار تصد هذا العدوان الخارجيّ لشدّة الدفعات بأمواجها وارتفاعها، متلاحمة، وإن ظهرت للغريب عنها مختلفة فيما بينها، فإنّها تتلاحم واقعًا وتختلف ظاهرًا.

وقد تكون هذه الظاهرة الطبيعيّة الاجتماعيّة في المجتمع العراقيّ غير مقصودة بنفسها، وإنّما جاءت نتيجة الأحداث السياسيّة التاريخيّة التي مرّ بها المجتمع؛ أو الأحداث السياسيّة التي يعيشها المجتمع العراقيّ في عصر نهضة الظهور هذا؛ ممّا يجعلنا نتعرف على طبيعة المجتمع العراقيّ من حيث صفاته الاجتماعيّة، أو نتعرف على سايكولوجيّة أفراده كي نفهم

العلاقة بين دولة الخراسانيّ وبين أهالي منطقة نفوذه في العراق.

إنّ الالتفاف إلى هذه المنطقة المخصوصة والمسمّاة باسم العراق ضروريّ لمعرفة ما سوف يحدث في مستقبل تاريخ التمهيد للإمام المهديّ، وإنّ أي دراسة لا تستند على هذه الحقيقة ستكون دراسة مبتورة لا تنتج الحقيقة كاملة أبدًا، وقد توفق لمعرفة جزء الحقيقة لكنها لا تصل إليها كلّها.

ولهذا نجد لزامًا علينا التعرّف على طبيعة المجتمع العراقيّ لنصل إلى تحديد علاقته بالمجتمع الخراسانيّ. وللمثال، نحن بحاجة لمعرفة طبيعة هذا الإنسان القيادي، هل هو من المجتمعات التي ترضى بالتبع إلى المجتمعات الأخرى والانصياع لها وقبول الاحتلال؟ أم أنّه مجتمع رافض التبعيّة، متمرد على الآخرين، لا ينصاع إلى أي قوّة خارجة عن إرادته، بل نجده في أغلب الأحيان متمرّدًا على ذاته وقياداته، وحينئذٍ يحتاج إلى ظروف يمكن فيها أن يتوافق مع الخراسانيّ ليكوّن وحدة للعدو المشترك.

التلازم بين وحدة الصفات ووحدة المجتمع

وللمثال أيضًا، علينا تحديد نوع العلاقة بين جميع تجمّعات هذا المجتمع وفي أيّ مجتمع؟ فمن البديهيّ أن المجتمع يرتبط بصفات تُوحّده ليكون مجتمعًا واحدًا؛ وإذا كانت هذه الصفات الجامعة والموحّدة مفقودة فمن المستحيل أن نتصوّر هذا المجتمع واحدًا، وتبقى تسميته

بالمجتمع الواحد بالاعتماد على أمور اعتبارية ليست حقيقية، وهو بالفعل ما حدث مع مجتمع جمهوريّات الاتحاد السوفيتيّ؛ فبعد مرور سبعين سنة على اتّحادها وظهورها بقوّة واحدة أمام العالم، انتهت وتفكّكت في ليلة واحدة، عندما أعلن رئيس هذا الاتحاد غورباتشوف حلّ الاتحاد وإنهائه، فانتهى كلّ شيء، وأصبحت دولة أوكرانيا اليوم ممزّقة فيما بينها، ومتقاتلة على السيادة، ورافضة الانتماء إلى روسيا المحتاجة إلى غازها وثرواتها الطبيعيّة. وهكذا وجدنا ثورات الشيشان على الروس البلد الأمّ؛ وكذلك ما نجده في كلّ بقعة من بقع دول الاتحاد السوفياتي حيث أصبحت تحكمها أكثر من مشكلة مع أمّهم روسيا.

ويعني هذا أن الاتحاد الشكليّ غير الحقيقيّ لا يمكن أن يُنتج دولة مخلِّصة للعالم التي انتظرتها البشرية لآلاف السنين لتخلّصهم من الآلام والمحن. لأنّها ستكون دولة في الحقيقة هشّة يمكنها أن تتفكّك في أيّ ساعة، كما وجدناها ورأيناها رأي العين في حكومات الدول العربية، عندما واجهت ما سمّوه بالربيع العربيّ مع ما كانت قد جمعته كلّ دولة من هذه الدول من قوى أمنيّة وإستخبارات سرّيّة وعنف وإرهاب وكيانات وأجهزة قمعيّة، فضلًا عمّا تملكه من سلاح متطوّر وتكنولوجيا معاصرة يؤهّلها للبقاء والدوام لعشرات السنين، وما تملكه من ثروات وأموال ضخمة شبه خياليّة بحجمها وكثرتها فلم ينفعهم ذلك، ولم تدُم أمام مفاجأة التفكيك لتلك القوى؛ فبين عشيّة وضحاها سقطت الدولة بعد الدولة وتغيّر وجه التاريخ العربيّ، ممّا أثّر على وجهة المعادلات الدوليّة

السياسيّة والاقتصاديّة والأمنيّة، ولا زالت عمليات التغيير قائمة ومتحركة لم تصل إلى نهايتها.

بينما نحن نتحدّث عن دولة الخراسانيّ ودورها الأساسيّ في التمهيد لدولة الإمام المهديّ وامتداد هذه الدولة (دولة الخراسانيّ) إلى منطقة نفوذها الأوّل، وهي منطقة عمليّاتها المستقبليّة لقيام دولة الإمام المهديّ في العراق واتّخاذه عاصمة العالم الذي سوف يملأها قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا، فمن المستحيل أن يحصل اتّحاد شكليّ بين منطقة قوّة الإمام المهديّ وهي منطقة الخراسانيّ، وبين منطقة النفوذ المهمّة جدًّا وهي (العراق). ولا بدّ من وجود اتّحاد حقيقيّ بين منطقة القوّة ومنطقة النفوذ ممّا يجعلنا نبحث في كتب علم الاجتماع وعلم سايكولوجيا المجتمعات المتعلّقة بالمجتمع العراقيّ حتّى نعرف طبيعة العلاقة بين هاتين المنطقتين.

وربّما يضاف إلى هاتين النقطتين نقطة ثالثة قد تعرضنا إليها سابقًا في كتابنا **أضواء على دولة الإمام المهديّ** وهي: أنّ التقدم بالتاريخ مهما يكن مقداره فإنّه يعد اقتراب للظهور الموعود. وبغضّ النظر عن مدى إمكان تصوّر تحديد وقت الظهور -لأن تحديد وقت الظهور من الغيبيات التي اختصها الله تعالى لنفسه- وبها جاء تفسير قوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (1).

(1) سورة الأعراف، الآية 187.

إنّ المقصود من الساعة التي أخفاها الله تعالى هي يوم ظهور القائم[1]. فمهما يكن يوم الظهور من الغيب المخفيّ بستر حجاب الغيوب وعوالمها فإنّها في الوقت الذي تكمن في ستر الحجب محجوبة عن الإعلام حتّى عن المعصومين عليهم السلام، كامنة في عالم الغيب، لم ولن يطّلع عليها أحد من الخلق حتّى صارت من عوالم تعيّنات الاسم المستأثر، ولكن مع

(1) ورد هذا المعنى في روايات كثيرة من جملتها ما رواه الشيخ الصدوق في كتابه كمال الدين وتمام النعمة: الصفحتان 372 – 373، الباب 35، الحديث 6، بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت دعبل بن علي الخزاعي يقول: أنشدت مولاي الرضا علي بن موسى عليه السلام قصيدتي التي أولها: مدارس آيات خلت من تلاوة ومهبط وحي مقفر العرصات

فلما انتهيت إلى قولي: خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات يميز فينا كلّ حقّ وباطل ويجزي على النعماء والنقمات.

بكى الرضا عليه السلام بكاءًا شديدًا، ثم رفع رأسه إليَّ؛ فقال لي يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تعلم من هذا الإمام، ومتى يقوم؟

فقلت: لا، يا مولاي؛ إلا أني سمعت بخرج إمام منكم يطهّر الأرض من الفساد ويملأها عدلًا.

فقال: يا دعبل! الإمام بعدي محمّد ابني، وبعد محمّد ابنه عليّ، وبعد علي ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ واحد لطوّل الله عز وجل ذلك اليوم حتى يخرج، فيملأها عدلًا كما ملأت جورًا.

وأمّا متى فأخبار عن الوقت، وقد حدثني أبي، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قيل له: يا رسول الله! متى يخرج القائم من ذريتك؟

فقال صلى الله عليه وآله: مثله مثل الساعة التي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلّا بغتة).

وروى الشيخ الأقدم الثقة من أصحاب الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام، الفضل بن شاذان في كتابه (اثبات الرجعة) بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن عمّه الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: سألت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله عن الأئمة بعده، فقال صلى الله عليه وآله: «الأئمة بعدي عدد نقباء بني إسرائيل أثنا عشر؛ أعطاهم الله علمي وفهمي، وأنت منهم يا حسن».

فقلت: يا رسول الله! فمتى يخرج قائمنا أهل البيت؟

قال: يا حسن! إنَّما مثله مثل الساعة أخفى الله علمها على أهل السماوات والأرض لا يأتي إلّا بغتة». مختصر كفاية المهتدي، الصفحة 53.

هذا كلّه فهي مكشوفة في عالم الشهود ومعروفة بقرب التحقق والظهور، ولكنها تبقى في الإجمال لا في التفصيل، فالزمن كله يمر، وتنقضي سنونه وأشهره وأيامه فهو إنقضاء من زمن الغيبة الكبرى وإقتراب من يوم الظهور.

وما يمكن أن يقال من أنّ التراكم الاجتماعيّ مؤثّر على مجتمع الظهور، ومنه مجتمع الخراسانيّ فإنّه لا يمكننا القبول بالمطلق من دون تعليقه على شروط خاصة وعلى ظروف معينة.

فمثلًا عندما نقول إنّ المجتمعات المتأخّرة هي وريثة للصفات المتقدّمة عليها من المجتمعات التي سكنت في أرضٍ واحدة؛ هي قضيّة تناقش نقاشًا كبرويًّا ونقاشًا صغرويًّا؛ بمعنى أنّ القاعدة العلميّة التي تريد أن تثبت التراكم الاجتماعيّ في الأمم والشعوب والحضارات لا يمكنها أن تكون قاعدة ثابتة على الدوام؛ لشروط موضوعيّة تتحكّم في هذه القاعدة، ومنها اتّحاد العوامل المؤثّرة بظهور الصفة بهذا المجتمع أو ذاك؛ فنحن عندما نقول: إنّ المجتمع العراقيّ مجتمع كريم، أو شجاع، أو متقلّب نفترض أنّ الظروف التي جعلت هذا المجتمع يتوفّر على هذه الخصال ما زالت موجودة حتّى يمكننا إبقاء هذا الوصف عليه.

وأمّا إذا لم نستطع أن نثبت بقاء هذه الظروف والعوامل المؤثّرة فكيف يمكننا أن نثبت تلك الصفات لهذا المجتمع؟ فالعلاقة بينهما علاقة العلة والمعلول، وبتعبير فلسفيّ إنّ هذه العلة بين طرفي القضيّة المنطقيّة هي علّة مستديمة وليست علّة منفصلة.

وشرح هذه الجملة بما يلي:

إنّ قانون العلّيّة ومفهوم العلّة والمعلول على نحوين:

أ - **الأوّل:** العلّة المستدامة والمتّصلة: مثل علاقة النار بالحرارة. فما دامت النار موجودة فالحرارة أيضًا، وإذا انطفأت النار زالت الحرارة، ولا يمكننا تصوّر بقاء الحرارة بدون نار.

وفي مثال ثانٍ: مثل علاقة الشمس مع النهار. فما دامت الشمس طالعة ومشرقة فالنهار موجود، وإذا غابت الشمس لا يمكننا تصوّر بقاء النهار بدون الشمس.

وفي مثال ثالث: مثل الكهرباء والضياء، فإذا انقطعت الكهرباء انقطع الضوء وزال، وعمّت الظلمة والعتمة. فالأمثلة التي نعيشها بحياتنا بالتصاق العلة والمعلول كثيرة بحيث لا يمكننا تصوّر معلول وحده بدون علّته على نحو الدوام والأبديّة والاستمرار.

ب- **العلّة المنفصلة:** وهي تسمّى بالعلّة الموجدة، مثل العلاقة بين الأمّ وولدها، يمكننا أن نتصوّر ولدًا بلا أم بعد ولادته. وليس من الضروريّ أن تكون معه على الدوام مع أنّها العلة في إيجاده.

المثال الثاني: مثل القلم والكتابة. فإنّنا نعلم أنّ الكتابة معلولًا للقلم وحركة القلم معلولة لحركة اليد، ولكن هذه العلّة بعد أن توجد الكتابة لا ترتبط به على نحو الدوام وإنّما تنقضي العلاقة بمجرّد الإيجاد وإن بقيت تسمّى الكتابة معلولة لعلّتها وهي حركة القلم.

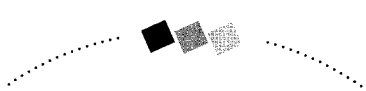

وكمثال ثالث: كالعلاقة بين الفلّاح والزرع. فإنه علّة لإيجاد زرعه بمعنى من المعاني، لكونه العلّة الثانويّة مع أنّنا نعلم يقينًا بأنّ الزارع الحقيقيّ هو الله تعالى، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ [1] فإنّ الزارع الحقيقيّ هو الله تعالى. وما دور الفلاح إلّا كونه العلّة الظاهريّة؛ ولكنّه إذا زرع الزرع انقطعت علاقة العليّة بالمزارع وانفصل عنها.

وهنا يأتي الكلام بالنسبة لما نحن فيه فنقول إنّ العلاقة بين أي صفة لأيّ مجتمع إنّما هي وليدة عللها على النحو الأوّل وهو الاستدامة، فيفترض أن تكون تلك الأسباب والعلل موجودة ومستمرّة البقاء حتّى لا يمكننا أن نتصوّر بقاء تلك الصفات التي هي معلولة لتلك العلل والظروف، فإذا زالت تلك الظروف تزول نتائجها بشكل طبيعيّ، هذا سبب تغيير المجتمعات؛ وتطوّرها فكم وجدنا مجتمعًا زراعيًّا عندما تتغيّر ظروفه الطبيعيّة فسوف يتحوّل إلى مجتمع صناعيّ مثلًا، وسوف تحكمه أخلاق وصفات المجتمع الصناعيّ وتنسى أجياله التالية عاداته وتقاليد المجتمع الزراعيّ.

وهكذا، وجدنا في مجتمع العسكر الذي كان معروفًا في العهود القديمة، ومتميّزًا عن باقي الطبقات الاجتماعيّة لسكّانه من قلاع ومدن أسّست لهذا الغرض وهو تجميع العسكر في منطقة بعيدة عن المجتمعات البشرية الأخرى؛ فإنّه وبعد مرور الزمن وتغيّر وظيفة هذا التجمّع من عسكريّ إلى مدنيّ، فسوف تتغيّر عاداته وتقاليده من الصيغة العسكريّة

(1) سورة الواقعة، الآيتان 63 - 64.

إلى الصيغة المدنيّة، ولأعطيك مثالاً قريب من الذهن هو مدينة سامراء التي كانت تُسمى تاريخيًّا (سُرَّ مَنْ رأى) بُنيت من قبل الخليفة العبّاسيّ لعساكر الأتراك ليكونوا بعيدين عن أهالي بغداد، ولذلك كانت تسمّى هذه المدينة في زمان الخلفاء العبّاسيّين بـ (العسكر). وبعد مرور الزمن، وعندما زالت صفة العسكر عنها وانفتحت على الجمهور الآخر، فقد تغيّرت عادات أهلها ونسي الناس اسمها القديم (العسكر)، وأصبحت الآن تسمّى باسم جديد هو سامراء.

وربّما يسأل أحد عن السبب الذي دعانا للقول إنّ العادات والتقاليد ترتبط فيما بينها وبين مسبّباتها بالعلّة المستديمة أو المتّصلة مع أنّ المسألة وإن كانت بهذه السهولة وبمجرد الادّعاء أن يقول القائل إنّ العلاقة بينهما يعني السبب والمسبّب من قبيل العلاقة بين العلّة والمعلول المنفصلة.

والحقّ أنّ القوانين الاجتماعيّة تختلف عن القوانين الطبيعيّة بمقاييسها، فهي لا تبرهن بالقواعد المنطقيّة الأرسطيّة أو القواعد الفلسفيّة، أو الحكميّة؛ وإنّما للظواهر الاجتماعيّة قوانين خاصّة بها تعرف بالتتبّع والاستقراء وإن كانت استقراءًا ناقصًا؛ ولا يمكن لعالم من علماء الاجتماع أن يتخلّى عن طريقة التتبّع للتوصل إلى الحقيقة العلميّة الاجتماعية. وما كان يفعله علماء الاجتماع الغربيّين بالحديث عن قوانين عامّة وكلّيّة مبتعدين عن تتبّع ظواهر اجتماعيّة لها مصاديقها على الأرض في السوق والشارع والمدرسة وغير ذلك، لم ينتج هذه الطريقة تفسيرات

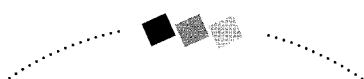

اجتماعيّة واقعيّة وبقيت تراوح في مكانها الأكاديميّ في الجامعات والمعاهد العلميّة، ممّا استدعى لبعض علماء الاجتماع أن يعبّر عن هذا العلم (بالعلم المتواضع) الذي ينزل إلى مستويات منخفضة في المجتمع ويعرف القوانين والحقائق من خلال هذه المعايشة الميدانيّة مبتعدين عن (رواقيّة العلم).

ومع هذا، فإنّ القوانين الأرسطيّة المنطقيّة سوف تبقى قادرة على اكتشاف حقيقة بعض الظواهر الاجتماعيّة باستخدام ما يعبّر عنه منطقيًّا بـ(مادّة القياس) لأنّنا لا يمكننا أن نتخلّى عن القوانين المنطقيّة التي هي آلة المقاييس في تقييم الأفكار والحقائق، ولا نحتاج إلى برهنة على هذه الحقيقة، فهي من البديهة والتسالم التي لا يختلف عليها اثنان. وإن حاول بعض علماء الاجتماع الغربيّين أو الشرقيّين أن يفرّقوا بين هذه القوانين المنطقيّة وبين القوانين الاجتماعيّة تفريقًا كليًّا صبّوا بينهما سدّ ذي القرنين، وقد استعان بعضهم من الإشكال المنطقيّ الذي ذكره بعض علماء المنطق الرياضيّ المعاصرين حول عدم واقعيّة القياس الأرسطيّ. ولكنّ الحقيقة أنّ هذه المجازفة غير علميّة. ولا نريد الآن التعرّض إلى تفصيلاتها لأنّها ملتصقة بمباحث المنطق، ولها مجالها الخاصّ بالبحث.

والنتيجة من هذه المقدمات أنّنا يمكننا الاستفادة من القياس المنطقيّ بشكله الأوّل أو الثاني أو الثالث وحتّى الرابع لمعرفة الحقيقة الاجتماعيّة. ولكنّنا لا بدّ أن نعتمد بمقدّماته على الحقائق الاجتماعيّة التي حصلنا عليها بالتتبّع والممارسة والنزول إلى السوق والمقاهي، والمساجد، وكلّ

أماكن التجمّعات البشريّة، فهي المادّة الأساسيّة، والأولى التي يعتمد عليها العالم الاجتماعيّ لمعرفة أجوبة استفهاماته.

المؤثّرات علّة مستديمة

وعودًا على بدء، فإنّنا نحسّ إحساسًا وجدانيًّا بأنّ العلاقة بين الصفات التي يمتلكها شعب أو مجتمع أو أمّة خاضعة لمؤثّرات أوجدتها، فإن زالت تلك المؤثّرات فمن الطبيعيّ أن نعرف أنّ هذه الصفات سوف تزول أيضًا ولا نحتاج إلى برهان أو دليل على أنّ العلاقة بينهما علاقة علّة مستديمة، وإنّما هي بديهيّة طبيعيّة لا يبرهن عليها، وتبقى المسألة في هذه القضيّة الاجتماعيّة محصورة معرفيًّا في ماهيّة هذه المؤثّرات والأسباب وهي مؤثّرة على سلوك الإنسان ومتنوّعة في طبائعها. فمنها ما يتعلّق بالسلوك الاجتماعيّ، ومنها ما يتعلّق بالبيئة الاجتماعيّة، ومنها ما يتعلّق بالظواهر الطبيعيّة، المتمثّلة بالأرض والماء والهواء والتاريخ، كما أنَّ منها ما هو وليد الجينات الوراثيّة التي تتناقل في بعض مظاهر السلوك الفرديّ والجماعيّ في المجموعات البشريّة كما برهن عليه في علم الوراثة.

كلّها تدخل ضمن دائرة المؤثّرات، ولا يمكن تجاوز بعضها دون الآخر، لأنّ النتيجة سوف تكون ناقصة غير متكاملة، ممّا يعني أنّها سوف تكون غير حقيقيّة؛ وأعطيك مثالًا عن المجتمع العراقيّ حتّى يكون المثال لصيقًا بالبحث الذي نحن فيه.

إنّ المجاميع البشريّة التي سكنت العراق ونُسبت لهذه التربة وسُمّي

أهلها (العراقيّون) لم تتصل تاريخيًّا وتسلسليًّا بالعراقيّين القدامى الذين سكنوا هذه الأرض كما يحاول بعض دارسي المجتمع العراقيّ أن يثبتوه؛ فمن المعروف عند علماء الأنساب، والقبائل، والعشائر أنّ سكان العراق على مرّ التاريخ قد أصيبوا بحالة الهجرة من هذه الأرض، ولم نجد مع كلّ تتبّعنا النسبيّ لسكان العراق اتّصالًا نسبيًّا إلى عصر تأسيس العراق في زمان عمر بن الخطاب، فإنّ العراق الذي تأسّس في ذلك الزمان كان يقصد به الكوفة والبصرة، ثمّ تأسّست بعد ذلك في زمان الحجاج مدينة واسط، ثم بعدها تأسّست في زمان الدوانيقي بغداد. وهكذا استمرّ تأسيس المدن في العهود المتتالية؛ فمع أنَّ هذه المدن قد طرأ عليها كثير من التغيير والتحوير فإنّ مواقع البصرة قد تغيّرت، وكذلك الكوفة والكوت، وهكذا الأمر في كثير من مناطق بغداد؛ فإننا وجدنا أنّ الناس الذين كانوا يسكنون هذه المدن قد تغيّروا أيضًا واندثر تاريخ أولئك، إمّا إنّهم انتقلوا إلى مناطق أخرى بعيدة جدًّا، أو أنّهم قد انتقل أجيال من أبنائهم وذريّاتهم وأحفادهم، أو أنّهم انصهروا وضاعوا في قبائل ومجتمعات أخرى.

حتّى ثبوت النسب لبني هاشم والسادة الطالبيّين من ذريّة أمير المؤمنين علي عليه السلام وأخوته، أو من ذريّة أولاده الحسن والحسين عليهما السلام المعبّر عنهم بالسادة فإنّهم ومع تشبّثهم بانتسابهم في الحفاظ عليها فإنّهم قد عانوا مشكلتين على مرّ التاريخ:

أوّلهما: دخول بعض الغرباء ممّن لا ينتسبون إلى الذريّة الطاهرة إلى

مواطن نسبهم. وقد وجدنا المتقدّمين من علماء النسب قد ذكروا هذه الحقيقة كما في كتاب سر السلسلة العلويّة تأليف النسابة الشهير الشيخ أبي نصر سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان بن أبان بن عبد الله البخاري، والذي كان حيًّا سنة (341) هـ ق، وغيره من كتب النسب العلويّة القديمة فضلًا عن الحديثة.

وثاني المشكلتين: هو التنقّل المستمرّ لهذه الذريّة في البلدان ممّا أدى إلى قيام فرع من علم النسب سُميَّ بـ(منتقلة الطالبيّين)؛ ويهتم هذا العلم بالطالبيّين الذين انتقلوا من مكان نُسِبَ إليهم مثل واسط إلى مكان آخر مثل فارس مع اختلاف في الجغرافيا، واختلاف بالتاريخ، واختلاف بالقوميّة حتّى أصبح بعض الهاشميّين الذين لا يُشكّ بعروبتهم وبقوميّتهم العربيّة أصبحوا بمرور التأريخ يُنسبون قوميًّا إلى قوميّات أبعد ما تكون عن القوميّة العربيّة، فهناك سادة ترك، وهناك سادة مغول وتتر، وهناك سادة صينيّون من هضبة التبت وهناك سادة هنود، وهناك سادة فرس وغير ذلك من القوميّات الأخرى غير العربيّة.

فهل يمكننا الاستعانة بقانون التراكم الاجتماعيّ لمعرفة الشخصيّة لهذه الشريحة الاجتماعيّة الخاصّة من المجموعة البشريّة؟

إنّ التاريخ المعاصر لهذه المجموعة هو عبارة عن التراكمات التي مرّت بها هذه المجموعة وكوّنت هذه النتيجة الاجتماعيّة.

إنّ كلّ تاريخ مؤثّر في المجموعة التي مرّ أجدادها بذلك التاريخ؛

ولكنّ المشكلة تكمن في مقدار حجم هذا التأثير المدّعى، وليس في أصل التأثير؛ إنّنا نتفق مع الآخرين بأنّ للتاريخ أثر في حياة الجماعة صاحبة التاريخ، ولكنّ المشكلة تكمن في أنّ هناك عوامل وأسباب مؤثرة على الواقع الاجتماعيّ غير النسب، وغير الانتماء إلى الأرض كلّ على حدته.

عندما تحكم على الإنسان العراقيّ اجتماعيًّا بصفات سلوكيّة اجتماعيّة لا يمكنك الاعتماد على مجرّد سكناه الأرض، وتقول إنّهم يوصفون بالعنف، والتسلّط، والتناقض، والدموية، ثم تستشهد بالشواهد التاريخيّة التي مرّت على العراق كما فعل الاستاذ باقر ياسين في كتابيه تاريخ **العنف الدمويّ في العراق وشخصيةّ الفرد العراقيّ**، فهو تحدّث عن الصفات الموروثة في المجتمع العراقيّ من القرون الأولى التي أسّست العراق قبيل ميلاد المسيح عليه السلام، ويبرهن بحوادث دمويّة حصلت بالتاريخ. لكن مثل هذه الحوادث الدمويّة حصلت في المجتمعات الأوروبيّة أيضًا ومن عمق التاريخ الأوروبيّ، كما حدثت مثل هذه الأحداث في المجتمعات الشرقية الفارسيّة والتركيّة والمغوليّة والصينيّة وغيرها، وما زالت موجودة بنسب مختلفة. ويمكننا أن نستشهد لكلّ مجتمع بمثل تلك الشواهد التي استشهد بها الكاتب المحترم لإثباته العنف الدمويّ في العراق والصفات السلبيّة الخطيرة للشعب العراقيّ وللشخصيّة العراقيّة والفرد العراقيّ، ويمكننا ببساطة أن نثبت هذه الصفات التي نسبها الكاتب المحترم للشعب العراقيّ لكلّ مجتمع من المجاميع البشريّة ذات الحضارة المعترف بها عالميًّا مثل المجتمعات الصينيّة والتركيّة والفارسيّة والأوروبيّة.

الأمر أدقّ بكثير، ونرى ضرورة البحث عن الأسباب المؤثّرة مباشرة في تكوّن شخصية المجتمع في فترة زمنيّة وفي أرض محدّدة لأنّنا نرى أنّ للزمان «**وهو المرحلة التاريخيّة**» التي يمرّ بها المجتمع وأيّ مجتمع بشريّ، ووحدة الأرض بما يحيط بها (أي الأرض) من ظروف طبيعيّة كون تلك الأرض تقع في منطقة حارّة، أو في منطقة باردة، أو في منطقة معتدلة الجوّ، أو في منطقة تغمرها المياه مثل الأهوار، أو في منطقة جبليّة، أو منطقة صحراويّة يقلّ فيها الماء والزرع، ولا يكاد الإنسان الذي يسكن تلك الأرض يحصل على موارد رزقه وعيشه الطبيعيّ إلّا بجهد كبير، أو تكون بتلك الأرض طبيعة الغابات والمياه الحلوة.

وهكذا، فإنّ كلّ ظرف مرتبط بهذه الأرض مؤثر عكسيًّا أو طرديًّا على اختلاف الظروف والمناسبات على سلوك الجماعة التي تسكن هذه الأرض، ولا نُغفِل عامل الوراثة وما تحمله الجينات من صفات وراثيّة تنقلها إلى الأجيال المتعاقبة، وأيّ سلوك اجتماعيّ لا بدّ أن يقرأ جميع العوامل المؤثرة في سلوك الجماعة، سواء التي ذكرناها أو التي لم نذكرها هنا، للتوصل إلى القول الفصل في وصف تلك الجماعة.

وتكون النتيجة دعاوى باطلة غير حقيقيّة لأنّها تعتمد على المجازفة والنتائج اللا علميّة وتحرّكها العواطف المبنيّة على الحب والبغض. وقد روي بالمأثور عن النبي ﷺ: «**حبك للشيء يُعمي ويُصم**»[1]. وفي ملاحظة هذه الأصول العلميّة والاجتماعيّة فلندرس طبيعة مجتمع النفوذ

(1) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق، الجزء 4، الصفحة 380، الرقم 5814.

لحركة الخراسانيّ عشية ظهوره وحركته، ممّا يستلزم التعرّض لقضايا تتعلق بجغرافيا أرض النفوذ وتاريخ مجتمع هذه المنطقة.

وعندما نتكلم عن الظروف المؤثرة لتكوين طبيعة أيّ مجتمع فقد قلنا أن هذه الظروف متحرّكة ومتغيّرة، وقصدنا بهذه الظروف إنّما هي الظروف الفعليّة والطبيعيّة الفعليّة للمجتمع الذي يقع موقع الدراسة والبحث؛ ولكن لا يجب تصديق وجود صفات تملك الثبات لكلّ مجتمع من المجتمعات البشريّة، بل العكس هو الصحيح، فمع حفاظنا والتزامنا بقناعة أنّ السلوك الاجتماعيّ العام وطبيعة أيّ مجتمع خاضعة للمؤثّرات الفعليّة التي تسبب هذه الصفة السلوكيّة للمجتمع، كان من الضروريّ جدًّا الشعور بأنّ هناك صفات اجتماعيّة أخذت طابع الثبات النسبيّ لهذا المجتمع أو ذاك نتيجة الجغرافيا أو التاريخ: فالطقس الذي يعيشه المجتمع مؤثّر بشكل واضح على طبيعة سكان منطقته؛ ومن المعلوم أنّ سكّان المناطق الحارّة يتميّزون بالخمول، وقلّة الحركة، وضعف النشاط؛ عكس سكان المناطق الباردة. كما أنّ سكان المناطق المائيّة الأنهر والبحار والأهوار وغيرها يتميّزون بطبيعة الحياة التي يعيشونها من قلة الحركة، الأمر الذي يعمق الارتباط الاجتماعيّ فيما بينهم فيكون النظام الاجتماعي العام نظام العائلة والقبيلة، والذي يسبب هذا التقارب ازدياد نسبة التقاتل والصراع فيما بينهم نتيجة صغر المنطقة التي يعيشون فيها، ممّا تولّد عادات وتقاليد تطغى على صبغتها العامّة الحرب في طبيعة سكان هذه المناطق. وما تستلزم متطلبات هذه الطبيعة من صفات تجمع بين التناقضات.

فهو مجتمع غير طامح وبدائيّ المعيشة ويبني بيوته ومساكنه على أراضٍ مشاعيّة، وفي المناطق المائيّة المشاعيّة التي يمكنه أن ينتقل منها في أي وقت، وفي أقل مدّة، ويُخيّم على حياته هدوء الطبيعة وصفاتها واستقراره النفسيّ، وقلّة الأمراض وغيرها من الصفات الجميلة التي يحلم بها سكان المدن الكبيرة، وفي الوقت نفسه يملك الإنسان الذي يعيش في مثل هذه البيئة الطبيعيّة صفات متناقضة فهو سريع الانفعال، وقد يؤدي انفعاله إلى حدّة الموقف وردة الفعل تجاه ما يصدر من الآخرين، ممّا قد يؤدّي إلى التقاتل وما يستلزمه من الثأر دفاعًا عن مصالحه لحفظ ما يحصل عليه من مكاسب بيئيّة؛ كالسكن والقضايا الاقتصاديّة التي يعتبرونها مصيريّة، وبالنسبة لهم لا يمكن التنازل عن شيء منها. بينما نجد تلك القضايا جزئيّة وسخيفة وأبعد من أن يفكر بها إنسان المدن.

أذكر هنا قصّة صراع قبيلتين متجاورتين من سكّان الأهوار تعيشان فيما بينهما المحبّة والصفاء والأريحية، ولكنّها فجأة وفي ساعة ضحى من النهار في أحد الأيّام تقاتلا من أجل (قفص حشيش)؛ وقفص الحشيش يقصد بها مقدار من الحشيش وبمساحة صغيرة بمقدار المتر المربع ينبت في قرب محل سكن القبيلة، وقد أدّى هذا التقاتل إلى سقوط سبعة قتلى من إحدى القبيلتَين وأربعة من القبيلة الأخرى - على ما أذكر - واستمرت المعارك طويلًا إلى أن تدخّل فيها وجهاء قبائل أخرى. وقد مرت على هذه المعركة أكثر من عشرين سنة وحتّى الآن لم تنقضِ آثارها القتاليّة.

من الطبيعيّ أن توصف حياة البداوة مثلًا؛ بأنّها حياة تملك طبيعة متميّزة عن حياة المدن، كما يتمتّع الإنسان البدويّ بآفاق تختلف تمامًا عن الآفاق النفسيّة والفكريّة عن الإنسان البدويّ نسبة إلى المدينة، فالإنسان البدويّ يعيش في بيئة هادئة وبسيطة المعاش، وينظر بعينيه إلى أفق غير بعيد، ومستوى حواسه متكيّفة مع تلك الظروف، كما تبقى أعصابه هادئة لبعده عن الصخب والضوضاء، بينما نجد سكان المدن يعيشون حياة متناقضة مع هذه الحياة، فهي حياة مملوءة بالصخب والتناقضات بين أفراد سكان هذه المنطقة وبما تعرّضه عليهم طبيعة الجغرافيا فلا يمكن لدراسة اجتماعي أن يبتعد عن عنصر الجغرافيا في معرفة طبيعة أيّ مجتمع من المجتمعات البشريّة. ولهذا عندما ندرس المجتمع العراقيّ فعلينا أن نكون واقعيّين لتحديد طبيعته بملاحظة بيئته التي يعيش فيها.

إذا تغيّرت بيئة سكن المجموعة البشريّة من مكان إلى مكان فمن الطبيعيّ أن تتغيّر حياته، ولكن لا يعني ذلك أن يحدث طلاقًا بين معيشته الحاليّة ومعيشته التي كان عليها في البيئة الأولى. ومن كوامن الطبيعة النفسيّة البشريّة هي الحنين للماضي وعدم الانسلاخ من التاريخ نتيجة الحنين إليه والاعتزاز بما يُذكّره بذلك التاريخ. وهذا يعني بقاء مساحة معينة من الماضي الذي صنعته الجغرافيا في الماضي في حياته الحاضرة المعاصرة، وهو ما نشاهده واضحًا في مجموعة المجتمعات البشريّة، كما نشاهد في حياة ومعيشة القبائل التي عاشت البداوة سابقًا ثم انتقلت إلى المدن مثل بعض عشائر شمر المعروفة تاريخيًّا بسكناها

البوادي، وبعضها انتقل إلى المدن ومرّ عليها أكثر من قرن من الزمن، ولا زالت تحكمهم بعض العادات البدويّة التي لم يتخلّوا عنها، ويعتزون بها مع أنّ ظروفهم البيئيّة قد تغيّرت. ولا نتوقّع بقاء هذه العلاقة مستمرّة في المستقبل، بل أثبتت التجربة الإنسانيّة أنّ البيئة الجديدة سوف تؤثر على هذه المجموعة البشريّة بما يتلائم مع الظروف البيئيّة الجديدة والتغيّرات التي حصلت في طريقة حياتهم ومعيشتهم.

مستقبل العراقيّين في مجتمع الخراسانيّ

إذا أردنا دراسة مستقبل تاريخ العراقيّين والعراق في مجتمع الخراسانيّ، أو عشية يوم الظهور الموعود، علينا أن ندخل في عمق المقاطع التالية ونجيب على جميع الأسئلة والاستفهامات التي نتوصل بها إلى معرفة الظروف البيئيّة والتاريخيّة والنفسيّة والاجتماعيّة لهذا المجتمع:

فما هي جغرافيا العراق في تلك الروايات التي تحدثت عن العراق في مجتمع الخراسانيّ أو عشية الظهور؟.

ومن هم العراقيّون، أو ما يُعبّر عنهم بأهل العراق الذين يكون لهم دور المُشخّص والمعيّن في مجتمع الخراسانيّ، أو عشيّة الظهور الموعود؟.

ثمّ بعد تحديد هاتين النقطتين يجرّنا البحث إلى الحديث عن طبيعة هذه المجموعة المشاركة في تلك الأحداث المهمّة من تاريخ البشريّة، كما تتوضح لنا العلاقة القوميّة والعرقيّة ونوع الارتباط بين شعب العراق وبين

الشعب الآخر أو الشعوب الأخرى التي تُحكَم من قبل الخراسانيّ نفسه والتي سمّيت بشعب أو شعوب منطقة تحرّك الخراسانيّ.

وهذا ما سنعالجه في المبحث الثالث من هذا الفصل.

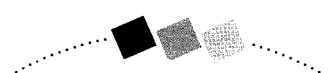

المبحث الثالث:

جغرافيّة الحكم الخراساني

العراق في عصر الخراسانيّ

من الطبيعيّ أن نجد الاختلاف في المساحة الجغرافيّة التي ينطبق عليها اسم العراق بسبب الظروف التاريخيّة التي مرّ بها هذا البلد. فالعراق في عصر الآشوريّين والكلدانيّين والأكديّين كانت له حدوده الضيّقة التي اختلفت بعد تكوّن امبراطوريّات بابل وتوسّعها لتشمل مناطق ودولًا أخرى وقعت ضمن إدارتها.

خريطة العراق سابقًا وحاضرًا

والعراق في عصر الأكاسرة كان يُطلق على المناطق التي حكمها الفرس، وبنوا عاصمتهم فيه وقد سمّوها (بالمدائن)، وإلى جنبهم أسّست دولة عربيّة حليفة سكنت أجزاءً من صحراء العراق وسواده، وامتدت إلى أراضٍ أخرى خارج الحدود الإداريّة للعراق الحديث وهي دولة المناذرة ودولة الغساسنة.

وعندما غزا العرب تلك المناطق الفارسيّة وتمكّنوا من احتلال الأراضي الفارسيّة التي كانت مسكونة من القوميّين الفرس وهم الأكثرية، والعرب الذين كانون يسكنون المناطق المتاخمة للصحراء، وتراجع ملوك

الفرس في عمق دولتهم حتى تلاشت سلطتهم، جاء العرب وحكموا تلك البلدان المسكونة من قوميّات غير عربيّة؛ ممّا دعاهم أن يستعينوا بمن أسلم من الفرس والقوميات الأخرى ليشاركوا بإدارة تلك البلاد. وكان رأس هؤلاء الحكّام الجدد سيدنا الصحابي الجليل سلمان الفارسيّ الذي طالما وجدنا بالروايات المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قد نسبه إلى أهل بيته، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**سلمان منّا أهل البيت**»[1].

إحتاج العرب إلى تأسيس قواعد عسكريّة في المنطقة الجديدة التي فتحوها، فمصَّروها، مثل الكوفة في زمن ما بعد الاحتلال لتلك الأراضي، أو ما يحلو لبعض الكُتّاب أن يُسمي هذه الفترة بفترة الفتح الإسلامي مُعبّرًا عن هذا الغزو الجديد بالفتح؛ ولسنا هنا بصدد الخوض بهذا الموضوع فقد كتبنا سابقًا رسالة في توضيح أنّ ذلك العمل العسكري كان بدوافع سياسيّة داخليّة عانى منها الحكام الجدد بعد الرسول الأعظم وطَمَّعوا الغزاة من القبائل بالغنائم والأعطيات.

وكان هذا العسكر الذي بنته القوّات العسكريّة الزاحفة في منطقة سمّيت الكوفة إلى جنب الحيرة عاصمة المناذرة، التي زالت بزوال الحكم الفارسيّ. وبمرور الزمن سُمّيت الكوفة مع مدينة البصرة بالعراق حتّى صار اسم العراق يطلق في تلك الفترة على الكوفة باعتبارها أكبر مدينة تضم أعدادًا ضخمة من السكّان قدّرها بعض المؤرّخين في زمان أمير

(1) الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1404هـ/ 1983م)، الجزء 1، الصفحة 70، بإسناده عن علي عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

المؤمنين عليه السلام إلى رقم المليون والنصف مليون إنسانًا من مختلف القوميّات والأديان. وجاء هذا التقرير بحسب ما كان يمكن للدولة أن تجده من العساكر في هذه المدينة وبسرعة فائقة من الأيام لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة. وقد رأينا في حرب الجمل كيف أمكن تجهيز مالك الأشتر رضوان الله عليه وبخلال ساعات عشرات الآلاف من العسكر الذين زحف بهم إلى البصرة، وكذلك قد وجدنا رقم العسكر الذي يمكن إعداده خلال يومين أو ثلاث قد تجاوز المئة والعشرين ألف رجل. فإذا أضفنا إليهم عدد النساء والأطفال، والعبيد، وغيرهم من المرضى، ومن لا يشترك في الحرب فسوف يكون عدد السكّان كبير جدًّا، قد يصل إلى المليون والنصف وهو رقم غير مبالغ فيه.

مهما يكن الأمر، فإنّ اسم العراق دل على مساحات مختلفة وعبر التاريخ، ما بعد تمصير الكوفة حتّى شمل بغداد وسامراء في الحكم العبّاسي. ووجدنا اسم العراق في العهد العثمانيّ قد تغيّر، وكان يشمل مقدارًا كبيرًا من أرض بعض الدول المجاورة حاليًا، ودخل فيها بعض دول الجوار التي استقلّت وصار دولة مستقلّة من الأمم المتّحدة؛ وفي معاهدة سايكس بيكو بعد الحرب العالميّة الأولى رسمت خارطة جديدة للعراق وصلت إلى تخوم فلسطين وبعض المناطق السورية المحاذية للعراق المعروف حاليًا، إلا أنّها بعد الاتفاقات الدوليّة الأخيرة بتقسيم مناطق الشرق الأوسط انتهت خريطة العراق المعترف بها في الأمم المتّحدة إلى هذا العراق المعاصر، وفي مستقبل التاريخ.

يجب علينا تكوين صورة واضحة عن العراق في عصر الخراسانيّ الذي يظهر لمدة أشهر قليلة لا يتجاوز مجموعها السنة قبل ظهور الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، ولا يمكننا الحصول على هذه الخريطة التي تتكوّن فيها أحداث ما قبل الظهور إلّا من خلال عنصر الغيب الذي تحدث عنه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة من أهل بيته عليهم السلام، فهم قد تحدّثوا عن العراق وما سوف يظهر من أحداث ممهّدة للظهور وعلاقة العراقيّين بالخراسانيّين.

ولهذا سوف نركّز حديثنا عن العراق في المنطقة التي تقع ضمن حركة الخراسانيّ ونفوذه، وهي ممتدّة ما بين جبال حمرين شمال بغداد المعاصرة إلى مناطق بني قيس، وهي القبائل السّنّية العربيّة التي تقطن المناطق المعروفة بتكريت وجنوبها والمتّصلة بالقبائل العربيّة في الجوار السوري مثل عشائر شمَّر والموالي والجبور. فهذه الأسماء وجدناها تستقل عن النفوذ الخراسانيّ في الروايات الشريفة، وسمّيت بأسماء متعدّدة من أشهرها: بني قيس وهم سكّان الكبيسات، وعانة، وهيت، وراوة والفلوجة والرماديّ وما بينها من القرى والنواحي.

كما نجد امتداد العراق في الروايات المتحدّثة عنه في عصر الخراسانيّ تصل جنوبًا إلى نهايات البصرة وما يحاذيها من النواحي، والمناطق إلى البحر وهي مناطق الخليج.

كما وجدنا أيضًا، إنّ أحداث الروايات تتقلّب بين بغداد والمسماة بعضها بالزوراء الذي هو اسمٌ أُطلق في الأخبار الشريفة على أكثر من منطقة كانت إحداها الريّ (طهران) والأخرى بغداد. وأطلقت «**الزوراء**»

أيضًا على مناطق مجملة غير مشخّصة وغير مبيّنة يُمكنها أن تكون المناطق المحيطة بشمال بغداد حاليًّا الممتدة إلى تخوم كركوك مثل الطوز والحويجة وربما تدخل فيها تكريت أيضًا. وتمكنّا من هذا التشخيص الظنّي والتقديري بواسطة الأوصاف التي أعطيت لهذه الزوراء، والتي سوف تدمّر وتُصاب بالمحن الكثيرة من قِبل السفيانيّ وأفاعيله المنكرة، ويقتل فيها الأعداد الكبيرة من خلال زحفه على بغداد. وكانت تُسمّى إلى عهد قريب قبل التقسيم الإداريّ في عهد حزب البعث بالمناطق الواقعة شمال بغداد سابقًا، وتعتبر جزءًا من لواء بغداد سابقًا. وكانت بغداد تسمّى إداريًّا (بلواء) وهو امتداد بما كان يُسمّى بالعهد العثمانيّ (بولاية بغداد).

وفي الروايات الشريفة أنّ الحركة الصعبة التي تمرّ بها مرحلة قبل الظهور؛ هي هذه المناطق التي تقع في شمال بغداد، ويقطنها عادة العرب السُّنّة وهم الأكثريّة حاليًّا، والعرب الشيعة هم الأقليّة مع وجود قوميّات أخرى كرديّة وتركيّة من الشيعة والسّنّة يعلمون أنّ سكان هذه المنطقة هم من شيعتهم في آخر الزمان ولهذا وجدنا الأئمّة عليهم السلام قد اهتمّوا بهؤلاء الناس وتحدّثوا عنهم وخصّوهم بالأحاديث عن مستقبلهم ودورهم في فتن آخر الزمان وفي المشاركة للتمهيد ليوم الظهور.

ويحتاج التفصيل لهذه الأحداث الغيبيّة المستقبليّة مجالًا آخر من البحث مستقلًا عن بحثنا هذا، وأن نتحدّث عن (العراق وأهله). وقد عرضنا بشكل موجز جدًّا في كتابنا أضواء على دولة الإمام المهديّ عجل الله فرجه

المطبوع مكررًا، وأما الذي يهمنا هنا هو الحديث عن المجتمع العراقي في ضمن حركة الخراسانيّ، باعتباره من مناطق نفوذ الخراسانيّ فقط.

لقد أطلّنا الحديث عن مميّزات المجتمع العراقيّ بسلبيّاتها وإيجابيّاتها، واختصرنا الحديث عن مميّزات المجتمع الخراسانيّ لسبب يختصّ به المجتمع العراقيّ. ولا نريد أن نتحدّث عن خصوصيّات المجتمعات بما هي مجتمعات إنسانيّة ذات تاريخ وجغرافيا وطبيعة، وإنّما نريد أن نتحدّث عنها بمقدار دورها وتأثيرها بحركة قبل ظهور الإمام المهديّ؛ وبما أنّ مجتمع الخراسانيّ صاحب التجربة وهو الفاعل الأساسيّ لمعركة التمهيد؛ قد ذُكرت خصوصيّاته وامتيازاته في الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، فلذلك لم نسعَ ولم نُفتّش عن تلك الصفات التي يتميّز بها مجتمع الخراسانيّ بأكثر ممّا ورد في الروايات.

إنّ البحث عن الدوافع أو العوامل التي جعلت هذا المجتمع متميّزًا بهذه الصفات الإيجابيّة فقد تجنّبنا الخوض فيه لأسباب موضوعيّة أهمّها: أنّنا لا نريد الخوض بقضايا مسلّمة نشأت من النصوص الشريفة، فإذا قال النصّ إنّهم على الحقّ، فما الداعي والمقتضي للإنسياق وراء الأسباب التي جعلتهم يكونوا مع الحقّ، لأنّها قضايا مفروغ منها ومسلّمة مع سلامة النصّ.

أمّا إذا كان أحد الأشخاص أو المؤلّفين أو الباحثين عنده إشكال على سلامة وصحّة النصّ، فسوف نتحدّث معه ضمن هذا الأمر، بالخصوص في بحث مختصّ بعلم الدراية والرجال وحجيّة خبر الواحد الثقة من علم

أصول الفقه؛ فالمسألة ستكون في طرق إثبات النصّ، وهي مسألة غريبة جدًّا وبعيدة كلّ البعد عن مسألة تميّز هذا المجتمع بهذه الصفة، أو بتلك الصفة.

إنّ البحث لا يكون متكاملًا إلّا بخوض الدراسات التي كُتبت عن معرفة ومميّزات المجتمع العراقيّ في علم الاجتماع وعلم النفس، كما وجدنا هذه المميّزات يشترك بها سكّان نفوذ حركة الخراسانيّ في الخليج أيضًا كادوا أن يكونوا جميعًا يشتركون بصفات متقاربة كما سوف نقرأه بعد قليل إن شاء الله تعالى.

وقد تركنا الحديث عن طبيعة مجتمع أهل الشام مع أنّنا ثبتنا امتداد نفوذ الخراسانيّ إلى منطقة غرب دمشق وهم أصحاب الرايات الصفر كما ورد في الروايات الشريفة. وأرجعنا تفصيل البحث في طبيعة هذا المجتمع إلى دراسة حركة السفيانيّ التي نأمل من الله تعالى أن يوفقنا لها؛ لأنّ دراسة هذه الطبيعة تكون أنسب ضمن بحث الطبيعة الشامية التي يتحرّك بها السفيانيّ.

وقد تركنا البحث عن طبيعة الشعب اليمنيّ وجغرافيّة اليمن مع أنّنا وجدنا أنّ للخراسانيّ علاقة نفوذ في تلك المنطقة حيث التمهيد للظهور؛ لأنّنا وجدنا أنّ من المناسب التطرق لتلك الأبحاث عند الحديث مفصّلًا عن حركة اليمانيّ كما سوف يأتي مفصّلًا بشكل مستقلّ إن شاء الله تعالى.

علينا أن نتمّم خريطة مجتمع نفوذ حركة الخراسانيّ التي يكون فيها

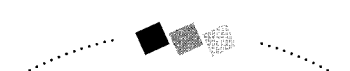

قد أكمل دوره التمهيديّ في إعداد المجتمع القادر على التمهيد لاستقبال المُخلِّص عجل الله فرجه في منطقة العراق وما حولها من المناطق القريبة التي اعتبرناها منطقة نفوذ الخراسانيّ، وكان العراق هو أبرز مناطق النفوذ، ووجدنا الروايات الشريفة قد تحدّثت عن العراق في حركة الخراسانيّ بطريقة هي غير الطريقة التي تحدّثت بها في المنطقة التي ظهر منها.

الخراسانيّ في الخليج

إنّ الروايات التي تحدّثت عن المشرق وعن هَجَر التي تقع في مشرق الأرض بالنسبة لأهل المدينة المنوّرة ومكة المكرمة؛ توضح بأنّ هذه المنطقة تكون خاضعة بشكل وآخر لنفوذ الخراسانيّ باعتبارها جزءًا من المشرق، وقد تقدّم الرأي مفسّرًا المشرق الوارد في صحيح البخاري عندما تحدّثت عن مشرقيّة الخراسانيّ.

ولكنّ بعض الكتاب السّنّة المصريّين المعاصرين اقتنع بأنّ منطقة الخليج سوف يحكمها السفيانيّ قبل ظهور الإمام المهديّ قال: ويرسل المهديّ إلى الرجل السفيانيّ الذي يحكم العراق وأغلب جزيرة العرب بعثًا!! وأمير المؤمنين علي رضى الله عنه قال: «**السفيانيّ من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان، رجل ضخم الهامة، بوجهه آثار جدري، بعينه نكته بيضاء... وفي رواية (في إحدى عينيه كسل ضعيف) يقال إنه يدخل دمشق وإمارات الخليج وجزيرة العرب قبل المهديّ بقليل والله أعلم**»[1].

(1) محمّد بن عيسى داوود، في كتابه المهديّ المنتظر على الأبواب، الصفحة 129.

وفي نظر المدرسة السّنّية لا سيّما الوهّابيّة منها؛ أنّ المنطقة الخليجيّة تقع عشيّة ظهور الإمام المهديّ عليه السلام تحت النفوذ السفيانيّ الممدوح لدى بعضهم والمذموم عند آخرين منهم.

وقد وجدنا أخيرًا في الحركات الإسلاميّة الوهابيّة التي تعتنق المذهب الوهابيّ - أو ما يسمّي أصحابه أنفسهم بالسلفيّين أو الجهاديّين، ومنهم بعض انشقاقات تنظيم القاعدة المعاصر فإنّ هؤلاء يعتقدون فكريًّا وعقائديًّا بأنّ المنطقة الخليجيّة تخضع للخراسانيّ وللرايات السود التي تظهر من أفغانستان، والتي يعتبرونها هي المشرق المقصود بالروايات التي تحدّثت عن أهالي المشرق الذين يخرجون في آخر الزمان، ولهذا فهم يسعون أن تمتدّ دولتهم إلى هذه المناطق الواقعة في الخليج وجزيرة العرب.

ومهما يكن الأمر، فإنّنا نعلم بأنّ مسألة النفوذ وامتداده في منطقة ما لأيّ جهة، ولأيّ قوّة لا يقصد به الامتداد الفعليّ، وإنّما يُقصد به التأثير بمستوى من مستويات القوّة، والسلطة السياسيّة، والعسكريّة، والأمنيّة، وهو من الممكن حدوث أكثر من نفوذ لأكثر من جهة في منطقة واحدة قد تتنازع فيها بينها قوّة النفوذ والسلطة، وهو ما عرفناه أيضًا بمسألة العراق. فإنّنا قد قلنا سابقًا إنّ حكم العراق يبقى مستقلًّا عن القوى، والسلطات الأجنبيّة عنه في عشيّة الظهور. ومع ذلك فمن اليقين أنّه يكون موقع نفوذ الخراسانيّ وغيره؛ ويتحدّد شكل هذا النفوذ من خلال الظروف التي يعيشها البلد في حينه، ولا ضرورة للتنبؤ عن شكل هذا

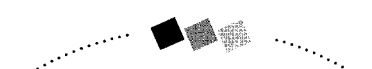

النفوذ وحجمه، وإنّما يتحدّد الشكل والحجم وغير ذلك في حينه وكذلك هو الأمر بالنسبة إلى المناطق الأخرى.

وما يخصّ منطقة الخليج لا سيّما في شرقها الذي هو منطقة الشيعة الذين هم سكّان الأرض الأصليّين، فإنّ الأغلبية العظمى فيما يسمّى إداريًّا بـ«المنطقة الشرقيّة» وهم من الشيعة كالأحساء والقطيف والدمام وغيرها، وكذلك الحال بالنسبة إلى البحرين، فإنّ النسبة العظمى هم من الشيعة حتّى مع هذه التغيّرات الأخيرة التي يحاول النظام البحرانيّ إيجادها بما يُسمّى بعمليّة تجنيس الأجانب من السّنّة. وكذلك الأمر بالنسبة إلى عمان، والكويت، والإمارات، وقطر، مع إنّها مناطق أقلّ كثافة سكان جدًّا من المنطقة الشرقيّة زائدًا أنّ البحرين تتمتّع بنسبة سكّانيّة من الشيعة ما تجعلهم في موقع التنافس العدديّ مع غيرهم من السكّان الآخرين.

ينطلق المشروع المهدويّ من الخصوصيّة الشيعيّة وإن كانت مبادرة عامّة للبشريّة، بل ولجميع المخلوقات، وهو ما ينسجم كليًّا مع مشروع حركة الخراسانيّ الذي يدعو إلى الحقّ، وهو التشيّع الأصيل، الذي يكون قادرًا على حفظ كيان التشيّع، ومواجهة خصومه المحليّين والعالميّين، وهذا هو معنى الدعوة إلى الحقّ، ولا نجد له معنى آخر في قبال التشيّع الضعيف الذي لا يستطيع حفظ الكيان الشيعيّ ولا مواجهة خصومه المحلّيّين والعالميّين إلّا بأسلوب التقية، والاستضعاف، والمهادنة الضعيفة، ولا نتصوّر بأنّ هذه الطريقة بوجه من الوجوه قادرة على حفظ

الكيان، وإن كانت قادرة في بعض الأحيان على دفع الأذى، ولكنّها تترك المجال واسعًا للآخرين ينخرون في أسس الكيان والإعداد لإسقاطه بدون مواجهة وهذا ماحدث فعلًا على مرّ التاريخ، ولكنّ الله يحفظه تصديقًا لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (1).

يوجد في تراث شيعة منطقة الخليج أنّ هذه المنطقة سوف تخضع بشكل طبيعيّ وسلس لإدارة المولى، وقد توارث الأجيال هذا التصوّر من الاعتقاد، بما قد يؤكّد وجود الأرضيّة الملائمة للتمهيد لظهوره في هذه المنطقة، وتلاقي نفوذ الخراسانيّ بوجه من الوجوه. وللتفصيل مجال آخر في هذا المقطع من البحث والدراسة بما يختصّ بواقع الخليج عشيّة الظهور. لكنّنا لم نجد دورًا لهذه المنطقة في دائرة نفوذ الخراسانيّ أكثر ممّا ذكرناه؛ فلربّما يقال إنّ دور الخليج يتلاقى مع اليمانيّ عشيّة الظهور بشكل أكبر بكثير من تلاقيه بنفوذ الخراسانيّ، ولذلك فنحن نوكل تفصيله إلى هناك.

الخراسانيّ في شرق دمشق

وهي منطقة يدور الصراع فيها بأوجّه في وقتٍ ما قبل قيام حركة الأبقع والأصهب، ويكون زمان حركة الأبقع والأصهب قبل خروج السفيانيّ بعدّة سنوات، وقد نصّت الروايات على أنّ الأصهب والأبقع يتصارعان

(1) سورة التوبة، الآية 32.

ويتحاربان بعنف وقسوة في كثير من مناطق الشام حتّى تكون الغلبة للأصهب على بعض تلك الروايات؛ وفي بعضها يبقى الصراع حتّى يخرج السفيانيّ من الوادي اليابس، ويقتل قادة أطراف الصراع ويسيطر على الكور الخمس وهي فلسطين ودمشق وحمص وقسطلان والأردن، وقد وجدنا في بعض تلك الروايات أنّ الحرب بين الأصهب والأبقع سوف تدوم لسنوات طويلة حدّد في بعضها باثنين وسبعين شهرًا. ومن الواضح بأنّ العدد للكثرة لا للحصر ممّا قد نفهمه بأنّ المدّة قد تكون أكثر من هذا العدد المحدود من الأشهر.

وخلال هذه المعارك، تظهر رايات في شرق دمشق سمتّها الروايات بالرايات الصفر وهي رايات ممدوحة، تشتبك في معارك كثيرة وتكون منصورة.

وجاء في **الملاحم والفتن** للسيّد ابن طاووس عن النبيّ صلى الله عليه وآله، أنّه قال:«لتخرجنّ من خراسان راية سوداء حتّى تربط خيولها بهذا الزيتون الذي بين بيت لاها وحرستا. قلنا: ما نرى بين هاتين زيتونة. قال: سيصير بينهما زيتون حين تنزّلها تلك الراية فتربط خيولها بها»[1].

وهذه الراية السوداء التي تخرج من خراسان هي التي ذكرها قبل ذلك بقليل في الباب المئة من كتابه عن الحسن أنّ رسول الله ذكر بلاءً يلقاه أهل بيته حتى يبعث الله راية من المشرق سوداء مَن نصرها نصره الله،

(1) السيّد ابن طاووس، الملاحم والفتن (أصفهان: نشاط، الطبعة 1، 1416هـ)، الصفحة 55 الباب الحادي والمئة.

ومَنْ خذلها خذله الله، حتّى يأتوا رجلًا اسمه اسمي فيولوه أمرهم فيؤيّده الله وينصره»[1].

ومن الواضح أنّ راية خراسان التي تربط خيولها بزيتون بيت لاها مرتبط بالروايات الصفر وهي الراية الحسنيّة أو الحسينيّة التي ذكِرت في حديث سدير من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قال: «**قلت للإمام الصادق عليه السلام: جعلت فداك هل قبل ذلك شيء؟ قال: نعم. وأشار بيده بثلاث أصابعه إلى الشام وقال: ثلاثة رايات راية حسينيّة وراية أمويّة، وراية قيسيّة، فبينما هم إذ قد خرج السفيانيّ فيحصدهم حصد الزرع ما رأيت مثله قط**»[2].

ويتحدّث عن الراية الأمويّة والراية القيسيّة، وهما رايتا الأصهب والأبقع التي ذكرتا في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام في غيبة الطوسي: «**فأوّل أرض تخرب الشام ثمّ يختلفون على ذلك على ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفيانيّ**»[3].

وراية الخراسانيّ منصورة بإذن الله تعالى في الشام كما في الروايات لا تخسر وإنّها مستمرّة حتّى يسلموها للمهديّ، وأنّ الرايات الصفر هي التي تقرع أبواب دمشق؛ فمن الواضح أنّها هي تلك الرايات الخراسانيّة

(1) المصدر نفسه، الصفحة 54.

(2) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء 52، الصفحة 271.

(3) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 289، الباب 14، الحديث 67.

وفي: الاختصاص، للشيخ المفيد، الصفحة 256. وفي: الخرائج والجرائح، للقطب الراوندي، الجزء 3، الصفحة 1156. وفي: كتاب: عقد الدرر، للمقدسي، الصفحة 87.

التي ربطت خيولها في الزيتون في مناطق شمال الشام، التي هي مناطق بيت لاها وتمتدّ حاليًّا إلى حدود حمص، وسوف يأتي تمام الكلام عندما نبحث ذلك في أحوال حركة السفيانيّ إن شاء الله تعالى.

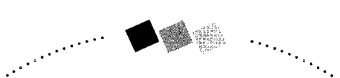

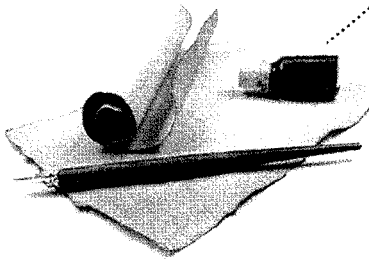

الفصل الثالث:

علامات مرتبطة بحركة الخراسانيّ

المبحث الأول:

كنزٌ بالطالقان

ورد في الأخبار المروية في كتب الإماميّة أنّ حركة الخراسانيّ التي تظهر على مناطق النفوذ السفيانيّ من بني أمية وبني العباس التي تحدّثت عنها مناطق أخرى وردت بأسماء متشابهة، وربما حملت على أكثر من دلالة من اسم لاختلاف نسخ البدل، واختلاف أماكن تلك الأسماء من الدول والمدن، وهي تدل على أنّ حركة الخراسانيّ سوف يكون لها مقرّ ومستقرّ، كما سوف يكون لها أتباع وغلبة لوجود أتباعه في مناطق مختلفة والكلّ، سواء اختلف بقناعاته أو لم يختلف، فهو يشكل جزءًا من قيامة القائم بخراسان وحركته، وربّما وجدنا أوضح نصّ ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في حديثه عن أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتحدث عن تطهير الأرض من الظالمين، والتفاصيل التي سوف تحدث في تلك العملية التطهيريّة؛ وللأسف الشديد أنّ الرواة والمؤلفين الأقدمين اختصروها بشكل يناسب ذلك الاختصار تصوّراتهم للجغرافيا السياسيّة والتأريخيّة التي كانوا يعيشونها قبل أكثر من ألف ومئتا سنة، ولم يتصورا بأنّ تلك التفاصيل التي حذفوها كانت تتحدث عن وقائع وتاريخ يأتي بعد مئات السنين، ولم يكن حديثًا عمّا عاصروه؛ لأنّهم كانوا يتصوّرون أنّ المرحلة التي يعيشونها هي نهاية المسيرة، وهي الجغرافيا التي يظهر بها، ويقوم

بها قائم خراسان. وربما يكون هذا التصور ناتجًا عن رغبتهم بمشاهدة النهاية، والحضور والمشاركة في عملية التطهير، وهو بالضبط ما يصيب الذين يستعجلون في تطبيق علامات الظهور على أسماء وأماكن يرونها ويعيشونها؛ مع إنّنا لا بد أن نفسح المجال، ونترك المسافات فارغة دون أن نملأها بتصوراتنا الشخصيّة للمستقبل الذي سوف يملأها بالواقع عندما تتحقق تلك النبوءات، فليس للإنسان من التصوّرات عن المستقبل إلا الأمل بما تشمله كلمة (لعلّ) التي تحفظ الحقيقة كما هي، دون أن يوجد فرضية ملزمة للنص بحركة التفسير كما جاء فيه، وبدون أن يُلزم المستمع أو القارئ بشيء من تفسيراته هو.

إنّ القضية تبقى غير معروفة، ولا يمكن لأحد أن يدّعي قاطعًا شيئًا عنها لأنّها في بعض تفاصيلها من الغيب الذي اختصّها الله عز وجل علمه لنفسه ولم يطلع عليه أحدًا إلا نبيّه وأهل بيته عليهم السلام، ولذلك فإنّ كلّ ما عندنا من تصورات عن تحديد تفاصيل الظهور فإنّها تبقى ضمن التخرّصات والتوقّعات ليس إلا، وربما سوف نمر بتلك الأحداث دون أن نحسّ بها أو نشعر بأهميتها، بل نمر بها بشكل عادي. وللمثال على هذه الفكرة، فإنّنا كعراقيّين مثلًا عايشنا الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه في نهضته في قم، ولم تنعكس علينا حينها، ومع ضخامة كل الأحداث فإنّنا كشعب لم تصلنا من أخبار تلك النهضة ما تجعلنا نتفاعل معها، وبقينا في مرحلة اللا تفاعل واللامبالاة حتى بعدما نُفي الإمام الخميني، إلى النجف وبقي بالنجف خمسة عشر سنة يعيش حياته الطبيعية لم يتعرّف عليه العراقيون

ولم يعرفوا عن حركته شيئًا مع أنّه كان يمارس عمله النضاليّ والجهاديّ باستمرار، وكان الشعب الشيعيّ في إيران يستجيبون لنداءاته، وأوامره، وتوجيهاته، ويقدمون الشهداء، والقرابين، ويملئون السجون، والزنزانات، والمعتقلات، فكانت حركتهم في تصاعد وتقدّم، وكنّا نعيش في العراق في سبات لم يوفق أغلبيّة الشعب لرؤية هذا القائد العظيم الملهم، وإذا صادف أن رآه أحد في الطريق فإنّه لا يسلم عليه، ولم يوفق هذا الأحد لمكالمة هذا العظيم باعتبار أنّنا كنا نتعامل مع حركة الإمام المهديّ التغييريّة بغربة خارج هذه الحركة، فننتظر أن يتم التغيير، ويتحقّق كل شيء، ونحن ننظر إليه، ولذلك عندما أصبح يوم من الأيام، ساعة من الأوان، وطائر الغيب ينطق بلسان الإعلام الغربي في إذاعة مونتي كارلو الفرنسية الناطقة باللغة العربية (ظهر الخميني)، وكأنّنا أفقنا من سبات طال أكثر من ألف سنة، وتتطلّعنا، فإذا الخمينيّ القائد العظيم الملهم هو ذلك الرجل من أهل قم الذي كان يسكن في جوارنا ويأكل من طعامنا، ويشرب من شرابنا، ويمشي في الأسواق، ويطأ فرشنا، ولم نعرف أنه بداية علامات الظهور، ومن يوم حركته، ليومنا الحاضر ما زلنا نعيش تفاعلات حركته وما زلنا لم نعرف ماهيّة هذه الحركة وموقعها في الثورة المهدويّة التي تغيّر الدنيا والتاريخ وتقرّب الآخرة.

إنّنا كذلك نبقى في أسرار روايات أهل البيت عليهم السلام نقرأها، ولا نعرفها. وهذا ما وقع به كل من كتب عن الغيبة وكان يعيش بالغيبة الصغرى، والذي وصل إلينا منه كتاب الغيبة للشيخ الأقدم محمد ابن إبراهيم النعماني

الذي عاش في الغيبة الصغرى، ما نقرأه فيه موضح لنا أنّ الرجل كما هو حال الكثير من أقرانه قد عاش مرحلة من الحيرة بالتعامل مع تلك الروايات ولم يعرف حقيقتها كما بقيت الحقيقة مجهولة ليومنا الحاضر.

يتوجب علينا عندما نقرأ هذه الروايات وما شابهها أن نعرف أنّ الأمر بالأول والآخر موكول إلى الله عزّ وجل ويبقى الأمر بيده فإليه الأمر كله.

وعلى كل حال هناك مرحلة يقوم بها الخراسانيّ هي المرحلة التي تسبق ظهور الإمام المهديّ بقيام قائم خراسان وهي ما يمكننا أن نسميها بقيامة الخراسانيّ.

روى الشيخ الأقدم النعماني في غيبته بإسناده عن الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام: «**أنّ أمير المؤمنين عليه السلام حدَّث عن أشياء تكون بعده إلى قيام القائم، فقال الحسين: يا أمير المؤمنين متى يُطهّر الله الأرض من الظالمين؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لايطهّر الله الأرض من الظالمين حتى يسفك الدم الحرام**» ـ ثم ذكر أمر بني أميّة وبني العباس في حديث طويل ـ ثم قال: إذا قام القائم بخراسان، وغلب على أرض كوفان، والملتان: وجاز جزيرة كاوان، وقام منا قائم بجيلان، وإجابته الآبر والديلم، وظهرت لولدي رايات الترك متفرقات في الأقطار والجنبات، وكانوا بين هنات وهنات إذا خربت البصرة، وقام أمير الإمرة بمصر ـ فحكى عليه السلام حكاية طويلة ـ ثمَّ قال: إذا جهزت الألوف، وصّفت الصفوف، وقتل الكبش الخروف، هناك يقوم الآخر، ويثور الثائر، ويهلك الكافر. ثم يقوم القائم المأمول، والإمام المجهول، له الشرف والفضل،

وهو من ولدك يا حسين، لا ابن مثله، يظهر بين الركنين، في دريسين باليين، يظهر على الثقلين، ولا يترك في الأرض دمين، طوبى لمن أدرك زمانه، ولحق أوانه، وشهد أيامه»[1].

إنّ هذه الأحداث التي ذكرت في الرواية الشريفة قد تحركت الدنيا فيها: فهي حركة يصفها أمير المؤمنين عليه السلام بتعبير القيام، بقوله عليه السلام (إذا قام القائم بخراسان)، والقيام هو غير الخروج الذي وجدناه بتعابير أخرى من الروايات، باعتبار أن الخروج يعبر عن مرحلة أولية من الحركة، وهي مرحلة قبل قيامه؛ فإذا تمت قيامته في بلد حكمه، فهو يمتد بنفوذه إلى مناطق أخرى، فيغلب على أرض كوفان وهي مناطق نفوذه من العراق، وكذلك يتوسع في ملتان وهي أيضًا حاليًا من مناطق نفوذه في الجهة الشرقية في المناطق التي يسكنها الشيعة في الباكستان، وهكذا يتوسع في نفوذه في منطقة الخليج في بحر فارس بين عمان والبحرين، وما والاها من المناطق التي كانت تسمى بجزيرة بني كاوان، وكل هذه الأحداث الضخمة تعبر عن حالة عظيمة تتحرّك في قيامة الخراسانيّ مما تتوج الصورة جيدًا في أنّ الخراسانيّ يتمتع في علامات الظهور في أنّ حركته تشكل جزءًا مهما في مرحلة التمهيد للظهور، بل هو المقدمة لظهور الإمام المهديّ عجل الله فرجه، كما في بعض الروايات منها التي تحدثت عن أن هذه الرايات تسلم إلى الإمام المهديّ بعدما يتغلبون على العراق الشيعي فيبعثون للمهدي البيعة، ومن تلك الروايات

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الباب 14، الصفحتان 275 و267، الحديث55.

ما جاءت في وصف هذه الحركة ما رواه السيد علي بن الحميد في كتابه سرور أهل الإيمان عن الفضيل بن يسار، عن الإمام الصادق عليه السلام وهو يتحدّث عن الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف أنّ: «**له كنزٌ بالطالقان ما هو بذهب ولا فضة**» وتكررت عبارة هذا الكنز البشري في روايات أخرى مروية عن أمير المؤمنين عليه السلام في مصادر سنّيّة أنّه قال:«**ويحًا للطالقان فإن لله عز وجل بها كنوز ليست ذهب ولا من فضة ولكن بها رجالًا عرفوا الله حق معرفته، وهم أنصار المهديّ آخر الزمان**»[1].

مثل هذه الروايات الناطقة عن هذه الحركة وبهذه التعابير تصوّر أنّ حركة الخراسانيّ من الحتميات المتقدّمة على الظهور والممهّدة له.

وإنّ هذه الحركة تشكل حلقة من حلقات التطور الاجتماعي للبشرية، ممّا يعني أن هذه الحركة ضخمة وليست حدث عابر كباقي الأحداث التي تمر بالمجتمعات الإنسانيّة، بل تُشكل المنعطف الأخير ما قبل ظهور الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، فهي الممهّدة لظهوره كما في الروايات، وفيها أنصار المهديّ آخر الزمان ما في روايات أخرى.

ونُلاحظ أنّ كون هذه الحركة في آخر الزمان فإنها تُعبرّ عن التراكم التأريخي لما يحدث سابقاً من تأريخ البشرية فتظهر نتائج ذلك التراكم في ضخامة هذه الحركة.

(1) المتّقي الهندي،كنز العمّال (لبنان- بيروت: مؤسّسة الرسالة، 1409 هـ/ 1989م)، الجزء 7، الصفحة 262.

عظمة رجال المهدي عجل الله فرجه الشريف

قد لا تكون هذه الحركة من حيث الأوضاع العسكريّة والأمنيّة تختلف بحجمها العسكريّ والأمنيّ عن أي حركة ظهرت في عمق التاريخ، لها بُعدٌ عسكريّ أو أمنيّ، بل ربما تكون القوّة العسكريّة والأمنيّة في الحركات السابقة أبرز ممّا في حركة الخراسانيّ من حيث القتل والقتال والتسلّط على البلدان، ولكن كلّ ما حدث في التاريخ هو أحداث عابرة ذهبت بذهاب التاريخ، وتركت نتائجها في حركته لتتراكم مع نتائج الأحداث الأخرى، فتؤثر بالضرورة على ما يحدث من حدث تاريخي يقع في مستقبل التاريخ البشري، وكذلك فإنّ حدث قيام قائم خراسان قد تراكمت فيه هذه النتائج التي لم تظهر على وجه الأحداث، وإنّما اكتنزتها في داخلها المجتمعات التي حفظت نتائج تلك الأحداث التاريخيّة؛ وتعبّر الرواية أن بالطالقان كنز ما هو بذهب أو فضة، فإنّ عبارة (كنز) تدل على أنّ هذه القوة الخراسانيّة إنّما هي كنز نتج من بقائه التاريخي مع مرور الزمن غير مكتشف ولم يستفاد من ثرواته الذاتيّة والبشرية تتكامل وتتطوّر لتكون مُعدّة ليوم التمهيد، فيشاركون في يوم الظهور وهو يوم الله الأكبر، ويكونون جزءًا مهمًّا من ذلك المجتمع، وتلك القوة التي تتحرّك مع الإمام، كما في خبر السيد علي بن السيد عبد الحميد في كتابه سرور أهل الإيمان في الرواية المروية عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال: بعد أن ذكر كنز الطالقان وهو يصف حركة المولى عجل الله فرجه الشريف وما ادّخره الله له من الخصوصيات الكونية عدّ كنز طالقان أول تلك الخصوصية، ثم بعد

ذلك ذكر الراية الغيبيّة الكونيّة التي كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وآله في بدر، ونشرها أمير المؤمنين عليه السلام في الجمل، ثم طواها، ولم ينشرها لأنّها سوف تنشر في آخر الزمان بيد القائم عليه السلام، وهي من ذخائر المهديّ الكونية: «**وراية لم تُنشر منذ كان طويت**».

وهكذا يكون الكنز الأعظم في الرجال، ومنهم أهل خراسان ومناطق نفوذه الذين يتحركّون بتلك القيامة الممهّدة، ويتّصف هؤلاء الرجال الميامين قادة التغيير بصفات تتناسب مع المعركة والمهمّة التي أمامهم، فيقول الصادق عليه السلام:

«**ورجال كأنّ قلوبهم زبر الحديد لا يشوبها شك في ذات الله أشد من الحجر، لو حملوا على الجبال لأزالوها، لا يقصدون برياتهم بلدة إلا خرّبوها، كأنّ على خيولهم العقبان يتمسّحون بسرج الإمام عليه السلام، يطلبون بذلك البركة، ويحفوّن به، يقونه بأنفسهم في الحروب، ويكفونه ما يريد فيهم، رجال لا ينامون الليل، لهم دويّ في صلاتهم كدويّ النحل، يبيتون قيامًا على أطرافهم، يصبحون على خيولهم، رهبان بالليّل، ليوث بالنهار، هم أطوع له من الأمة لسيدّها، كالمصابيح كأن قلوبهم القناديل، وهم من خشية الله مشفقون، يدعون بالشهادة، ويتمنون أن يقتلوا في سبيل، الله شعارهم: يا لثارات الحسين، إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر، يمشون إلى المولى إرسالًا؛ بهم ينصر الله إمام الحق**»[1].

(1) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء 52، تاريخ الإمام الثاني عشر باب يوم خروجه وما يحدث عنده، الصفحة 308، الحديث 82.

تتحدث هذه الرواية عن عظمة هؤلاء الرجال فهي وإن كانت قد وردت بخصوص رجال المهديّ عجل الله فرجه، ولكننا نعلم أن الرجال لا يصنعون في ليلة وضحاها إنّما يصنعون في ساعات الزمن، وأيامه، وشهوره، وسننه، وهذا يقتضي وقتًا خارج وقت الظهور وهو الوقت الذي يقوم به الخراسانيّ حيث تكون في قيامته مهمّة صناعة الرجال الذين يكونون مع المهديّ عجل الله فرجه.

قيامة الخراسانيّ بداية معالم الظهور

ومن المعلوم أنّ هذه الصناعة هي من أشرف الصناعات في عالم التكوين، فلذلك نسبها الحق تبارك وتعالى إلى نفسه في صناعة نبيّه (ولتصنع على عيني). ومن معالم هذه المرحلة الممهّدة التي يظهر فيها الخراسانيّ النقاط التالية:

1 - أنّها مرحلة مهمة جدًا في التاريخ البشري وقد سميناها بمرحلة قيامة (القائم بخراسان)، واستفدنا لاستخدام هذا الاصطلاح من الرواية الشريفة التي وصفت حركة الخراسانيّ بهذا الوصف عندما قال عليه السلام (إذا قام القائم بخراسان)[1].

ربما تكون عبارة القيامة غريبة عن ذهن القارئ أو السامع لأنّها تنسبق إلى اصطلاح القيامة يوم الدين، ولكن كلمة قيامة باللغة العربية إنّما هي من أسماء القيام ومشتقّة منه، والقيامة لفظ يصلح أن يكون اسم زمان، كما يصلح أن يكون اسم مكان؛ وسمي يوم الدين بيوم القيامة

(1) سورة طه، الآية 39.

لعظمة وضخامة أحداثه بما لا يسبقه من أحداث، وفيها تظهر قهّارية الله الذي تتجلّى في شهود الخلق غناه، وشهود الخلق فقرهم، عندما يقول الله تعالى لهم جميعًا «**لمن الملك اليوم**» فيجيبونه جميعًا وبلغة التكوين «**لله الواحد القهار**»[1].

ولكن ليس في هذه الحقيقة منع من ظهور قهاريته تبارك وتعالى بتجلّي مرتبة أدنى بكثير من تلك المراتب بإسم من أسمائه عزّ وجلّ في يوم من أيامه في هذه الحياة الدنيا، ولذلك فقد ورد في الحديث الشريف في شرح أيام الله تعالى، أنّها ثلاثة أيام، أوّلها يوم القائم، وثانيها يوم الكرّة وهي الرجعة، وثالثها يوم الدين القيام لربّ العالمين[2]؛ وكانت أيام الخراسانيّ بطولها التي اكتنزت كنوز وذخائر أعمال الأنبياء والأوصياء هي مقدمة الجزء، والجزء الذي لا يتجزأ من بدايات قيامة القائم، وفي قيامة القائم تقوم في نهايتها قيامة الرجعة، كما أنّ الرجعة مقدّمة لقيامة يوم الدين، ولا يمكننا أن نتصور انفكاك القيامات بعضها من بعض؛ وإنّما هي وحدة متكاملة في الوجود الواحد، وقد برهن عليه في الفلسفة أنّ الواحد لا يصدر منه إلا واحد، فالعمل والفعل الذي يصدر من الواحد واحد، وإن تكاثر بتجلياته، فالاختلاف هو في التجليات مع وحدة الفعل،

(1) سورة غافر، الآية 16 من: چ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ چ.

(2) فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: أنّ أيام الله ثلاثة: يوم القائم، ويوم الكرة، ويوم القيامة) ورواه الصدوق رئيس المحدثين في كتابه الخصال الصفحة 108، الحديث 75. وفي كتابه الآخر: معاني الأخبار الصفحة 365 الحديث 1، مختصر بصائر الدرجات الصفحة 18. وفي: الصراط المستقيم، للبياضي، الجزء 2، الصفحة 264.

ولذلك فنحن نعيش في الحياة الدنيا، ونصنع قيامتنا بفعلنا من شر ومن خير، وهو ما تعبر عنه الروايات الشريفة المتواترة معنى في أنّ من فعل كذا فله في الجنة كذا؛ وإن كان من فعل الحسن له كذا وكذا ومن فعل كذا وكان من فعل القبيح فإنّه يكون له في جهنم كذا وكذا، فإننا نصنع آخرتنا القياميّة في دنيانا بأعمالنا، وهو ما يعبر عنه بقيامة الأعمال البرزخية التي تحيط بنا ولا نراها حقيقة إلا بعد الموت، والمشار إليها بقول النبيّ المرويّ عنه؛ (مَنْ مات فقد قامت قيامته)[1] حيث تكشف له الحُجب التي تمنع عن مشاهدة الآخرة البرزخيّة ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾[2]. جاء في وصف جهنم الأعمال البرزخيّة الآية الكريمة التي تتحدث عن جهنم الكافرين البرزخيّة بقوله تعالى ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3] فهم يعيشون في جهنم دون أن يكتووا بنارها بسبب أن النار قد حجبت عنهم لاختلاف النشأتين الدنيويّة والبرزخيّة.

فالقيامة التي يصطلح عليها قيامة تخصّ كل زمن تاريخي ضخم يكون فاصلًا في تاريخ البشرية معدًّا له من قبل الله عزّ وجل وهو ما يصدق على حركة الخراسانيّ حيث تبتدئ معالم ظهور قيامة القائم بقيام الخراسانيّ.

(1) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء 58، الصفحة 7. كنز العمال، المتقي الهندي، الجزء 15، الصفحة 548، الرقم 42123. وفي: تخرج الإحاديث والآثار، الزيلعي، الجزء 1، الصفحة 436، الرقم، 445 (الحديث الرابع).

(2) سورة ق، الآية 22.

(3) سورة التوبة، الآية 49.

2 - إنّ قيامة قائم خراسان غامضة المعالم المستقبليّة لكثرة ما تفرزه من أحداث مؤثرة على مستقبل التطور الاجتماعي البشري، ولهذا فقد وجدنا الروايات التي تحدّثت عن هذه القيامة جاءت بأسلوب الكناية والرمز، وليست على نحو التصريح، وإنّما كانت مشفّرة، وبأسلوب التلميح؛ فمرة يعبَّر عنها بقوله عليه السلام «**إذا قام القائم بخراسان وغلب على أهل كوفان وملتان وجاز جزيرة بني كاوان وقام منا قائم بجيلان وأجابته الأبر والديلمان**»، ومرة يقول عليه السلام: «**إذا جهزت الألوف وصفت الصفوف وقتل الكبش الخروف هناك يقوم الأخر ويثور الثائر ويهلك الكافر**».

كل واحدة من هذه الألفاظ تعبر عن رموز غير واضحة الدلالة بشكل أوليّ وتحتاج إلى الزمن التاريخي ليفسرها بما يحدث بعد في قيامة قائم خراسان، فإنّها كلّها أحداث مرتبطة بعضها ببعض، معتمدة على البداية، وهي قيامة القائم الخراسانيّ؛ وهذا الغموض متعمد في الروايات، ولم يكن بسبب مراعاة السجع، فليس الأئمة عليهم السلام كهنة سجاعون، وإنّما ينطقون عن النبي الذي لا ينطق عن الهوى وإن هو إلا وحي يوحى، وكل غرض يستخدمونه بأساليب الكلام فهو غرض بلاغي حكيم. وعليه فإنّ التعابير في هذه الروايات لم تكن بلا غرض، وليست هي منساقة إلى التكلّف باختيار المتشابهات للسجع والتمويه وإنّما المقصود منها -والله تعالى العالم- أنّ تلك المرحلة الزمنيّة بقيامة قائم خراسان تعتبر من المراحل الغامضة من تاريخ البشرية، لا يدركها إلا من رزقة الله تعالى

المعرفة، بل ولا يدرك حقيقتها كثير من معاصريها كمن يعيش بالدنيا وهو يعيش بالآخرة في نفس الوقت لما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي قال: «**الناس نيّام فإذا ماتوا انتبهوا**»[1]. وتعبيره عن حالة معرفة الناس بحقيقة دنياهم أنّهم نائمون عنها ولا يحسّون بحقيقة ما هم فيه من الحياة الدنيويّة إلا بعد الموت، مثلهم كمثل النائم لا يحسّ بحقيقة ما هو عليه من الشعور بالحياة إلا بعد أن ينتبه من نومته.

3 - أن حدود حركة الخراسانيّ لا تحدّ بجغرافيا معيّنة ضيقة بمقدار حكومته وسلطنته، وقد وجدنا أن التعبير بامتداد نفوذه خارج منطقة حكمه قد استخدمت كلمة (غلب)، وكلمة غلب على الأماكن تستخدم عادة إلى التغلّب بالسلطنة وهو معنى امتداد النفوذ بالمصطلح السياسيّ المعاصر.

والغريب فيما وجدناه في هذه الرواية الشريفة أنها تحدّد البلدان على أساس الجغرافيا المعاصرة لا على أساس المدن القريبة بعضها من بعض في جغرافيا عصر النصّ الشريف، فهنا ذكرت خراسان، وقد قام الخراسانيّ في تلك المنطقة، ورمز لخراسان عن إيران المعاصرة، واستخدمت كلمة أقامها يعني ثبتت أركان سلطته بكلّ معنى الكلمة. وهذا القيام يختلف عن باقي الدول باعتبار أنّ سلطته في بلاد خراسان سلطة

(1) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء50، الصفحة 134. فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمنادي، الجزء 5، الصفحة 72. وفي: كشف الخفا للعجلوني، الجزء 2، الصفحة 312. وفي: المناقب للخوارزمي، الصفحة 375. وفي: الصواعق المحرقة، للهيثمي، الصفحة129.

مطلقة، بينما تكون سلطته في البلاد الأخرى سلطة غلبة، ومعنى الغلبة وجود قوة أخرى غيره، ولكن قوته أنفذ وأكثر سلطة عن تلك القوى التي تسيطر على تلك البلاد، أو لعلّه تقوم في تلك البلاد، وهو ما يستفاد من كلمة (غَلَبَ) والتي تميزت عن كلمة (قام) باعتبار أنّ كلمة (قام) تعبر عن مقدار سلطته في تلك البلاد وهي سلطنة قياميّة، بينما تكون سلطته في بلاد نفوذه إنّما هي سلطة غلبيّة.

والغريب ما وجدناه من التعبير عن سلطان الغلبة للخراسانيّ في الكوفة أو الكوفان بدون ذكر المدن الأخرى كالزوراء وواسط والبصرة، وهي أسماء كانت موجوده في زمان الأئمة عليهم السلام، أو كان يمكن أن يستفاد منها للحديث عن أمور الغيب، إلا أنّنا وجدنا أن النص اكتفى بكلمة الكوفة أو كوفان؛ لأنّه لم يكن المقصود من هذا التعبير هو المدن التي سوف يتغلب عليها الخراسانيّ أو يغلبها؛ وإنّما المقصود منها هو الجامع المشترك فيما بينها وهو العراق الشيعي المسمى بكوفان. وهكذا الأمر بالنسبة إلى الخليج، أو مناطق نفوذه، فلقد استخدمت كلمة (وجاز جزيرة بني كاوان) وهو يشمل العلاقة الإيجابيّة بينه وبين السلطات الحاكمة لتلك المناطق، وهي أدنى بكثير من مرتبة الغلبة، ولكنّها لا تخرج عن معنى من معاني بسط النفوذ.

4 - وقد وجدنا هذه الروايات تربط بين الخراسانيّ وأحداث في الدنيا قد تكون ضمن دائرة نفوذه، كما قد تكون في خارج منطقة نفوذه مثل ما يحدث لمصر وما يحدث في الأقطار والجنبات، وتجهيز الألوف،

وصفّ الصفوف، وقتل الكبش الخروف، وكلّ هذه الأحداث وغيرها سوف تحدث مشروطة بتحقق قيام القائم بخراسان، وهي المقدمة التي يكون بعدها ظهور المولى، فتقول الرواية: «**ثم يقوم القائم المأمول**». وقد وجدنا وحدة الترابط بينها جميعًا في العلاقة بين البداية والنهاية، فهي وحدة منسجمة كمنظومة الخرز يأتي بعضها بعد بعض.

5 - إنّ الروايات التي تحدثت عن الخراسانيّ ذكرت مهمّته التاريخيّة في أرض العراق عندما يجابه الأخطار الكبيرة شيعة العراق، فيأتي لمساعدتهم ونجدتهم في مجابهة السفيانيّ وهي الدخلة العسكرية الضخمة الحاسمة التي تجعله إحدى القوى الثلاث الموجودة في النجف الأشرف بالإضافة إلى القوتين الأخريتين؛ وهي ما ذكر في الأخبار: إن الإمام المهديّ عجل الله فرجه يأتي إلى الكوفة وعليها ثلاث رايات قد اضطربت، وإحدى هذه الرايات الثلاث هي راية تنقل الحركة الخراسانيّة من حالة النفوذ إلى حالة الوجود العسكريّ الكبير بعد أن ينتهي أمر السفيانيّ في الكوفة.

وقد ذكرت الروايات أنّ الخراسانيّ يبعث بالبيعة إلى الإمام المهديّ عجل الله فرجه؛ ومعنى هذا أن الخراسانيّ هو القوة الموالية تمامًا للمهدي عجل الله فرجه، وقد سكتت الروايات عن القوتين الأخريتين ولم نتحدث عن موقفهما من الإمام عجل الله فرجه، ممّا يولد احتمال أن يكون موقفها إما متردّد أو معارض لا قدّر الله تعالى، خصوصًا مع وجود رواية تقول: إنّ المهديّ عجل الله فرجه

يأتي إلى ظهر الكوفة فيخرج له قوم يطلبون منه العودة، لأنّ الدنيا بخير: فارجع يا بن فاطمة؛ فهم يعلمون أنه من ذرية الزهراء سلام الله عليها، ولكنهم يرفضون التعاون معه، أو الانصياع لأمره، فينصحهم وتكون النتيجة الغلبة له عليهم بوجه من الوجوه إمّا أمنيًا وإمّا عسكريًا.

ويكون الخراسانيّ في العراق بموقف موسّع عليه، غير خائض بتفاصيل الحكم فيه، ولذلك فهو مرتاح من متطلبات الحكم، ووجوده مفيد للشعب (سكان المنطقة)، ولم نجد في الرويات ذكر مشاكل له مع هذا الشعب، لأنّه لم يكن غازيًا، ممّا يؤهّله أن يتعامل مع سكان هذه المنطقة تعاملًا إيجابيًّا بمحبّة، ولذلك لم نجد حديثًا عن الخراسانيّ بما يتعلّق بالناس كما هو الحديث عن السفيانيّ.

ومن هنا سوف يبدأ الحديث عن الخراسانيّ وعلاقته بالإمام المهديّ، وهل هو الحسنيّ أو الحسينيّ الذي يكون الأول ممّن يلتقي الإمام المهديّ في طريقه الى العراق كما يرى هذه القضية بعض الكتاب والمؤلفين، أم هو شخص آخر باعتبار أنّه الحسيني وهما غير الخراسانيّ فهنا آراء ثلاث:

الأول: أنّ الثلاثة واحد وقد وقع تصحيف بين الحسني والحسيني ولا يوجد أكثر من الحسني وهو الخراسانيّ.

الثاني: أنّ التصحيف قد وقع في الحسني فلا يوجد إلا الحسيني والحسيني هو غير الخراسانيّ.

الثالث: أن الحسني شخصية مستقلّة عنهما أي الحسيني والخراسانيّ وهو الذي سوف يلتقي بالإمام في طريقه إلى العراق.

ولسنا الآن بصدد حسم القضية لأنّها لا تدخل تحت عنوان علامات الظهور، وإنّما هي جزء عن الحديث عن مسيرة الظهور، وإن كنّا نرى أنّ الخراسانيّ لا يلتقي بالإمام عليه السلام، وإنّما يكتفي ببعث البيعة له وينتظر تشريفه إلى الكوفة ليقوم بوظيفته في نصرته.

سنرى أيضًا أنّ الخراسانيّ لا يشتبك مع السفيانيّ بحرب لأنّه عندما يصل جيشه إلى الكوفة يكون السفيانيّ قد فرَّ منها، وهرب إلى دمشق، وقد قتل هو أو قادة الجيش الذي بعثه إلى العراق على يد اليمانيّ، لأنّ اليمانيّ يكون قد سبقه إلى العراق.

وبهذا تتم حلقة البحث عن الخراسانيّ قبل الظهور، ويبقى الحديث عن الخراسانيّ بعد الظهور عندما يكون الكلام قد وصل إلى خريطة مسيرة الإمام في تحريره العراق.

المبحث الثاني:

شعيب بن صالح

ورد في جملة من الروايات الشيعيّة والسّنّية اسم رجل يتحرّك ضمن حركة الخراسانيّ بعنوان شعيب بن صالح، وقد وجدنا الروايات التي تحدّثت عن هذه الشخصية مختلفة فيما بينها؛ فبينما نجد شعيب بن صالح في بعض الروايات الشيعيّة قد تكوّنت عنه صورة غامضة بحدود حركته ضمن حركة الخراسانيّ، وجدنا في بعضها أن اسم شعيب بن صالح استعيض به عن اسم الخراسانيّ، كما هو في الرواية التي رواها النعماني في غيبته بسنده عن أبي نصر البيزنطي عن الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، أنّه قال: «**قبل هذا الأمر السفيانيّ، واليمانيّ، والمرواني، وشعيب بن صالح**»[1].

ونجد في الروايات السّنّية أنّ هناك تفاصيل كثيرة نسبيًّا عن شعيب بن صالح، ممّا يجعلنا نتصوّر أنّ شعيب بن صالح شخصين وليس هو شخصٌ واحد؛ فإمّا أن نترك الروايات السّنّية بتفاصيلها التي تختلف عمّا جاء في الروايات الشيعيّة كما هو منهجنا في تمحيص روايات الغيبة، فإنّنا لا نعمل بروايات العامّة إذا تعارضت مع روايات الخاصة أو انفردت

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 253، الباب 14، الحديث 12.

بأشياء لم تُذكر في روايات الخاصة ولا يوجد ما يؤيدها في رواياتنا، وإمّا أن يفسر بعض ما وجد في رواياتنا؛ وللمثال: فإنّ بعض روايات العامّة في تفاصيلها عن شعيب بن صالح وخروجه مختفيًا إلى بيت المقدس يوطئ للمهدي منزله إذا بلغه خروجه إلى الشام، وهذه رواية مُنكرة لا يمكن قبولها لأنّها تتعارض مع ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام ـ على فرض ثبوتها وصحة سندها أنّ شعيب بن صالح يكون مع الخراسانيّ وإنّه بنفسه لا يمهد للإمام المهديّ عجل الله فرجه.

وربما نجد في بعض الأحيان في روايات السّنّة تشابه ما عندنا من أحداث يمر بها شعيب بن صالح فيختلط علينا الإجمال بالتفصيل، ولهذا يلزمنا المنهج العلمي أن نذكر الشخصية في كل نوع من نوعي الروايات بشكل مستقل، ثم بعد أن نكوّن صورة واضحة عن هذه الشخصية في الروايات السنّية على حدة وفي الروايات الشيعيّة بشكل مستقل أيضًا نقارن بين النوعين من الروايات، وما هو موجود في كل واحد منهما، ليتضح مقدار الاشتراك، وما يمكننا أن نستفيد من روايات السّنّة بما نظيفه على ما هو موجود في روايات الشيعة بما يسمح به المنهج العلمي الذي أشرنا إليه قبل قليل في السطور الأولى من هذا العنوان.

شعيب بن صالح في روايات كتب الشيعة

لم نجد في الروايات الشيعيّة ذكر كثير عن شعيب ابن صالح الذي يكون في آخر الزمان، إمّا مع المهديّ أو مع الخراسانيّ كما هو موجود في الروايات السّنّية؛ وانحصرت رواياتنا الشيعيّة في كتبنا بعدة أشياء عن

شعيب بن صالح لم تكن بالوضوح الذي تحدّثت به روايات السّنّة. والملفت أن الشيخ الطوسي روى في كتابه الشريف الغيبة روايتين عن شعيب بن صالح فقط، وهما بإسناد عامّي غير شيعي، كما أنّ إحدى الروايتين منهما مرسلة. ووجدنا أنّ بعض ما هو موجود في مصادرنا عن شعيب مرويّ بسند عامّي أيضًا كما هو في بعض روايات غيبة النعمانيّ.

وكما هو ديدننا في تمحيص الأخبار، فإنّنا لا نعتمد على ما كتبه الشيعة في كتبهم عن شعيب بن صالح، ولم تُعَدّ تلك الكتب من المصادر وحتى لو كان أصحابها من العظماء الأجلاء، ولكنهم قد نقلوا في كتبهم تلك ما هو موجود في المصادر الأساسيّة، كغيبة الشيخ الطوسي، وغيبة الشيخ النعماني، وكلّ ما قاموا به في تلك الروايات، أنهم جمعوا بين تلك الروايات الموجودة في المصادر الشيعيّة وبين ما وجدناه في الملاحم والفتن للسيد ابن طاووس الذي نقل مافيه عن كتب السنة. وربما راجع بعضهم كتاب الفتن لابن حمّاد مباشرةً دون واسطة كتاب الملاحم للسيد ابن طاووس.

وما فعلوه من الجمع وتكوين صورة واحدة عن شعيب بن صالح إنّما هو عمل لا يتصالح مع منهجنا العلميّ في هذا الباب. فقد تكون روايات الشيعة تحدّثت عن غير الشخصيّة التي تحدثت عنها روايات السّنّة، فهما شخصيتان متغايرتان وإن اتّحدتا بالاسم. حينئذٍ لا يمكن الجمع بين الروايات باعتبارها تتحدث عن شخصيّة واحدة. وهذا ما سوف يتوضح عندما نستقرئ في هذا المقال جميع الروايات التي ذكرت في مصادر الطرفين.

شعيب بن صالح من علامات الظهور

روى النعماني في كتابه الغيبة بسند معتبر على الظاهر [1] عن الإمام

(1) (لوقوع علي بن عاصم فيه) فإنه لم يُذكر فيه توثيق خاص ولم يقع في التوثيقات العامة، لكنّه روى عنه الشيخ الصدوق في كتابه كمال الدين باب 49 الحديث1 عن علي بن الحسن الدقاق وإبراهيم بن محمد، قالا: سمعنا علي بن عاصم الكوفي يقول خرج في توقيعات صاحب الزمان عليه السلام: ملعون ملعون من سماني في محفل من الناس.

ولازم رواية الصدوق للتوقيع قبول روايته خصوصًا أنّ هذه الرواية من أهم الروايات التي استدل بها الفقهاء المانعون لذكر اسمه الشريف في محفل من الناس، ومن جملتهم السيد الداماد رضوان الله عليه.

وفي كشكول الفقيه الشيخ يوسف البحراني قدس سره مجلد1 الصفحتان180 ـ181 في رسالة أبي غالب الزراري إلى ابن ابنه إلى أن قال فيها أبو غالب الزراري:

وكان جدنا الأدنى الحسن بن الجهم من خواص سيدنا مولانا أبي الحسن الرضا عليه السلام وله كتاب معروف قد رويته عن أبي عبد الله أحمد بن محمد العاصمي لأنه كان ابن أخت علي بن عاصم (رحمه الله)، وكان علي بن عاصم شيخ الشيعة في وقته، ومات في حبس المُعتضد وكان حُمِلَ إلى الكوفة في جمع من أصحابه فجُلّس من في المطامير، فمات على سبيل ما، وأُطلقَ الباقون، وكان سعى به رجلٌ يُدق بابن أبي الدواب... إلخ مما قاله الشيخ الزراري رضوان الله تعالى عليه.

فالرجل من شيوخ الشيعة وهو في أعلى مراتب الحسن إن لم نقل أن تعبيره (بشيخ الشيعة) من مراتب التوثيق. وما ذكره بعضهم بأنّه رجلٌ من العامّة مُرمى بالتشيع عندهم فهو ناتج من قلة تتبع، وقلة تحقيق؛ فإمّا نقول بوحدة هذين الرجلين وما هو مذكور في كتب العامة متحامل عليه كما أنّهم غلطوا في تاريخ وفاته حيث أنهم ذكروا في واسط سنة إحدى ومئتين في خلافة المأمون؛ أو نقول بالتعدد وهو الصحيح لأنّ علي بن عاصم هو الذي يروي التواقيع ويفترض به أن يكون قد عاش الى زمن الغيبة الصغرى سنة 260 للهجري وإن إختار سيدنا الأستاذ في المعجم الجزء 13 الصفحة71 التعدد واعتبر أنّ اتّحاده الذي حكاه عن الميرزا في الوسيط (خيال فاسد) حيث قال: «فإن ذاك على ماذكرناه يقصد ابن حجر في التقريب والذهبي في كتابه مات سنة 201 هجري، وهذا روى عن الجواد عليه السلام وبقي إلى زمان الغيبة على ما عرفت».

أقول ولا مانع بأن يطول عمر الراوي فيروي عن الجواد ويروي ما في الغيبة خصوصًا أنه قد وقع في الرواية عنه ما رواه الشيخ النعماني محمد بن إبراهيم عن شيخه محمد بن همام عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام فيكون الخطأ في توقيت وفاته بسنة 201 هجري وهذا الفارق بالعمر ليس كبير حتى نقول بأنّه لا يمكن أن يعيش من يكون من أصحاب الجواد عليه السلام ويروي توقيع صاحب الزمان عليه السلام وأما نسبة الخطأ الى أولئك المترجمين له من العامة فهو بالإضافة إلى كونه ممكن فهو واقع كثيرًا خصوصًا أنّهم لم يعاصروه وإنّما رووا ذلك بالواسطة أو بالإرسال.

الرضا أنّه قال: «**قبل هذا، السفيانيّ، واليمانيّ، والمرواني، وشعيب بن صالح**».

وفي بعض النسخ زيادة وكفٌ تقول هذا هذا غيبة النعماني[1]. كما في إثبات الهداة للحرّ العاملي الجزء 3، الصفحة 735، باب34، فقرة 9، الحديث97.

وقد روى هذه الرواية الشيخ الطبري الشيعي، عن الشيخ محمّد بن هارون، عن أبيه عن الشيخ محمّد بن همّام عن جعفر بن محمّد بن مالك الغزاري عن عبد الله بن محمد بن خالد التميمي، قال: حدثني أبي عن ابن أبي عمير، عن أيوب عن عمر بن حنظلة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قبل القائم عليه السلام خمس علامات: السفيانيّ، واليمانيّ، والمرواني، وشعيب بن صالح، وكفٌ تقول هذا هذا**»[2].

وقد ذكر محقق الكتاب أن الغزاري قد وقع من إسناد نسخة دلائل الإمامة وثبتها في غيبة النعماني. وروى الطوسي مُرسلًا عن حذلم بن بشير قال: قلت لعلي بن الحسين عليه السلام: «**صف لي خروج المهديّ وعرّفني دلائله وعلاماته؟ فقال: يكون قبل خروجه خروج رجل يقال له عوف السلميّ بأرض الجزيرة، ويكون مأواه تكريت وقتله بمسجد دمشق ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند ثمّ يخرج السفيانيّ الملعون من الوادي اليابس وهو من ولد عتبه بن أبي سفيان، فإذا ظهر السفيانيّ اختفى المهديّ ثم يخرج بعد ذلك**»[3]

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الباب 14، الحديث 12.

(2) الطبري، دلائل الإمامة (قم: مؤسّسة البعثة، الطبعة 1، 1413هـ)، الصفحة 487، الحديث486.

(3) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحتان 443 و444، الحديث 437.

ومن الواضح أن هذه الأخبار لاتدل على أكثر من كون خروج شخص أو شخصية أو ظاهرة تحت عنوان (شعيب بن صالح) تُلازم ظاهرة الظهور ولا علاقة له-حسب هذه الأخبار- بالخراساني.

وقد وجدنا أن هذين الخبرين أو الأخبار الثلاثة (إذا إعتبرنا خبر النعماني هو غير الطبري الشيعي، ولكن من الواضح أنهما خبرٌ واحد) في كل واحد منها دلالاتٌ زائدة عن الآخر لا يُمكن نسبتها إلى الجميع فمثلاً في خبر الإمام الرضا عليه السلام ؛ أنه يأتي شعيب بن صالح في ضمن الظواهر التي تكون قبل هذا الأمر فما هو المقصود من عبارة قبل هذا الأمر؟

هل يكون المقصود منه قبل ظهور الإمام المهديّ عجل الله فرجه؟ وحينئذٍ سوف تكون ظاهرة شعيب بن صالح من الظواهر التي تظهر قبل ظهور الإمام المهديّ عجل الله فرجه.

أو أن يكون المقصود من عبارة (قبل هذا الأمر) أي قبل قيام دولتهم بعدما يظهر عجل الله فرجه، ويأخذ البيعة، وتبدأ دولته، بالسلطنة ممّا يعني أن ظاهرة شعيب بن صالح سوف تكون بدولته، وليس قبل قيام دولته.

ويتفق مع هذا التفسير ما روي من الأخبار بأنّ المهديّ عجل الله فرجه إذا قام يكون شعيب بن صالح على مقدمته. فقد روى الصدوق بإسناده عن علي بن عاصم عن الإمام الجواد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الحسين بن عليّ قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أُبي بن كعب فقال رسول الله: مرحبًا

بك يا أبا عبد الله؛ يا زين السموات والأرض، فقال له أُبي: وكيف يكون يا رسول الله زين السموات والأرض أحد غيرك؟ فأجابه النبي بجوابٍ طويل إلى أن قال له: يخرج -وهو يتحدث عن الإمام المهديّ- وجبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وشعيب بن صالح على مقدمته»[1].

وفي بعض النسخ: «**وشعيبٌ وصالح على مُقدَّمته**» كما سوف تأتي الإشارة إليه إن شاء الله تعالى.

وروى هذه الرواية الشيخ الصدوق في كتابه الآخر **عيون أخبار الرضا** وقد سقط من النسخة المطبوعة شعيب بن صالح، بينما رواه القطب الراوندي في **الخرائج** الجزء 2 الصفحة551 عن الشيخ الصدوق أيضًا وفيه: «**يخرج وجبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وشعيب بن صالح على مُقدمته**» ولم يذكر من أيّ كتابيّ الشيخ الصدوق قد نقله.

وقد روى القطب الراونديّ عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الحسين عليه السلام، مقطعًا من هذه الرواية وهو المتعلّق بالإمام المهديّ عجل الله فرجه فقال: «**فيخرج وجبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله وشعيب بن صالح على مقدمته إن شاء الله تعالى**»[2].

(1) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة (قم: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، 1405هـ)، الصفحة 268، الباب24، الحديث 11.

(2) القطب الراوندي، الخرائج والجرائح (قم: مؤسّسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، الطبعة 1، 1409هـ)، الجزء 3، الصفحة 1167.

وكذلك نقله الشيخ البياضي في كتابه **الصراط المستقيم** عن ابن بابويه أيضًا وفيه: «**يخرج وجبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وشعيب بن صالح على مقدمته**».

ويظهر أنّ الشيخ المجلسي نقل الرواية في **البحار** الجزء 36، الصفحة 204 عن **كتاب عيون أخبار الرضا**، فلم نجد عبارة شعيب بن صالح موجودة مع أنّه قد ذكر في الرمز الكتابين؛ **كمال الدين**، و**عيون أخبار الرضا**؛ وهي طبيعة قد صدرت منه رضوان الله عليه في مواطن كثيرة إما بسبب السهو من النسّاخ أو تسامحه رضوان الله عليه.

وكذلك في أعلام الورى للطبرسيّ ورد: «**وشعيب بن صالح على مقدمته**»[1].

وفي مصادر ومراجع كثيرة ذُكر فيها شعيب بن صالح في مقدمة الإمام المهديّ عليه السلام، ممّا يعني أنّ هذا الاسم سيكون له دور في دولة الإمام وهو دورٌ يساوق دور جبرائيل وميكائيل؛ وهذا يعني أنّ دور شعيب بن صالح فوق مستوى البشر، ولايتأتّى ذلك إلا أن يكون اسم لكائن آخر غير بشري فيكون ملكاً من الملائكة بنسق واحد مع جبرائيل وميكائيل. كما قد يكون هو النبيّ الذي بعثه الله إلى مدين، ولكنّه لم يثبت لدينا إنّ اسم أبي شعيب النبي هو صالح؛ نعم ورد في رواية رواها القطب الراوندي وغيره عن الشيخ الصدوق بإسناده عن سهل بن سعيد قال: بعثني هشام بن عبد

(1) الطبرسيّ، أعلام الورى (قم: مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة1، 1417هـ) الجزء 2، الصفحة 190.

الملك أستخرج له بئرًا في رصافة عبد الملك فحفرنا منها مئتي قامة، ثمَّ بدت لنا جمجمة رجل طويل، فحفرنا ما حولها فإذا رجل قائم على صخرة عظيمة عليه ثياب بيض، وإذا كفه اليمنى على رأسه على موضع خربة رأسه، فكنّا إذا نحّينا يده عن رأسه سالت الدّماء، وإذا تركناها عادت فسدّت الجرح، وإذا في ثوبه مكتوب: أنا شعيب بن صالح رسول رسول الله شعيب النبي عليه السلام إلى قومه، فضربوني، وأضرّوا بي، طرحوني في هذا الجب، وهالوا عليّ التراب. فكتبنا إلى هشام بما رأيناه، فكتب: أعيدوا عليه التراب كما كان واحتفروا في مكان آخر».

تنصّ هذه الرواية على أنَّ شعيب بن صالح هنا هو رسول رسول الله شعيب، وليس هو شعيب النبي.

وقد ذُكِرَ في بعض كتب التفسير أنّ شعيب هو ابن توبة بن مِدَين بن إبراهيم؛ نقله الشيخ الطبرسي عن عطاء. وقال قتادة هو شعيب بن بويب وقال ابن اسحاق: هو شعيب بن ميكيل بن يشجب بن مدين بن إبراهيم[1].

وفي تفسير روض الجنان للشيخ أبو الفتوح الرازي الجزء 8 الصفحة 293 ذكر عِوضَ شعيب بن ميكل بن شعيب؛ شعيب (إنّ اسمه بالسريانية يشروب) ومعنى هذا أنّه لم يكن شعيب النبي هو المقصود، إلا اللهمّ إذا قلنا بأنّ اسم أبي صالح ورددنا ما قاله المفسرون في أسماء أبيه وإن لم يقال من قبل بأنَّ اسم أبي شعيب هو صالح. وكان الأوْلى لِمن اختار تفسير

(1) الطبرسيّ، تفسير مجمع البيان (لبنان- بيروت: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة1، 1415 هـ/ 1995م)، الجزء 4، الصفحة 303.

شعيب بن صالح الذي يظهر مع الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف أن يقول أنّه رسول رسول النبيّ شُعيب، وليس هو النبي ثمَّ يستشهد له بالقصّة الآنفة الذكر حتى يكون الانسجام بين المُدّعى والشاهد له.

ولكن هذا المُسمّى بشعيب بن صالح والمجهول الحال لا يتناسب مع ما هو مذكور في الرواية الشريفة، وقد اقترن اسمه بجبرائيل وميكائيل، ولا تصلح القصّة المتقدّمة لإعطاء شرح زائد على شخصيّته، فإنّ بقاء جسمه ليست بالمعجزة الخارقة، فإنّ هناك كثير من الصالحين بقيت أجسامهم آلاف السنين على حالها، وما قصّة الحرّ الرياحيّ الذي استشهد بين يدي الحسين عليه السلام ببعيدة زمن عنّا، حيث اكتشف الملك الإيراني ناصر الدين شاه القاجاري جسمه الشريف وهو لم يتأثر بعوامل الزمن والطبيعة، وعندما فتح العُصابة التي عصّبه بها الحسين عليه السلام، جرى الدم من جرحه ولم ينقطع إلا بعد أن أرجعها مرة ثانية. فضلًا عن أنّ في القصة مشاكل متعدّدة من جملتها:

أنها قصّة وليست رواية عن معصوم؛ والخلل الذي فيها أنّ هناك رواية تذكر أن هذا الذي وجدوه لم يكن اسمه شعيب بن صالح وإنّما هو إسمه حسان بن سنان الأوزاعي[1].

وفي رواية أخرى أنّ اسمه الحارث بن شعيب الغسّاني[2] كما في كنز الكراجكي أيضًا.

(1) أبو الفتح الكراجكي، كنز الفوائد، الطبعة الحجريّة، الصفحة 179.
(2) المصدر نفسه.

مهما يكن الأمر، لا يمكن أن يكون صاحب هذه القصّة هو المقصود بالذي سوف يكون على مقدمة جيش الإمام المهديّ عجل الله فرجه، ولكن ما فهمه الشيخ القطب الراوندي رضوان الله عليه من أنَّ المقصود من شعيب بن صالح الذي هو على مقدمة جيش الإمام هو صاحب القصة المتقدّمة الذي كان هو رسول رسول الله شعيب، فقد قال بعد أن ذكر الرواية التي يذكر خروجه عليه السلام، وأنّ جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وشعيب بن صالح على مقدمته قال: «**وأما شعيب بن صالح، فقد ذكر ابن بابويه في كتاب النبوّة بإسناده عن سهيل بن سعيد أنّه قال... ثمّ ذكر القصة**».

فهو (أي القطب الراونديّ) مقتنعٌ بأنّ شعيب بن صالح هو صاحب هذه القصة، ممّا قد يؤدي رأيه قوةً لسند هذا القول وربما تكون هذه الناحية هي التي جعلت بعض المؤلفين من المعاصرين[1] يحتمل أنّ الذي يظهر في آخر الزمان مع الإمام المهديّ هو شعيب النبي واستشهد بكلام القطب؛ ولكنّك قد عرفت أنّ القطب لم يذكر فيه أنّ شعيب بن صالح هو النبي ولم يُعلّق بشيء، وإنّما قال «**وأما شعيب بن صالح فقد ذكر ابن بابويه ثم ذكر القصة**» فهو إمّا كان مقتنعًا بكلام ابن بابويه الذي نقله عنه، أو أنّه ذكره ككلام وردَ في كتاب ابن بابويه وقام بنقله.

والحال أنّ كلام القطب إنّما هو رأي وحدس ولا حجة لهما، لأنّهما ليسا برواية حسّيّة، فضلًا عمّا هو منقول من المشاكل المتقدّمة.

(1) كتاب فقه علائم الظهور، الصفحة 46.

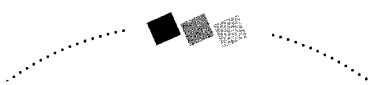

شعيب بن صالح أم شعيب وصالح

ورد في نسخة كمال الدين المطبوعة في نسخة الغفاري بدل (شعيب بن صالح: شعيب وصالح). في هذه الحالة لو ثبت المقصود هو شعيب النبيّ وصالح النبيّ، فسوف يتغيّر الكلام وسنجد مقدار من النسبة في كون أنَّ على مقدمته عليه السلام شعيب وصالح النبي، ويكون حالهم حال الأنبياء الآخرين الذين سوف يظهرون معه عليه السلام مثل النبي إلياس، وعيسى، والعبد الصالح الخضر عليهم السلام ولكن في هذا الكلام مشكلتان:

الأولى: أنّ جميع هؤلاء الأنبياء الذين سوف يظهرون مع الإمام المهديّ عجل الله فرجه هم من الأنبياء الأحياء الذين لم يعتريهم الموت الظاهريّ لأجسادهم كما هو المعروف عند المسلمين.

بينما نجد النبي شعيب وصالح قد ماتا عليهما السلام، فما هو الداعي لرجوعهما من دون سائر الأنبياء الموتى؟

والثانية: أنّ هذه النسخة لم تثبت، وإنّما هي نسخة بدل، لا يمكن التعويل عليها. وممّا تقدم فلا يمكننا الجزم أن يكون الذي على مقدمة جيش الإمام هو النبي شعيب، كما لا يمكننا أن نقول على مقدمته ذلك الرسول المجهول الذي وجدوا جسمه طريًّا، وإنما لا بدَّ أن يكون هذا الاسم ينطبق على عنوان غير طبيعيّ يتناسب مع عنوان ميكائيل وجبرائيل. فإمّا نتصور إنسانًا رمزيًّا عن أشخاص تقدموا في التاريخ فيُرجعهم الله تعالى، ويكون لهم الدور المهم في معركة الإمام بحيث تقع على عاتقهم

أكبر مهمّة، وهي أكبر من مهمة جبرائيل وميكائيل، حيث أنّ كلّ واحد منهما أخذ يمين ويسار الجيش بينما أخذ هذا الموجود البشريّ مقدمة الجيش؛ وهي النقطة الأهم في أعمال الجيوش من اليمين واليسار، أو نتصوّره مخلوقًا آخر كُنّي بهذه الكنية، ولم يُصرّح بحقيقته، كما وجدنا طريقة الرمز سائدة في الأحاديث عن الأسماء التي سوف يكون لها دور في الظهور.

والحديث بالرمز عن أسماء شخصيّات الظهور مقبول لأنّه حديث عن الغيب ممّا يقتضي الحديث عن الغيب الغموض وحفظ الخصوصيات فيُكتفى بالرمز والكناية ولا يحتاج إلى التصريح.

في النتيجة، نقول أنّ هذا العنوان المرمز إليه بشعيب بن صالح إمّا أن يكون كائنًا غيبيًّا قد استُخدِمت الكناية عنه، لأنّه يكون الغضب الإلهيّ الذي ينزل على أعداء المهديّ كما أنزل الله تعالى الغضب الإلهيّ على أعداءه بواسطة النبي شعيب والنبي صالح؛ وهذ التفسير هو أفضل التفاسير التي تتناسب مع موقعيّة شعيب الذي يكون في مقدمته جيش الإمام. أو نقول بأنّه شخص تاريخي ولكن يُغَيَّر اسمه كما ورد مثله عن الشيعة والسّنّة بخروج دابّة الأرض مع الإمام المهديّ عجل الله فرجه، وإنّ هذا الاسم هو من أسماء أمير المؤمنين عليه السلام.

بغض النظر عن صغروية القضية وأنّها متعلقة بكيفيّة خروج أمير المؤمنين، ولماذا سمّي بهذا الاسم، فإنّ هذه الكناية موجودة في المصادر الشيعيّة والسنّية. والمقصود منها اسم الذات العلويّة، كما قد

سُميت الذات بأبي تراب وكانت هذه الكنية من أحبّ الكنى إليه عليه السلام فقد يكون شعيب بن صالح كنية لاسم انتساب نبيّ أو وصيّ نبيّ يكون في هذا الموقع، وهو بالضبط ما يتشابه مع خروج الوصيّ يوشع بن نون وصيّ نبيّ الله موسى عليه السلام مع وليّ الله الأعظم عجل الله فرجه. وقد يكون هو المقصود من شعيب بن صالح إمّا لأنّه قد استُخدِم الكناية أو لأنّ يوشع بن نون تُرجم من السريانيّة أو العبريّة إلى لغة أخرى. ونحن نعلم أنّ الأسماء تختلف بترجمتها من لغة إلى أخرى إذا لوحظت المعاني الرمزيّة.

وقد يؤكد مثل هذا الاحتمال ما ورد بقتال يوشع بن نون وشجاعته وصلابته في المعارك، بما كان يشبه به إلى حدٍّ ما بأمير المؤمنين عليه السلام، فله مواقف ومنازل قتاليّة ومشاهد حربيّة بعد موسى عليه السلام، مذكورة في كتب قصص الأنبياء. ولا يمكننا أن نجزم بذلك، لأنّ هذه الرواية واحدةً رويت بطريق سنديّ غير قويّ، ولكنّها لا تسقط بالمقارنة إلى الروايات الأخرى التي تحدّثت عن شعيب بن صالح التميميّ الذي يظهر مع جيش الخراسانيّ كما سيأتي الحديث عنه.

فمع أنّ هذه الرواية واحدة وفيها مشاكل في السند والدلالة؛ لكنّها تبقى في ميزان المقارنة موجودة وشاخصة، ولا يمكن إغفالها وتبقى ضمن دائرة الاحتمال. كما نُلفت الانتباه إلى أنّ هذه الرواية جاءت في جملة من المراجع كالبحار وغيره بذكر جبرائيل وميكائيل عن يمينه ويساره ولم يُذكر فيها شعيب بن صالح على مقدمته ممّا يجعل لدينا ثلاثة نصوص:

أ. النص الأول «**جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وشعيب بن**

صالح على مقدمته»[1]. وجاء النص بتعبير آخر «**جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله وشعيب بن صالح على مقدمته**»[2]. وفي عبارة أخرى «**جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن ميسرته وشعيب بن صالح على مقدمته**».

وهذا الحديث موجود بهذا النص في كتاب فرائد السمطين لإبراهيم بن محمد الجويني الشافعي المتوفي سنة 730 للهجرة، في السمط الثاني، الباب الخامس والثلاثين، رقم الحديث 434، الجزء 2، الصفحة 119.

ب ـ النص الثاني «**شعيبٌ وصالح على مقدمته**»[3] ونقله المرحوم الآية العظمى السيد المرعشي في ملحقاته على إحقاق الحق الجزء 13، الصفحة 67، عن نسخته المخطوطة أنّ العبارة كالتالي «**جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن ميسرته وشعيبٌ وصالح على مقدمته**».

ج ـ النص الثالث سقط منه اسم شعيب فذكرت الرواية: «**يخرج جبرائيل عليه السلام عن يمينه وميكائيل عن يساره**».

وكان أقدم نصّ لهذا التعبير هو ما رواه الشيخ الصدوق في كتاب عيون أخبار الرضا الجزء 1، الصفحة 63، رقم الحديث29.

---

(1) الخرائج والجرائح، مصدر سابق، الجزء 2، الصفحة 551. الصراط المستقيم للبياضي، الجزء 2، الصفحة 156، الجزء 2، الصفحة 256.

(2) الخرائج والجرائح، مصدر سابق، الجزء 3، الصفحة 1167.

(3) كمال الدين، مصدر سابق، الصفحة 238، ونقله عنه الفيض الكاشاني في كتابه الشريف الوافي، الحديث 2، الصفحة 464، كما نقله عنه السيد هاشم البحراني في كتابه غاية المرام، الجزء 1، الصفحة 207.

ونقله عنه العلّامة المجلسي بنفس الصيغة في البحار الجزء 36، الصفحة 209، كما نقله بعض العلماء من متقدّمي المتأخّرين في مراجعهم، ممّا يؤكد أنّ هذه النسخة نسخة بدل بالرواية وليست هي نسخة بدل بالنسخ.

وبتحقيق المطلب بين هذه النصوص الثلاثة كما تبيّن لنا من مقارنتها، نجد أنّ المقصود هو بيان القوة الخارقة التي تكون مع الإمام عليه السلام عندما يخرج؛ وممّا لا إشكال فيه أنّ جبرائيل وميكائيل عليهما السلام من القوى الخارقة.

وكما قال أستاذنا الآية العظمى الشيخ الوحيد الخراسانيّ: «**روى العامّة والخاصّة أنّه عليه السلام يخرج من عند الكعبة، وجبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره وبما أنَّ جبرائيل هو الواسطة في إفاضة العلوم والمعارف الإلهيّة والحوائج المعنويّة، وميكائيل هو الواسطة في إفاضة الأرزاق والحوائج المادية، فتكون مفاتيح خزائن العلوم والأرزاق كلّها بيده عليه السلام**» منهاج الصالحين، الجزء 1، الصفحة 486.

وعليه، فمن المناسب في هذه الرواية كما سبق وأن بيّنا، أن يكون القسيم والثالث لهما إن وُجد في مقامهما، كما ورد في بعض الروايات اسم ملك الموت عليه السلام، الذي كان يسير مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى جنب جبرائيل وميكائيل، كما رواه الشيخ الطوسي في الأمالي بإسناده عن جابر عن رسول الله قال: «**علي ابن أبي طالب، ما بعثته في سرية إلّا ورأيت جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، وملكًا أمامه، وسحابة**

تظله حتى يعطي الله حبيبي النصر والظفر»[1].

وروى الشيخ ابن حمزة بإسناده عن رسول الله ﷺ قوله في علي عليه السلام: «**ما بعثته في سرية قط إلا ورأيت جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، وملك الموت أمامه في سحابة تظلّه**»[2].

وروي في تفسير الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام أنّه قال: «**وكان عليّ عليه السلام معه جبرائيل عن يمينه في الحروب، وميكائيل عن يساره، وإسرافيل خلفه، وملك الموت أمامه**».

وهذا الكلام قد ورد شبيهه في الإمام المهديّ عجل الله فرجه أيضًا، فالروايات التي تحدّثت عمّن يكون من الخوارق العادة مع الإمام المهديّ بالإضافة إلى جبرائيل وميكائيل فإنّه يسبقه الرعب؛ من جملتها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، ثم يهز الراية ويسير بها فلا يبقى أحد من المشرق ولا في المغرب إلا لعنها، وهي راية رسول الله نزل بها جبرائيل يوم بدر، ثم قال الإمام الصادق للراوي أبي بصير: يا أبا محمد! ما هي والله قطن، ولا كتّان ولا قز، ولا حرير. قلت: فمن أيّ شيء هي؟ قال: من ورق الجنة؛ نشرها رسول الله يوم بدر، ثم لفّها ودفعها إلى عليّ عليه السلام، فلم تزل عند عليّ حتى**

(1) الشيخ نصير الدين الطوسي، الأمالي (قم: مؤسّسة البعثة، الطبعة 1، 1414هـ)، الصفحة 505، رقم الحديث 1106.

(2) ابن حمزة الطوسي، الثاقب في المناقب (قم: مؤسّسة أنصاريان، الطبعة 2، 1412هـ)، الصفحة 121، رقم الحديث117.

إذا كان يوم البصرة نشرها عليه، ثم لفّها، وهي عندنا هناك لا ينشرها أحد حتى يقوم القائم عليه السلام، فإذا هو قام نشرها فلم يبقَ أحد في المشرق والمغرب إلا لعنها، ويسير الرعب قدّامها شهرًا، ووراءها شهرًا، وعن يمينها شهرًا، وعن يسارها شهرًا، ثم قال عليه السلام: يا أبا محمد! إنّه يخرج موتورًا غضبانًا أسفًا لغضب الله على هذا الخلق، يكون عليه قميص رسول الله الذي كان عليه يوم أُحد، وعمامته السحاب ودرعه درع رسول الله السابغة، وسيفه سيف رسول الله ذو الفقار... إلى آخر الرواية»[1].

وروى العياشي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال في حديث طويل في ظهور الإمام عليه السلام وأصحابه: «**جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، يسير الرعب أمامه شهرًا وخلفه شهرًا، أمدّه الله بخمسة آلاف من الملائكة مُسوّمين**»[2].

كما توجد روايات كثيرة أخرى ليس فيها ذكر للقوى الغيبية القاهرة إلا جبرائيل وميكائيل؛ ومثلها الروايات التي وردت عن أحوال أمير المؤمنين عليه السلام في حروبهما ممّا يعني تطابق الحال بين المعصومين عليهم السلام في حروبهما ولم يستعن أمير المؤمنين بغيره، وكذلك الحال بالإمام القائم عجل الله فرجه، لن يستعين بأحدٍ غيره عليه السلام إلا من كان من

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 220، باب20، الحديث 2.

(2) القاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة 2، 1414هـ)، الجزء 1، الصفحة 180.

سنخه في العصمة وارتباطه بالغيب كحضور جده أمير المؤمنين عليه السلام في رجعته، كما سوف نتحدث عن ذلك تفصيلًا إن شاء الله تعالى في رسالة الرجعة.

والنتيجة: إنّ هذه الرواية لم تتحدّث عن شعيب بن صالح الذي يكون مع الخراساني، وإنّما تحدّثت عن شُعيب بن صالح آخر يكون في مقدّمة الإمام المهدي عج على فرض صحة الرواية سندًا أو متنًا.

الرواية الشيعية الثانية: ما رواه النعماني في غيبته أنّ من علامات الظهور، وهي التي رواها الطبري الشيعي كما تقدم في أول البحث. وهذه الرواية تعدّ شعيب بن صالح من العلامات التي تظهر قبل قيام القائم عجل الله فرجه، وتجعله في سياق واحد مع السفيانيّ واليمانيّ والمرواني. ولا تعطيه أكثر من صفته كعلامة وليس فيها مدح ولا قدح، فيكون حال شعيب بن صالح في مثل هذه الرواية مهمل الأوصاف لا نعرف عنه شيئًا، ولا ندري ما هو المقصود منه، فهل هو شخصٌ ممدوح أم هو مذموم؟ خصوصًا أنّه عُطِفَ على المرواني المنسوب إلى بني مروان، وهم أقذر بني أمية، وأنجسهم؛ ولكن في الرواية قد ذُكر اليمانيّ أيضًا ربما يكون اليمانيّ مقابلًا للسفياني الذي عُطِفَ له، فقال السفيانيّ واليمانيّ: «**فيكون حينئذٍ شعيب بن صالح في مقام اليمانيّ في نسبته إلى المرواني فتكون المعادلة هكذا السفيانيّ يقابله اليمانيّ، والمرواني يقابله شعيب بن صالح**».

ولكنّه استحسان لا يمكننا أن نستفيده من خلال الرواية ولا يوجد فيها ما يُشير إلى هذه القضية من المقابلة.

وهكذا ما هو موجود في غيبة الشيخ الطوسي رحمهُ الله في رواية حذلم بن بشير في دلائل وروايات المهديّ، حيث قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «**يكون قبل خروجه خروج رجل يُقال له عوف السلمي بأرض الجزيرة، ويكون مأواه تكريت، قتله بمسجد دمشق، ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند، ثم يخرج السفيانيّ الملعون من الوادي اليابس**»[1].

وليس في الحديث مدحٌ ولا قدحٌ في هذا المسمّى شعيب بن صالح، ولا ندري ما هو موقف شعيب بن صالح هذا الذي يخرج من سمرقند، فليس في الرواية لا من قريب ولا من بعيد شيء يُذكر عنه، فهذه الرواية أيضًا غير مفيدة في معرفة شعيب بن صالح، مع أنّها مرسلة أيضًا.

والرواية الثالثة: رواها الشيخ الطوسي في **كتاب الغيبة** الصفحة 463، الرقم 479، بإسنادٍ عاميّ مضطرب عن عمار بن ياسر أنّه جاء فيها وهو يتحدّث عن السفيانيّ: «**ثمّ يخرج المهديّ على لواءه شعيب بن صالح**».

وهذه الرواية مع عاميّة سندها، وعدم صلاحها للاستدلال فهي إمّا تفسَّر طبق ما جاء في الروايات السنّيّة، والتي سوف يأتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى، أو يقال على فرض الاعتماد عليها على عبارة «**لواءه شعيب بن صالح**» المقصود منه ما ذكرناه سابقًا من المعنى الرمزي.

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 444، رقم الحديث 437.

والصحيح في منهج التدقيق في هذه الرواية في أنّها تُرفع إلى صف تعداد الروايات الأخرى السنّيّة، ولا يمكننا أن نستعين بها على إعطاء شعيب بن صالح حمل لواء الإمام المهديّ عجل الله فرجه.

ملخص الكلام أنه لا يُعرف في رواياتنا الشيعيّة من هو شعيب بن صالح، وما دوره في التمهيد، غير أنّه يكون من علامات الظهور.

ثمَّ كل شيء آخر غير هذا فهو غير منصوص، وإنّما هو من تأثير روايات العامة حتى كونه الذي يخرج من سمرقند.

كلام في الخطبة التطنجية

جاء في الخطبة التطنجية؛ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في خطبة خطبها بين الكوفة والمدينة: «**يا جابر إذا صاح الناقوس، وكبس الكابوس، وتكلّم الجاموس، فعند ذلك عجائب وأيّ عجائب، إذا أنارت النار ببصرى، وظهرت الراية العثمانيّة بوادي سوداء، واضطربت البصرة وغلب بعضهم بعضًا، وصبا كل قومٍ إلى قوم، وتحركت عساكر خراسان، وتَبَع (نَبَعَ نسخة بدل) شعيب بن صالح التميمي من بطن الطالقان، وبويع لسعيد السوسي بخوزستان، وعقدت الراية لعماليق كردان، وتغلبت العرب على بلاد الأرمن والسقلاب، وأذعن هرقل بقسطنطية لبطارقة سفيان (سينان نسخة بدل) فتوقعوا ظهور مكلّم موسى من الشجرة على الطور، فيظهر هذا ظاهر مكشوف، ومعاين موصوف**»[1].

(1) الحافظ رجب البرسي، مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام (بيروت: مؤسسة الأعلمي، الطبعة 1، 1999م)، المتوفّي سنة 813 هـ، الصفحة 316.

وفي هذه الخطبة كلام:

أوّلًا: من حيث سند الخطبة فهي مرسلة لا يوجد لها مصدر ولا سند.

وثانيًا: أنّها مبنيّة على الألغاز والرموز التي يوكل علمها إلى من صدرت منه عليه السلام، ولا يمكن لأحد أن يدّعي فيها شيء، لأنّها كلّها كنايات غيبيّة وكل ما يقال فيها يكون من قبيل الرجم بالغيب، وهو من القول على أهل الله بما لم يُعلم أنّهم قد قالوه وهو باطل أعاذنا الله تعالى منه؛ ولا يمكن أن يفسر كلامهم إلا هم عليهم السلام، وكل مدّعٍ للتفسير ادّعاؤه باطل؛ خصوصًا أنّ الخطبة تشمل على غموض مصنوع صناعة مقصودة كي لا يستطيع أحد أن يحل عقدها.

وثالثًا: أنّه ليس في هذه الخطبة الشريفة حديث عن شعيب بن صالح التميمي إلا بنحو اللغز سواء قلنا أنّ العبارة هي (تبع) أو قلنا أن العبارة هي (نبع). فالعبارتان لا تزيدان معرفة بشعيب إلا كونه من بطن طالقان.

ورابعًا: وممّا يزيد الغموض بأحداث هذه الخطبة فإنّه قد جاء فيها القول المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام: فتوقعوا ظهور مكلم موسى من الشجرة على الطور فيظهر ظاهر مكشوف ومعاين موصوف؛ فمن غير المعلوم أنّ هذه الأحداث تتحدث عن المهديّ عجل الله فرجه في هذا المقطع؛ خصوصًا لو ألصقنا هذا المقطع بما جاء قبلها من أسطر حيث كان عليه السلام يتحدث عن أهل شام عصره، وكيف سوف يُجازيهم بما ارتكبوه من جرائم، ومن جملتها قتلهم عمار بن ياسر وأويس القرني.

خامسًا: أنّ النسخة الموجودة، من هذه الخطبة قد وردت في نسخ مغلوطة، وبتعابير مبهمة قد تصل بعضها إلى مرتبة الإيهام، وقد تجرأ البعض حيث وصفها بالمهملات لعدم التأكد من إعطائها معنى يمكن أن نفهم منه، ولكنّنا نوكل علمها إلى أهلها، إن كانت صدرت منهم عليهم السلام.

سادسًا: من يقول أن شعيب بن صالح التميمي الذي يتبع أو ينبع من طالقان هو المقصود من شعيب بن صالح المذكور في رواية غيبة النعماني الذي هو من علامات الظهور؟ ففي الواقع أن هذا الادّعاء مزعوم جيبي لا دليل عليه، بل مع سبرنا هذه الخطبة، لم نجد أيّ تشابه ولو من بعيد مع ما هو المذكور في رواية النعمانيّ إلا بوحدة الاسم، ولا يمكننا أن ندّعي القضايا الأخرى المزعومة لمجرد وجود التشابه بالاسم، فكم من الرجال المختلفين يتّفقون مع بعضهم بإسم واحد، ويختلفون بكلّ شيء فيما بينهم، ولا يوجد اتفاق آخر غير الاسم، فهل يمكن أن يزعم أحد أنّ مجرد الاتفاق في الاسم، أو اسم الأب يستلزم أن يكونوا جميعًا وحدًا؟!.

شعيب بن صالح في روايات كتب السّنّة

بعكس الروايات الشيعيّة التي قرأناها وهي صامتة عن شعيب، ولم تتحدث لنا عنه بأكثر من كونه من علامات الظهور، فإنّنا رأينا الروايات السنّيّة قد ذكرت شعيب بن صالح بأحاديث أكثر تفصيلًا، ووضوحًا عنه، وكان كتاب **الملاحم والفتن** للسيّد ابن طاووس رحمه الله الذي جمعه من كتب السنّة قد حوى أكثر تلك الروايات وهي بغالبيتها مأخوذة من **كتاب الفتن** لنعيم. وسوف نذكر هذه الروايات بالشكل الذي يكوّن الصورة

الموجودة عنه في المصادر السنّية، ومنها كتاب **الملاحم**. وسبق وأن قلنا إنّ كتاب **الملاحم** كتاب سنّي وليس من المصادر الشيعيّة باعتباره مأخوذ من كتبهم التي ذكرها السيد في مقدمة الكتاب، ولذلك فهو يذكر أسانيد الأخبار كما هي موجودة في تلك الكتب.

إنّ ذكر السيد ابن طاووس لتلك الأسانيد ليس من أجل العمل بها أو الاحتجاج، فهو كسائر أصحابنا لا يحتجون بالأسانيد العاميّة في مقام العمل لأنّها ساقطة الحجيّة، فإذا كانت ساقطة الحجيّة فما معنى ذكر السيد ابن طاووس لتلك الأسانيد والاهتمام بها، مع العلم أنّنا نجده أحيانًا يذكر أقوال علماء الجرح والتعديل في بعض رجال السند؟

والجواب واضح من خلال معرفة نقله وذكره لأقوال علماء الجرح والتعديل. فهو يذكر عادة ما قاله علماء الجرح والتعديل السنّيّين؛ ممّا يعني أنّ ذكره لتلك الأسانيد من باب تجديد الحجّة على الطرف الآخر الذي يعتبر هذه الأسانيد حجة عليه. ومع كلّ هذا فإنّنا نعلم أنَّ السيد ابن طاووس رضوان الله عليه، كان يتعامل مع تلك الروايات التي نقلها بروح منفتحة نشعر من خلالها بقبوليّته بالشكل العام والمجمل لما ينقله في كتابه دون تأكيد منه على صحة شيء منها، ممّا يجعلنا نعتقد أن منهجه لعلامات الظهور هو الاستئناس بالمرويّات بغض النظر عن الجانب الإثباتي فيها، والتي يمكن أن نستعين بدلالتها على مقبوليّتها حينما تكون الأخبار مقبولة في مدلوليّتها وما جاء فيها من معاني.

وبتتبّعنا لِما ورد في شعيب بن صالح في كتاب الملاحم للسيد بن

طاووس، ظهر لنا أنّه بعد أن عرف بأنّ قضية شعيب بن صالح مهملة في المصادر الشيعيّة وجد ضالته في المصادر السنّيّة، بغض النظر عن كون تلك الروايات حجة أم غير حجة، فهي تعطي صورة محتملة لحدوث مثل تلك القضايا المتعلقة بشعيب بن صالح.

ولا يوجد مانع شرعي للاستئناس بتلك الروايات وإن لم تملك الحجة الشرعيّة؛ فمجرد الاستئناس، وإشعال شمعة أمل في طريق الانتظار شيء سليم لا يوجد مانع شرعي له، ويكون حينئذٍ متطابق بالكلّية مع السماح الشرعي لقبوله.

ولكنّ المسألة عند الكتّاب والمتحدثين الذين عاصرناهم قد تجاوزت مرحلة الاستئناس، وإشعال شمعة الأمل في طريق الإنتظار لرسم منهج المستقبل لتحرّك مقدّمات ظهور المهديّ، بما يكوِّن عند القراء والمستمعين صورة ملتصقة كلّيًا بالواقع التخيّليّ وإيجاد تصوّر جديد؛ لأنّ هذه التصوّرات حقيقيّة وجزء ممّا ذكره النبيّ والأئمة عليهم السلام.

من هنا يأتي الخطأ في المنهج الذي ذكرناه في الحلقات السابقة، وتدخل القضية في الممنوع الشرعيّ عندما ننسب للشريعة شيئًا لم يثبت بالحجة الشرعيّة أنّه قائله. لذا فإننا سوف نؤكد على الفارق بين المنهجين: منهج السيّد ابن طاووس في تعامله مع تلك الروايات على أنّها فاقدة للحجّة الشرعيّة، وليست من أجل تكوين صورة واقعيّة عن مستقبل الظهور وتصلح للاستئناس والأمل الناشئ من إحتمال صدق تلك الأخبار، وبين ما يترتّب على المنهج الطاووسيّ، مما يجعلنا نحذر من المنهج الثاني

الذي يتشبث به بعض المعاصرين، لكونه قد يدخل في كثير من الأحيان تحت عنوان التقوّل على الله ورسوله والأئمة عليهم السلام وهو حرام شرعًا، ومن الذنوب الكبيرة، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعصمنا من الخطأ والخطل والزلل بمحمد وآل الطاهرين عليهم السلام أجمعين.

شعيب بن صالح مع الخراسانيّ

الروايات التي تحدّثت عن أنَّ شعيب بن صالح مع الخراسانيّ كثيرة في كتب السنّة، من جملتها كتاب الفتن لنعيم بن حمّاد المروزي الصفحة 188، بإسناده عن محمد بن الحنفية قال: «**ثمّ تخرج راية سوداء لبني العباس، يخرج من خراسان أخرى سوداء، قلانسهم سود، وثيابهم بيض، على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح بن شعيب من تميم..**».

وروى بإسناده عن الحسن (ولعلّه الحسن البصري) قال: «**يخرج بالريّ رجل ربعة أسمر مولى لبني تميم، كوسج، يقال له شعيب بن صالح، في أربعة آلاف، ثيابهم بيض، ورياتهم سود...**».

وروى بإسناده عن جابر (الظاهر أنّه الجعفي) عن الإمام الباقر عليه السلام: «**يخرج شاب من بني هاشم، بكفّه اليمنى خال، من خراسان، برايات سود، بين يديه شعيب بن صالح**»[1].

(1) كتاب الفتن، مصدر سابق، الصفحة 189.

وروى بإسناده عن علي عليه السلام: «**تخرج رايات سود تقاتل السفيانيّ فيهم شاب من بني هاشم، في كتفه اليسرى خال، وعلى مقدّمته رجل من بني تميم يُدعى شعيب بن صالح، فيهزم أصحاب**»[1].

وبإسناده عن عمّار بن ياسر قال: «**إذا بلغ السفيانيّ الكوفة، وقتل أعوانه آل محمد، خرج المهديّ على لوائه شعيب بن صالح**»[2].

وفي هذه الرواية وإن لم يذكر الخراسانيّ فهي نفسها الرواية التي نقلها بشكل مفصّل وليس مختصر الشيخ الطوسي في كتابه الغيبة، وقلنا أنّ سندها عاميّ؛ ومن الواضح أنّ الرواية التي نقلها نعيم في الفتن مختصرة اختصارًا بإسناده عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «**إذا خرجت قبل السفيانيّ إلى الكوفة بعث في طلب أهل خراسان، يخرج أهل خراسان في طلب المهديّ فيلتقي هو والهاشمي برايات سود، على مقدمته شعيب بن صالح، فيلتقي هو وأصحاب السفيانيّ بباب إصطخر، فتكون بينهم ملحمة عظيمة، فتظهر الرايات السود، وتهرب خيل السفيانيّ، فعند ذلك يتمنّى الناس المهديّ ويطلبونه**»[3].

وروى بإسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «**يبث السفيانيّ جنوده في الآفاق بعد دخوله الكوفة وبغداد فيبلغه فرعه من وراء النهر من أهل خراسان، فتقبل أهل المشرق عليهم قتلًا،**

(1) المصدر نفسه، الصفحة 117.

(2) المصدر نفسه، الصفحة 190.

(3) كتاب الفتن، مصدر سابق، الصفحة 192.

ويذهب نجيّهم، فإذا بلغه ذلك بعث جيشًا عظيمًا إلى إصطخر عليهم رجل من بني أمية، فتكون لهم وقعة بقومس، ووقعة بدولات الري، ووقعة بتخوم زرنج، فعند ذلك يأمر السفيانيّ بقتل أهل الكوفة، وأهل المدينة، وعند ذلك تقبل الرايات السود من خراسان، على جميع الناس شاب من بني هاشم، بكفّه اليمنى خال، يسهّل الله أمره وطريقه، ثم تكون له وقعة بتخوم خراسان، ويسير الهاشمي في طريق الريّ، فيسرح رجل من بني تميم من الموالي يقال له شعيب بن صالح إلى اصطخر إلى الأموي، فيلتقي هو والمهديّ والهاشمي ببيضاء اصطخر، فتكون بينهما ملحمة عظيمة، عليها رجل من بني عديّ، فيظهر الله أنصاره وجنوده، ثم تكون وقعة بالمدائن بعد وقعتيّ الريّ، وفي عاقرقوفا وقعة صيلمية يخبر عنها كل ناجٍ، ثم يكون بعدها ذبح عظيم ببابل، ووقعة في أرض من أرض نصيبين، ثم يخرج على الأخوص قوم من سوادهم، وهم العصب، عامتهم من الكوفة والبصرة حتى يستنقذوا ما في أيديه من سبي كوفان»[1].

شعيب من بني تميم

عن كتاب السُنن الواردة في الفتن وغوائلها للداني ج5 ص1090 الحديث 596، وقد تحدّث عن خروج السفيانيّ في حديث عن رسول الله أنّه قال: «تخرج دابّة المشرق يقودها رجل من بني تميم يُقال له شعيب بن صالح».

(1) كتاب الملاحم، مصدر سابق، الصفحة 192.

روى نعيم في كتابه الفتن الصفحة 188 عن الحسن، وهي الرواية المتقدمة التي استظهرنا فيها أنّه الحسن البصريّ قال: «**يخرج بالري رجلٌ ربعة أسمر مولى لبني تميم كوسج يقال له شعيب بن صالح**». وهناك روايات أخرى على هذا المنوال تثبت أنّه من تميم.

صفة شعيب بن صالح: عنوان صفته رجلٌ ربعة أسمر[1] أصفر قليل اللحية[2].

محل خروجه: تقدمت الرواية السنّيّة أنّه يخرج من الري بينما وجدنا في الروايات الشيعيّة أنّه يخرج من سمرقند وفي أخرى أنّه ينبع من طالقان.

شعيب يحمل لواء المهديّ

روى نعيم في فتنه، الصفحة 197:

«**يبعث السفيانيّ خيله وجنوده فيبلغ عامة الشرق من أرض خراسان، وأرض فارس، فيثور بهم أهل المشرق فيقاتلونهم، ويكون بينهم وقعات في غير موضع، فإذا طال عليهم قتالهم إياه بايعوا رجلًا من بني هاشم، وهو يومئذٍ في آخر الشرق، فيخرج بأهل خراسان، على مقدّمته رجل من بني تميم، مولى لهم، أصفر قليل اللحية، يخرج إليه في خمسة آلاف إذا بلغه خروجه فيبايعه، فيصيّره على مقدمته لو استقبلته**

(1) كتاب الفتن، مصدر سابق، الصفحة 188.

(2) المصدر نفسه، الصفحة 197.

الجبال الرواسي لهدّها، فيلتقي هو وخيل السفيانيّ فيهزمهم ويقتل منهم مقتله عظيمة، ثم تكون الغلبة للسفياني، ويهرب الهاشمي، ويخرج شعيب بن صالح مختفيًا إلى بيت المقدس يوطّىء للمهدي منزله إذا بلغه خروجه إلى الشام».

وروى أيضًا بإسناده عن سفيان الكلبي قال: «**يخرج على لواء المهديّ غلام حديث السن خفيف اللحية أصفر لو قاتل الجبال لهزمها حتى ينزل إلياء**»[1]. وروى بإسناده عن عمار بن ياسر قال: «**المهديّ على لوائه شعيب بن صالح**»[2]. فهذه الروايات وغيرها كلّها لم تروى عن النبي وإنّما رويت إمّا عن صحابي أو تابعيّ أو مجهول الحال.

الحق في أمر شعيب بن صالح

لقد وجدنا أنّ الروايات الشيعيّة بالأسانيد الشيعيّة خلت من ذكر شعيب بن صالح، إلا أنّ الموجود فيها بروايات عامية أنّ شعيب بن صالح هو ما وجد في الروايات السنّيّة. حتى أنّنا وجدنا رواية الغيبة المرسلة قد رويت مسندة في الكتب العاميّة، ورواية عمار موجودة كذلك مسندة في الكتب العاميّة وهي موجودة في كتابي الفتن لنعيم، والسنن للداني، ممّا توضّح لدينا أنّ دخول اسم شعيب، والروايات التي ذُكر فيها تسربت من الروايات السنّيّة، وليست في روايات أهل البيت شيء منها، إلا في مورد واحد وهو في رواية غيبة النعماني الذي عُدّ أنّه من علامات الظهور

(1) كتاب الفتن، مصدر سابق، الصفحة189.

(2) المصدر نفسه، الصفحة 189.

ممّا يصف هذه الرواية تحت وصف (الشاذة) فلم نجد في غيرها من علامات الظهور شعيب بن صالح، ولعلّنا إذا وجدنا نسخة الغيبة النعماني قديمة نتحقّق في أصل وجود هذا الاسم في الرواية، وربما يكون قد دخل هذا الاسم من النسّاخ لتشابه الأسماء أو ما هو مركوز في ذهن الناسخ فغلط به. ولهذا لم نجد لشعيب بن صالح ذكر خاص مستقل في كتبنا القديمة إلى ما قبل اختلاط الأوراق على المؤلّفين للجمع بين الروايات العاميّة والشيعيّة وتوحيدها دون التمييز بينها عندما يكتبون عن علامات الظهور، وبالخصوص بعد ما انتشر كتاب **الملاحم والفتن** للسيد ابن طاووس ولم يُلتفت إلى أنّه كتاب سنّي لا يصلح الاحتجاج به بين الشيعة أو رسم مستقبل الظهور على ما ورد فيه من الروايات.

ومن المقطوع به أنّ اسم شعيب بن صالح هو من مختصات الروايات العاميّة التي ورد فيها بشكل كثير ومكثف، وهنا يأتي السؤال هل يصلح الاعتماد على تلك المرويات وهي بغالبها لم تُروى عن النبي، بل رويت عن مجاهيل ومسانيد غير منضبطة علميًّا؟.

إنّنا في الوقت الذي لا نردّ تلك المرويات بالشكل المطلق فإنّنا نؤكد على أنّها غير صالحة لبناء خريطة المستقبل وكل ما يمكننا الإستفادة منها في قضية شعيب بن صالح هو كالتالي:

إنّ مجموع الروايات العاميّة التي ذكرت شعيب بن صالح إنّما ذكرته ضمن حركة الخراسانيّ، وفي بعضها ظهر شعيب أنّه الرجل الأول بينما ذكر الفتى أو الشاب (باختلاف الروايتين) في يده اليمنى أو في

كتفه (على اختلاف الروايتين) خال هو الرجل الأول، وحينئذٍ نفهم أنّ المسألة متعلّقة بحركة الخراسانيّ، والقدر المتيقن ممّا هو مذكور في تلك الروايات أنّ هذه الحركة مبارك فيها، وأنّها تخرج من المشرق، وهي مسدّدة ومؤيّدة إلهيًّا، وأنّها توطئ للمهدي سلطانه، ويرأسها الخراسانيّ الذي في يده اليمنى خال، وفي بعض النسخ خلل؛ وأنّ هذه الحركة سوف تحارب السفيانيّ، وتنتصر عليه في العراق، وتأتي الكوفة، ويستتب الأمر فيها على يد الخراسانيّ، ثم يظهر المهديّ، فيبعث الخراسانيّ بالبيعة له؛ وفي خضم هذه الأحداث لم يظهر لشعيب بن صالح دور مستقلّ. وفي هذه المسألة بالخصوص استفهامان:

الأوّل: لماذا لم يذكر اسم الخراسانيّ ولم يعرّف عنه، مع أنّه الرجل الأول بينما ذُكر شعيب بن صالح ونُوِّه عنه مرارًا وتكرارًا وأعطي أكبر من حجمه الطبيعي، حتى وذكر أنّه يكون على لواء المهديّ ويكون فتح إيلياء (القدس) على يديه مع أنّه هو الرجل الثاني في حركة الخراسانيّ كما هو المنصوص في رواياتهم فأين ذهب الخراسانيّ؟ هل أنّه مات؟ أو أنّه أهمل نتيجة كثرة الأحداث وتتابعها كما هو يحدث عادة في الثورات البشريّة في العالم؟

الثاني: يتعلق بشخصية شعيب بن صالح ومَنْ يكون؟ ومن أين يأتي؟ ممّا جعل البعض يتمسك بالنسخة البدل من الخطبة التطنجية التي ذُكر فيها اسم شعيب بن صالح وليس صريحًا وأنّه ورد فيها عبارة (نبع بالنون أو تبع بالتاء) فتشبث أولئك بنبع، وتركوا تبع، لأجل أن يحلوا المشكلة

التي هم فيها، وهي معرفة أصل شعيب، وما يتعلق بأهدافه وامتيازاته التي تتصف بها حركته، ولكنّهم لم يفلحوا في توضيح شيء سوى أن ازدادت القضية إبهامًا ولغزًا. فوق ما للقضية من إبهام ولغز.

إنّ ما يقال عن شعيب بن صالح في روايات السنّيّين لا يُعطي صورة متكاملة عن دوره المستقبليّ في الأحداث لو أردنا أن ننتهج المنهج السنّيّ في تمحيص تلك المرويات.

وأما لو أردنا أن نجري في التمحيص طبق القواعد الشيعيّة في تنقيح الروايات سندًا ومتنًا، فسوف لا يصفي منها شيء إلا التمسك بالمجموع فقط، وهو ما يتناسب مع روايات الخراسانيّ، وكل شيء زائد عن ذلك فهو داخل في الزيادات التي أدخلتها الظروف الاجتماعيّة والسياسيّة، مع أننا نعلم أن بني تميم من القبائل العربية، ولا دور لها في مناطق الري والطالقان وسمرقند فإنّ سكان تلك المناطق من غير العرب ولا ينتسبون إلى القبائل العربيّة وإنّما جرت العادة لنسبهم إلى المدن والقصبات والبقاع التي يسكنونها، وهو ما يتناسب مع الخراسانيّ المنسوب إلى خراسان، بينما شعيب بن صالح يُنسب إلى بني تميم وهو بعيد عن تلك الأراضي والمدن والبقاع، فلماذا ذُكر انتماءه لبني تميم بالخصوص؟

هل يقف وراء هذه الزيادة الدور القومي الذي كان يتحكم بعقل بني أمية بتفضيل العرب على غيرهم من القوميّات المسلمة؟ ثمّ هل لبعض من انتسب بتلك النسبة من الرواة دور لتشخيص أنّ شعيب بن صالح منهم؟

إنّ لهذه الأسئلة وغيرها مكان واسع من البحث ينتظر الإجابة عليها لتحل عقدة الإبهام عن شخصية شعيب بن صالح، حتى يمكننا أن نستشرف بعض جوانب شخصيته، وإلا فالموضوع كلُّه مُلبس لا يصلح بشيء من الإستدلال لأنّ فيه رائحة القوميّة والقبليّة والتشويه على حركة الخراسان النقية الصافية يدعو أهلها إلى الحق، كما هو وارد في روايات أهل البيت عليهم السلام.

المبحث الثالث:

التصادم بين الخراسانيّ والسفيانيّ

هناك روايات تحدثت عن صراع يكون بين الخراسانيّ والسفيانيّ في مناطق عدّة، قد يكون بعضها في تخوم المناطق التي تخضع للنفوذ السفيانيّ باتجاه مناطق إيلياء أي القدس. وهذه الروايات التي تحدّثت عن الصراع العسكريّ في المناطق الغربية من دمشق بين السفيانيّ والخراسانيّ، وتكون الغلبة فيها للخراسانيّ بحيث تغفل الروايات جميعها حتى العامّية منها، عن تحرّش الخراسانيّ بتلك القوى الغربيّة التي لا يقدر أن يمدّ نفوذه إليها لأسباب مجهولة لدينا لعدم ذكر النص الشريف عن هذه الأوضاع في المناطق المحاذية لدمشق، وهي مناطق ليست صغيرة نسبيًّا، وتُشّكل حاليًّا مساحة جغرافيّة من المناطق التي يسكنها العلويّون في سوريا والمتّصلة حاليًا بلبنان وشمال فلسطين إلى ما يقارب القدس.

فإن صدقت الرواية التي رواها السيد ابن طاووس في الملاحم؛ بأنّ الخراسانيّ سوف يصل إلى إيلياء مع أنَّ دمشق وشرق دمشق إلى حدود الكوفة خاضعة في تلك الفترة الزمنية لنفوذ السفيانيّ. فهذا يستلزم أنّ الخراسانيّ يملك قوى متعدّدة عسكريّة قويّة خارج منطقة حكمه ونفوذه في المشرق، ومن تلك المناطق وجود قوة لا يُستهان بها، بل قوة قويّة

يحاول السفيانيّ أن يتجاهلها ولا يصطدم بها، حتى لا يُضعف قدرته وكأنها أمر واقع لا يتحرّش به، ولذلك، فهو لا يتحرّك بهذا الاتجاه من الغرب وإنّما انصبت جغرافيّة حركته على المشرق.

أصحاب البراذين الشهب المحذوفة

ورد في الرواية الشريفة المرويّة عن الإمام الباقر عليه السلام في غيبة النعماني في الباب 18، الحديث 16، الصفحة 305، أنّه قال: «**قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا اختلف الرمحان بالشام لن تنجلي إلا عن آية من آيات الله. قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: رجفة تكون في الشام يهلك فيها أكثر من مئة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين، وعذابًا على الكافرين؛ فإذا كان ذلك فانظر إلى أصحاب البراذين الشهب المحذوفة، والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل بالشام، وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر، فإذا كان ذلك فانظروا خسف قرية من دمشق يقال لها حرستا، فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس حتى يستوي على منبر دمشق، فإذا كان ذلك فانتظروا خروج المهديّ عجل الله فرجه**».

فالمقصود من المغرب في هذه الرواية الشريفة هي المنطقة الغربية المحاذية لدمشق وحواليها.

وهناك نقطة ملفتة للإنتباه إنّ هذه القوة التي تأتي من المغرب والتي تملك البراذين الشهب المحذوفة، والرايات الصفر التي تسيطر على

الشام. وبتعبير الرواية (تحلّ بالشام) فهي تمتلك قوّة ضخمة قادرة على مقاومة (الجزع الأكبر والموت الأحمر) فهي قوة قويّة جدًا.

ولم تفسِّر الرواية نوعيّة هذه القوة التي تملكها هذه الرايات الصفر إلا بعنوان أصحاب البراذين الشهب المحذوفة، ممّا يعني أنّ هذا الوصف متميّز جدًّا بحيث يُعرف به أصحابه. ويبقى السؤال ما هو المقصود من البراذين الشهب المحذوفة؟

حاول البعض أن يفسرها بالدبابات فهي تقذف الشهب، ولكنّ هذا التفسير عجز عن تفسير معنى البراذين كما أنّه عجز عن تفسير الإضافة في الرواية بين البراذين والشهب، فهي لم تقل إنّ البراذين تقذف الشهب التي هي جمع شهاب، ممّا يعطي لهذه الإضافة المعنى اللغوي لكلمة الشهب، ومعناه بياض يتخلله سواد. وهذه البراذين ذات لون أبيض وأسود، وأما كلمة محذوفة فهي قد خرجت عن المتأولين للنصّ بإضافتهما إلى الشهب، فزعموا أنّ عبارة محذوفة يعني تحذف الشهب، ولكن هذا التركيب لا يتناسب مع هذا المعنى حسب تراكيب اللغة العربية، لأنّه يفترض أن يكون حسب اللغة العربية وجود أدلة دالّة على صدور الشهب من البراذين، على نحو مثلًا أن تكون العبارة كما يلي: «**أصحاب البراذين التي تحذف الشهب**»[1] وأمّا ما ورد من العبارة في الرواية الشريفة بقوله عليه السلام: أصحاب البراذين الشهب المحذوفة، فلا تؤدّي إلى هذا المعنى المزعوم حسب تراكيب اللغة العربيّة، إلّا إذا كان المتكلّم

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الصفحة 317.

أعجميّ لا يعرف أو لا يلتزم باستخدام التراكيب العربية، بينما إذا زعمنا أنّ هذا النص قد ورد عن المعصوم عليه السلام، وهو الإمام الباقر عليه السلام إمام اللغة والبلاغة، فكيف لنا أن نتصوّر أنّه قد خرج منه ذلك اللفظ وأراد منه ذلك المعنى بعجمة مفضوحة؟

والحق، أنّ ظاهر الرواية كما هي معروفة بحسب تراكيب اللغة، أنّ هؤلاء القوم أصحاب الرايات الصفر الذين يأتون من المغرب ويحلّون بالشام هم أصحاب البراذين الشهب المحذوفة، يعني أصحاب البراذين ذات اللون الأبيض المتخلل في السواد المحذوفة. ويبقى أمامنا سؤال ما هو المقصود من كلمة المحذوفة؟

إنّ العرب كانوا يطلقون على البراذين المقطوعة الذنب أو المقطوعة الأذن اسم (محذوفة) فهذه الكلمة تكون صفة ثانية للبراذين.

وهنا سؤال آخر، هل هذه الكلمات في هذه الرواية تُحمل على معناها الحقيقي العربي، باعتبار أن البراذين هي نوع من الخيل وهكذا، ما تقدم من معنى الشهب ومعنى كلمة المحذوفة؛ أم أنّ هذه الجملة جاءت على نحو المجاز وأُريدَ بها معنى آخر غير المعنى الحقيقي؟

إنّ الجواب على هذا السؤال رجم بالغيب. فلا نعلم ما هو المقصود بهذا الوصف. هل هو الحقيقي أم هو المجازي؟ ولا يكفي أن نقول بأنّنا في عصر تكون الحروب بالآليات العسكريّة التي تستخدم فيها والطائرات والدبابات والمصفحات والمدفعية الثقيلة والمتوسطة، وغيرها من أنواع

العتاد والسلاح. فلا مكان للأحصنة والبراذين في هذه الحرب.

إنّ هذه المقولة غير واقعيّة، فلم تجعل الرواية البراذين الشهب المحذوفة هي الآلة العسكريّة البديلة عن الآلة العسكريّة المعاصرة وإنّما ذكرت بعنوانها المتميّز. ولا يشترط بهذا المقدار من القوة أن تستخدم السلاح الأبيض ولا تستخدم القوة المعاصرة، فلربما تكون هذه الأحصنة نوعًا من أنواع التكتيك العسكري الذي يستخدمه الجيش الجديد بما يحتاجه أصحاب هذه القوة في حربهم الخاصّة والمسمّاة بحرب المدن وحرب العصابات. وحينئذٍ يكون استخدامها استخدامًا فعليًّا، وقد وجدنا مثل هذه الحروب في عصرنا قد حدثت في أماكن كثيرة من العالم وانتصرت على الجيوش النظاميّة.

ومهما يكن الحال، فإنَّ هذه العبارة تبقى مجملة غير بيّن استعمالها هنا على نحو الحقيقة أو على نحو المجاز، وأقول بصراحة أنّه لم يُعرف لحدّ الآن المعنى الذي قُصد منها.

ونستفيد منها أنّ هذا الجيش الذي يحمل الرايات الصفر، ويأتي من دمشق لا يُقاتل بقوته العسكريّة من حيث العدد والعدّة، وإنّما له أسلوبه الخاص بالقتال المتميّز به والذي يفتقده الآخرون فهم مع ما يملكونه من قوة سلاح وعتاد وعديد، يبقون في موقفهم الأضعف. بينما يكون أصحاب الرايات الصفر بما يملكونه من البراذين الشهب المحذوفة هم القويّ في المعركة، ويستطيعون أن يحلّوا في الشام بما يملكونه من هذه الأساليب العسكرية المتميزة والتكتيك الجديد.

كما نجد أنّ الرواية الشريفة عندما تحدّثت عن حركة الرايات الصفر من غرب دمشق أنّها لم تذكر دمشق، وإنّما ذكرت الشام، وهذا يعني أنّها قد لا تدخل دمشق ولكن تسيطر على الشام بما هي منطقة امتداد دمشق مثل الغوطة المحيطة بدمشق وما إليها من مناطق لم يُذكر انتهاؤها إلى أيّ نقطة من الغرب من دمشق، ولكن ذُكرت فيها حرستا وهي من القرى القريبة إلى مدينة دمشق، وتُعدّ جزءًا من محافظة ريف دمشق حسب الوضع الإداريّ المعاصر. مما نفهم من عبارة قوّة الرايات الصفر التي تقبل من المغرب وتحلّ بالشام، بقاء حرستا خارج هذه الإرادة والقوة، ولا يستطيعون بالطرق الطبيعيّة العسكريّة أن يخضعوها لإرادتهم وتبقى وحدها بعيدة عنهم، إلى أن يحدث أمر غير طبيعيّ وهو كما في الرواية الشريفة خسف قرية حرستا.

أما كيف يكون هذا الخسف؟ هل بواسطة قوى الغيب الخارقة للطبيعة بأمر الله تعالى كما خسف في الأمم السابقة التي اعتدت على الأنبياء والأولياء، أم أن الخسف يأتي بواسطة استخدام أسلحة متطورة، وقد تكون نووية؟ يحدث مثل هذا الخسف في القرية، وقد حاول البعض أن يزعم بوجود قنبلة نووية تضرب هذه المنطقة فيكون الخسف.

ولكن لا دليل على هذا الزعم؛ خصوصًا أنّ عبارة الخسف قد استخدمت في القرآن الكريم في الأماكن التي يغضب الله فيها على الكفار، وينتقم منهم عندما يخسف بهم الأرض. وقد تكرر الخسف لمجاميع حاربت الأنبياء والرسل عليهم السلام.

فمن الأَولى إنصراف كلام الأئمة عليهم السلام إلى المعنى الذي استخدمه القرآن الكريم، لأنّهم هم أهل القرآن وحفظته والمتكلّمين به، وأنّ حمله إلى معنى آخر يحتاج إلى قرينة وهي مفقودة في المقام.

ويتلخّص لنا إذن: أنّ هذا الخسف يكون بأمر إلهيّ؛ لأنّ هؤلاء العصاة عندما تعجز معهم القوة العسكريّة لا يبقى أمام أهل الحق إلا أن يدعوا الله تعالى بإنزال عقوبته وغضبه، فينتقم ممّن تحصّن في منطقة حرستا، فيأتي أمر الله في آخر المطاف وينزل غضبه على حرستا ويخسف بهم الأرض. وممّا نفهمه من هذه الرواية الشريفة أيضًا أنّ الرايات الصفر لا تحكم دمشق مباشرة وهكذا بلاد الشام وإنّما تظهر قوتها في تلك المنطقة بدون إعلان إداري عن الحكم.

كما نفهم من هذه الرواية الشريفة أنّ هذه الحوادث كلّها تكون قبل خروج السفيانيّ من الوادي اليابس ومجيئه إلى دمشق، الذي يسبق خروج المهديّ عجل الله فرجه، كما نصت عليه هذه الرواية الشريفة. ولكننا في رواية أخرى عامّية رأينا السفيانيّ يصطدم مع جيش الخراسانيّ في منطقة إيلياء وينتصر الخراسانيّ عليه.

ومع فرض صحّة هذه الرواية فإنّنا لا نجد الخراسانيّ منتصرًا على السفيانيّ بل موجود على تخوم الدولة السفيانيّة إلا خلال القوة التي تحتفظ بولائها التام للخراسانيّ والمسيطرة على هذه المنطقة.

وهذا يُفسر الموقف السفيانيّ بعدم الدخول بحرب فاصلة مع الرايات الصفر لأنّ هذه الرايات الصفر:

أولًا: هي أصحاب البراذين الشهب المحذوفة، فهو يعلم مسبقًا أنّه لا يستطيع أن يدخل بمعركة حاسمة ويُبدد هذه القوة، لأنّها فوق قدرته فهي تملك تكتيكًا عسكريًّا تتحصّن به من أي عدوان يجابهها بعكس السفيانيّ، فهو يملك جيشًا نظاميًّا (بحسب الروايات الشريفة) يقاتل بالطرق النظاميّة عند الجيوش في العالم، ولذلك فهو يعجز عن قتال تلك القوة صاحبة الرايات الصفر.

ثانيًا: أن هذه القوة صاحبة الرايات الصفر قد انتصرت في معاركها على اليهود في إيلياء -كما قالت الرواية السنّيّة- وربما سوف تقع القدس وشمال فلسطين تحت قوة ونفوذ الرايات الصفر حتى بعد خروج السفيانيّ وتسلطه على دمشق، وتسلطه أيضًا على كثير من بلاد فلسطين -كما في الروايات الكثيرة- وهو سوف يكون -لو صحت الرواية- معركة بين الخراسانيّ الذي يكون إمتداده في المنطقة للرايات الصفر والسفيانيّ بتخوم إيلياء، وهي معركة غير حاسمة أيضًا تكون الغلبة للرايات الصفر ويخسر السفيانيّ هذه المعركة أيضًا.

ثالثًا: إنّ هذه التجارب للسفياني وما يحفظه من صورة عن الرايات الصفر تجعله أقل حماسة للاستمرار في حربه للمنطقة الغربية، فيفضل أن يكون امتداده للجوانب الشرقيّة من بلاده فهي أسهل للتمدد، كما أنّه يملك حواضن تحتضن جيوشه وقواته بالإضافة إلى كثرة المؤيّدين له وسعة الأرض التي يقاتلون فيها، وهي منطقة في ذلك الوقت تمتاز بأنّها مقسّمة من حيث القوى الموالية والمعادية له، بمعنى أنّ تلك المناطق

الواسعة في شرق مناطق نفوذه تحكمها أنظمة عسكريّة وإدارية بنظم الدويلات والطوائف. ففي كل قرية أو في منطقة صغيرة وكبيرة نجد دويلة قد تتفق مع جاراتها أو قد تختلف بينها، ممّا يجعل همّ السفيانيّ الأول أن يتمدد إلى تلك المناطق، ويلحقها بدولته ويوجد الدولة السفيانيّة الكبيرة الموحّدة برايته ويتحارب في مناطق عدة كما سوف تأتي تفاصيل هذه القضايا في الحلقة القادمة إن شاء الله عندما نتحدث عن السفيانيّ.

ولكن أهم معركة سوف يخوضها، عندما يبعث الجيوش باتجاه العراق ليلحقهم بدولته، وهنا بيت القصيد.

تحدّثت الروايات الشريفة عن تسابق يحدث بين الخراسانيّ والسفيانيّ نحو العراق، بعد أن تنقضي من أيام حركة وخروج السفيانيّ تسعة أشهر أو أكثر. فقد ورد في غيبة النعماني عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**يخرج الخراسانيّ والسفيانيّ هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان، هذا من هنا، وهذا من هناك**».

كما في روايات أخرى أنَّ دخول الخراسانيّ في الكوفة شيء مؤكد، وسوف يبقى في الكوفة إلى عهد الإمام المهديّ عجل الله فرجه. وروي في غيبة الطوسي الصفحة 452، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان إلى الكوفة فإذا ظهر المهديّ عجل الله فرجه بعث إليه بالبيعة**».

لا يخفى أنّ سند هذه الرواية عامّي فهي عن نعيم بن حماد .كما قد

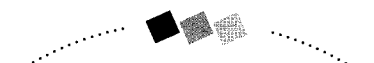

رواها عنه السيد ابن طاووس رحمه الله في الملاحم والفتن، الصفحتان 55 ـ 56 الباب الرابع والمئة، بنفس الإسناد ونفس النص بإضافة كلمة (بمكة) فكانت العبارة (فإذا ظهر المهديّ بمكة بعثت إليه بالبيعة)، وهي موجودة أيضًا في كتاب الفتن لنعيم الصفحة 190، بنفس النص الموجود في الملاحم ولكن بدل (بعثتَ) عبارة (بُيعتَ). فالرواية تصلح مؤيّدة لروايات أخرى تحدّثت في وصول الخراسانيّ إلى الكوفة وبقائه إلى أن يظهر المهديّ عجل الله فرجه.

ربما أيضًا تساعد على هذا التأييد الرواية الأخرى التي رواها النعماني في غيبته بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد تقدم نقلها أنّه قال: «**إذا قام القائم بخراسان، وغلب على أرض كوفان، وملتان، وجاز جزيرة بني كاوان**»[1].

وهي الخريطة الجغرافية لحركة الخراسانيّ والعبارة في بعض النسخ قد بُدِّلت كوفان بـ (كرمان) ولكنّ هذه النسخة لم تُصحح في كثير من المصادر التي نقلت الرواية من جملتها في البحار[2].

فإنه ذكرها بعنوان كوفان ولم ينقل نسخة البدل الأخرى؛ والشيء بالشيء يُذكر أنّ العلّامة المجلسي رضوان الله تعالى عليه عندما نقل هذا المقطع من الرواية علّق على بيان ما جاء فيها بما يلي:

(1) كتاب الغيبة، مصدر سابق، الباب 14، الحديث 55، الصفحة 275.

(2) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء 52، الصفحة 236.

(بيان: القائم بخراسان هلاكوخان أو جنكيزخان، وكاوان جزيرة في البصرة ذكره كذا الفيروز آبادي، والقائم بجيلان السلطان إسماعيل نور الله مضجعه، والأبر قرية قرب الأسترآبادي كذا عرّفها بالألف واللام والخروف كصبور الذكر من أولاد الضأن ولعلّ المراد بالكبش السلطان عباس الأول طيب الله رمسه حيث قتل ولده الصفي ميرزا رحمه الله، قيام الأخر بالثأر يُحتمل: أن يكون إشارة إلى ما فعل السلطان صفي تغمده الله برحمته ابن المقتول بأولاد القاتل من القتل وسمل العيون وغير ذلك.

وقيام القائم عليه السلام بعد ذلك لا يلزم أن يكون بلا واسطة، وعسى أن يكون قريبًا. مع أن الخبر مختصر من كلام طويل، فيمكن أن يكون سقط من بين الكلامين وقائع).

ونحن ذكرنا هذا البيان للشيخ المجلسي من باب التأكيد على أنّ التفسيرات والتأويلات التي تجري على مثل هذه الروايات الغامضة والمملوؤة بالألغاز والرموز هي تأويلات وإسقاطات استحسانية تتبع المزاج الشخصي ولا تؤثر على المقصود الواقعي منها شيئ. لذلك سوف تبقى هذه الروايات محتفظة بحيويّتها وبروحها المؤثرة على تعاطف المتلقين لها، بما يؤثر فيهم وما يتعلّق بإنتظار الفرج. من هنا فإنّنا نُصرّ دائمًا وأبدًا وما زلنا، على ألّا نربط التوقّعات بالقضايا الفعليّة على الأرض لاحتمال عدم تطابقها، ممّا يولد التشكيك بصدقها أو صدق صدورها مع أنّها قد تكون صدرت من أهل البيت عليهم السلام ولكن قصد بها معنى آخر هو غير المعنى الذي استحسنه من شاء وأراد أن يستحسن. فالأمور وإن

كانت غامضة عندنا نحن البشر العاديّين ولكنّها معلومة التفاصيل بأوضح الوضوح إلى حدّ البداهة عند أهل البيت عليهم السلام حتى فيما كتب الله فيه النسخ والبداء.

إن المصادر التي نقلت في غيبة النعماني هذه الرواية وأكدت بنسخها المتعددة أنّ الوارد فيها عبارة أرض كوفان وليست عبارة أرض كرمان.

والفائدة من هذا التأكيد أمران:

الأول: أنّ ذكر كرمان لو كان هو البدل لعلمنا أنّ الحركة الجغرافيّة مخصوصة في إيران؛ وهكذا فإنّ مُلتان كانت في فترة من الفترات تابعة إلى الإمبراطورية الإيرانية في زمن الأنظمة السابقة وهكذا جزيرة بني كاوان.

بينما لو كانت الكلمة هي كوفان، فسوف نعرف أنّ هذه الرواية تتحدث عن جغرافيا دولة الخراسانيّ خارج حدود دولة إيران. فكوفان اسم رمزي للعراق، وملتان هي منطقة واقعة حاليًا في باكستان يسكنها غالبية من الشيعة، وفيها من القلاقل التي يقوم بها التكفيريّون من التفجيرات، وقتل الشيعة الأبرياء في مساجدهم وحسينيّاتهم ممّا جعلهم يطلبون العون والنصرة، وفي تصّورنا هذه المنطقة لا تكون طبق هذه الروايات تحت الحكم المباشر الخراسانيّ، وإنّما تكون منطقة نفوذه.

وربما يكون أيضًا التعبير عن ملتان إشارة إلى المناطق الواقعة بين أفغانستان وباكستان والهند من الشيعة لأنّها كانت تصنف تاريخيًّا من

مدن الهند قرب غزنة وهي منطقة واسعة جدًا، تشمل أراضي كثيرة من جملتها ملتان الحالية، فربما يكون المقصود منها الاسم التاريخي وتعبر عن مواقع النفوذ الخراسانيّ في تلك البلاد الواسعة من الهند القديمة بحدودها الحالية التي تشمل الباكستان وأكثر مناطق أفغانستان وبعض الدول الأخرى.

جزيرة بني كاوان

وهكذا يصل الكلام إلى جزيرة بني كاوان وذُكرَ أنّها تُسمى جزيرة (لافت) في بحر فارس بين عُمان والبحرين. وقد تكون إشارة أيضًا إلى وجود مثل هذا النفوذ، ولكنّه أقل من نفوذه على كوفان وملتان، فقد جاء في النص الشريف: (وجاز جزيرة بني كاوان). والواضح أنّ عبارة غَلَبَ غير عبارة جاز معناها يؤدي إلى أن دور الخراسانيّ في تلك المنطقة هو غير دوره في أرض كوفان. وبديهي شمول بني كاوان البحرين وما حولها من مناطق الخليج القريبة إلى البحر ليتناسب مع عبارة (جزيرة).

والثاني: نفهم من عبارة كوفان ما ذكرناه في حركة الخراسانيّ، ووصوله إلى أرض كوفان، وتغلبه على تلك المنطقة، وهذا هو الأنسب مع الروايات الأخرى التي تحدّثت عن حركة الخراسانيّ من بلاده ومجيء جيوشه إلى العراق ومحاربته للسفياني.

هل يحارب الخراسانيّ السفيانيّ في إيران؟

هناك من كتب عن حركة السفيانيّ وتحركة إلى العراق، ومن ثمَّ

يتحرك بجيوشه إلى داخل إيران مستندًا على روايات عاميّة نقلها نعيم في كتابه الفتن ننقل بعضها، وباقي تلك الأخبار تشبه هذه الأخبار من جهات متعدّدة، تذكر أنّ أهم المعارك التي تحدث بين السفيانيّ والخراسانيّ في منطقة إصطخر والري والمدائن وقرقيسيا، وكلّ هذه الروايات على اختلافها محصورة في كتاب نعيم:

1 - روى في الفتن بإسناده عن أبي رومان عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «**إذا خرجت خيل السفيانيّ إلى الكوفة بعث في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهديّ فيلتقي هو والهاشمي برايات سود، على مقدمته شعيب بن صالح، فيلتقي هو وأصحاب السفيانيّ بباب إصطخر فتكون بينهم ملحمة عظيمة، فتظهر الرايات السود، وتهرب خيل السفيانيّ، فعند ذلك يتمنّى الناس المهديّ ويطلبونه**»[1].

2 - وروى عن جابر عن أبي جعفر قال: «**يبث السفيانيّ جنوده في الآفاق بعد دخوله الكوفة وبغداد، فيبلغه فرعه من وراء النهر من أهل خراسان، فتقبل أهل المشرق عليهم قتلًا، ويذهب نجيّهم فإذا بلغه ذلك بعث جيشًا عظيمًا إلى إصطخر عليهم رجل من بني أمية، فتكون لهم وقعة بقومس، ووقعة بدولات الري، ووقعة بتخوم زرنج، فعند ذلك يأمر السفيانيّ بقتل أهل الكوفة، وأهل المدينة، وعند ذلك تقبل الرايات السود من خراسان، على جميع الناس شاب**

(1) كتاب الفتن، مصدر سابق، الصفحة 192.

من بني هاشم، بكفه اليمنى خال، يسهل الله أمره وطريقة، ثم تكون له وقعة بتخوم خراسان، ويسير الهاشمي في طريق الري، فيسرح رجل من بني تميم من الموالي يقال له شعيب بن صالح إلى اصطخر إلى الأموي، فيلتقي هو والمهديّ والهاشمي ببيضاء إصطخر، فتكون بينهما ملحمة عظيمة، عليهم رجل من بني عدي فيظهر الله أنصاره وجنوده، ثم تكون وقعة بالمدائن بعد وقعتي الري، وفي عاقرقوفا وقعة صيلمية يحذر عنها كل ناج، ثم يكون بعدها ذبح عظيم بابل، ووقعة في آخر من أرض نصيبين، ثم يخرج على الأخوص قوم ممن سؤدهم، وهم العصب، عامتهم من الكوفة والبصرة حتى يستنفذوا ما في أيديه من سبي كوفان»[1].

3 - عن راشد بن سعد وخمرة بن حبيب ومشايخهم قالوا: «يبعث السفيانيّ خيله وجنوده فيبلغ عامة الشرق من أرض خراسان، وأرض فارس، فيثور بهم أهل المشرق، فيقاتلونهم، ويكون بينهم وقعات في غير موضع، فإذا طال عليهم قتالهم إياه بايعوا رجلًا من بني هاشم، وهو يومئذ في آخر الشرق، فيخرج بأهل خراسان، على مقدمته رجل من بني تميم، مولى لهم، أصغر قليل اللحية، يخرج إليه في خمسة آلاف إذا بلغه خروجه فيبايعه، فيصير على مقدمته لو استقبلته الجبال الرواسي لهدّها، فيلتقي هو وحيل السفيانيّ فيهزمهم ويقتل منهم مقتله عظمية، ثم تكون الغلبة

(1) كتاب الفتن، مصدر سابق، الصفحتان 192 .193.

للسفياني، ويهرب الهاشمي، ويخرج شعيب بن صالح مختفيًا إلى بيت المقدس يوطن للمهدي منزلة إذا بلغه خروجه إلى الشام»[1].

4 - عن أرطأة قال: «يدخل السفيانيّ الكوفة فيسبيها ثلاثة أيام، ويقتل من أهلها ستين ألفًا، ثم يمكث فيها ثمانية عشر ليلة يقسم أموالها، ودخوله الكوفة بعدما يقاتل الترك والورم بقرقيسياء، ثم ينفتق عليهم خلفهم فتق، فترجع طائفة منهم إلى خراسان فتقبل خيل السفيانيّ، ويهدم الحصون حتى يدخل الكوفة، ويطلب أهل خراسان، ويظهر بخراسان قوم يدعون إلى المهديّ، ثم يبعث السفيانيّ إلى المدينة، فيأخذ قومًا من آل محمد، حتى يرد بهم الكوفة، ثم يخرج المهديّ ومنصور من الكوفة هاربين، ويبعث السفيانيّ في طلبهما، فإذا بلغ المهديّ ومنصور مكة، نزل جيش السفيانيّ البيداء فيخسف بهم، ثم يخرج المهديّ حتى يمر بالمدينة فيستقذ من كان فيها من بني هاشم، وتقبل الرايات السود حتى تنزل على الماء، فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفيانيّ ونزلهم فيهربون، ثم ينزل الكوفة حتى يستنفذ من فيها من بني هاشم، ويخرج قوم من سواد الكوفة يُقال لهم العُصَب ليس معهم سلاح إلا قليل، وفيهم نفر من أهل البصرة، فيدركون أصحاب السفيانيّ فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة، وتبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهديّ»[2].

(1) المصدر نفسه، الصفحة 197.

(2) كتاب الفتن، مصدر سابق، الصفحة 187.

هذه الروايات جميعها وغيرها التي وردت في كتاب الفتن وفي كتاب الملاحم للسيد ابن طاووس وجدناها متضادة المداليل فيما بينها مع أنها روايات ضعيفة سندًا بل ساقطة سندًا، وإن أكثرها مقطوعة بل مروية على الظاهر عن غير المعصومين سلام الله عليهم، فهي أشبه بالقصص التي كان يتحدث بها كعب الأخبار ووهب ابن منبه وغيرهما، ويزعمون أنهّم ينقلون عمّا في التوراة وما هي إلا بقصص أشبه ما يُصطلح عليها بقصص خرافة.

ولكن في مجموع هذه الأخبار نجد أن السفيانيّ يحارب الخراسانيّ في عدة مواضع مختلفة.

أ. في الري.

ب. في المدائن.

ج. في إصطخر.

د. في قرقيسيا.

ه. في الكوفة.

و. في الزوراء.

فتنحصر معارك السفيانيّ مع الخراسانيّ في إيران والعراق وتكون الغلبة في جميعها للخراسانيّ طبق هذه المرويات. ولكن هل هناك رواية مسندة وإن كانت ضعيفة سندًا في كتبنا تروي دخول السفيانيّ إلى مناطق الخراسانيّ؟

الجواب: لا توجد أيّة رواية تنصّ، بل وحتى أدنى دلالة، على دخول السفيانيّ إلى بلاد الخراسانيّ. فليست هناك معركة في الري بين الخراسانيّ والسفيانيّ أصلًا. كما أنّه ليست هناك معركة بين السفيانيّ والخراسانيّ في رواياتنا في أي منطقة أخرى في بلاد الخراسانيّ أبدًا.

وأمّا ما هو المزعوم من قصة إصطخر؟ فلم نجدها في كتبنا خصوصًا أنّ اسم إصطخر من المدن التي كانت تطلق كناية عن بلاد فارس باعتبارها مركز الحكم، وهي منطقة شيراز؛ ممّا يُبين أنّ واضعي هذه القصة كانوا يرومون من وراء ذلك تعظيم شأن السفيانيّ. مع أنّه لا وجود لها أصلًا في الأخبار الشيعية، مع ذلك خصوصًا، إذا قرأنا أن إصطخر قد ورد ذكرها أيضًا بأنّها من أرض أصفهان. وهو ما ورد عن الثمالي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**وأما داوود فملك ما بين الشامات إلى بلاد إصطخر، وكذلك كان ملك سليمان**»[1].

إنّ ما يُريده الوضّاع هو إعطاء صورة خياليّة للسفيانيّ بأنّه يحكم بملك سليمان من الشامات إلى إصطخر وهذه قصّة أمويّة لا يوجد ما يؤيدها في أيّ مصدر من مصادرنا.

وأمّا قتال السفيانيّ مع الخراسانيّ في العراق، فقد ورد في أخبار متعارضة فبعضها ذكر أنّ السفيانيّ يدخل الكوفة ويجري أحكامه الجائرة، ويقوم بأعماله الإجرامية بقتل الأبرياء وسبي النساء، فيأتي اليمانيّ وهو

(1) تفسير العياشي، الجزء 2، الصفحة 340.

مُلبّيًا صرخة المظلومين من أهل الكوفة متسابقًا مع الخراسانيّ كفرسيّ رهان لنجدة الشيعة في العراق.

وهنا تقول الرواية بأنّ اليمانيّ يقتل قائدهم وينكسر جيشه، ثم يُلاحقهم أهل العراق فيطردوهم من الزوراء، فيأتي الخراسانيّ إلى الكوفة ويجد أنّ الأمور قد استتبّت والأمن قد انتشر، فلا يُقاتل السفيانيّ وإنّما يبقى في الكوفة ينتظر المهديّ، فإذا ظهر بعث إليه بالبيعة.

كما سوف يأتي تفصيله إن شاء الله تعالى في بحث اليمانيّ من هذه السلسلة.

كما أنّ هناك رواية تحدّثت عن أنَّ المستضعفين في الزوراء والكوفة، هم الذين سوف يطردون ما يتبقى من جيش السفيانيّ. وهناك رواية ثالثة تحدّثت عن المعركة بين الخراسانيّ وجيش السفيانيّ الذي أرسله إلى العراق، كما رواه النعماني بإسناده إلى جابر بن يزيد الجعفي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**يا جابر إلزم الأرض ولا تحرك يدًا ولا رجلًا حتى ترى علامات أذكرها إن أدركتها: أولًا اختلاف بني العباس وما أراك تدرك ذلك ولكن حدِّث به من بعدي عنّي؛ ومنادي ينادي في السماء، ويجيئكم الصوت من ناحية تسمى الجابية، وتسقط طائفة من مسجد دمشق الأيمن، ومارقة تمرق من ناحية الترك، ويعقبها الجزيرة، وسيقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة، فتلك السنة يا جابر فيها اختلاف كثير من كل أرضٍ من ناحية المغرب، فأول أرض تخرب أرض الشام ثمَّ يختلفون عند ذلك ثلاث رايات: راية الأصهب،**

وراية الأبقع، وراية السفيانيّ، فيلتقي السفيانيّ والأبقع فيقتتلون، فيقتله السفيانيّ ومن تبعه، ثم يقتل الأصهب، ثم لا يكون له همّة إلا الإقبال نحو العراق، ويمر جيشه بقرقيسياء، فيقتتلون بها، فيُقتل بها من الجبارين مئة ألف، ويبعث السفيانيّ جيشًا إلى الكوفة، وعدتهم سبعون ألفًا، فيصيبون من أهل الكوفة قتلًا وصلبًا وسبيًا، فبينا هم كذلك إذ أقبلت رايات من قبل خراسان وتطوي المنازل طيًّا حثيثًا، ومعه نفرٌ من أصحاب القائم، ثم يخرج رجل من موالي أهل الكوفة في ضعفاء فيقتله أمير جيش السفيانيّ بين الحيرة والكوفة، ويبعث السفيانيّ بعثًا إلى المدينة فينفر المهديّ منها إلى مكة، فيبلغ أمير جيش السفيانيّ أنّ المهديّ قد خرج إلى مكة، فيبعث جيشًا على أثره فلا يدركه حتى يدخل مكة خائفًا يترقب على سنة موسى بن عمران عليه السلام. قال: فينزل أمير جيش السفيانيّ في البيداء، فينادي منادٍ من السماء يا بيداء أبيدي القوم. فيخسف بهم فلا يفلت منهم إلا ثلاث نفر يحوّل الله وجوههم إلى أقفيتهم وهم من كلب، وفيهم نزلت هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ ﴾ [1]. قال: والقائم يومئذ بمكة قد أسند ظهره إلى البيت الحرام مستجيرًا به، فينادي: يا أيها الناس إنّا نستنصر الناس، فمن أجابنا من الناس؟ فإنّا أهل بيت نبيّكم محمد، نحن أوْلى الناس بالله وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فمن حاجّني في آدم فأنا أولى

(1) سورة النساء، الآية 47.

الناس بآدم، ومن حاجّني في نوح فأنا أولى الناس بنوح، ومن حاجّني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم، ومن حاجني في محمد فأنا أولى الناس بمحمد ﷺ، ومن حاجّني في النبيين فأنا أولى الناس بالنبيين، أليس الله يقول في محكم كتابه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [1]؟ فإنّا بقية من آدم، ومصطفى من إبراهيم، وصفوة من محمد صلى الله عليهم أجمعين. ألا فمن حاجّني في كتاب الله فأنا أولى الناس بكتاب الله، ألا فمن حاجّني في سنّة رسول الله فأنا أولى الناس بسنّة رسول الله، فأنشد الله من سمع كلامي اليوم لما بلغ الشاهد منكم الغائب، وأسألكم بحق الله، وحق رسوله وبحقي، فإن لي حقّ القربى من رسول الله إلا أعنتمونا ومنعتمونا ممّن يظلمنا، فقد أخفنا وظلمنا، وطردنا من ديارنا وأبنائنا، وبغي علينا، ودفعنا عن حقنا، وافترى أهل الباطل علينا، فالله فالله فينا، لا تخذلونا، وانصرونا ينصركم الله تعالى. قال: فيجمع الله عليه أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا، ويجمعهم الله له على غير ميعاد قزع كقزع الخريف، وهي يا جابر الآية التي ذكرها الله في كتابه ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [2] فيبايعونه بين الركن والمقام، ومعه عهد من رسول الله ﷺ قد توارثته الأبناء عن الآباء، والقائم يا جابر رجلٌ من ولد الحسين يصلح الله له أمره من ليلة، فما أشكل على الناس من ذلك يا جابر فلا يشكلن عليهم

(1) سورة آل عمران، الآيتان 33- 34.

(2) سورة البقرة، الآية 148.

ولادته من رسول الله ووراثته العلماء عالمًا من بعد عالم، فإن أشكل هذا كُله عليهم، فإنّ الصوت من السماء لا يشكل عليه إذا نودي بإسمه واسم أبيه واسم أمه»[1].

وهذه الرواية قد رواها العياشي عن جابر الجعفيّ عن الإمام الباقر عليه السلام بألفاظ قريبة، يقول: إلزم الأرض ولا تحركنَّ يدكَ ولا رجلكَ أبدًا حتى ترى علامات أذكرها لك في سنة، وترى منادي ينادي بدمشق وخسف بقرية من قراها، ويسقط طائفة من مسجدها فإذا رأيت الترك جازوها فأقبلت الترك نزلت الجزيرة وأقبلت الروم حتى نزلت الرملة، وهي سنة اختلاف في كل أرض من ارض العرب، وإن أهل الشام عند ذلك يختلفون على ثلاثة رايات الأصهب والأبقع والسفيانيّ، مع بني ذنب الحمار مضر، ومع السفيانيّ أخواله من كلب فيظهر السفيانيّ ومن معه على بني ذنب الحمار حتى يقتلوا قتلًا، لم يقتله شيء قط ويحضر رجل بدمشق فيقتل هو ومن معه قتلًا لم يقتله شخصًا قط وهو من بني ذنب الحمار، وهي الآية التي يقول الله تبارك وتعالى ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾ [2] ويظهر السفيانيّ ومن معه حتى لا يكون له همة إلا آل محمد وشيعته، فيبعث بعثًا إلى الكوفة، فيصاب بأناس من شيعة آل محمد بالكوفة قتلًا وصلبًا وتقبل راية من خراسان حتى تنزل ساحل الدجلة يخرج رجل من الموالي ضعيف ومن تبعه، فيصاب

(1) تفسير العياشي، الجزء 1، الصفحتان244 - 245، واختصاص المفيد، الصفحتان 255 - 257.
(2) سورة مريم، الآية 37.

بظهر الكوفة، ويبعث الله بعثًا إلى المدينة فيقتل بها رجلًا ويهرب المهديّ والمنصور منها، ويؤخذ آل محمد صغيرهم وكبيرهم لا يترك فيهم أحد إلا صبي ويخرج الجيش في طلب الرجلين ويخرج المهديّ منها على سنة موسى خائف يترقب حتى يقدم مكة وتقبل الجيش حتى إذا نزلوا البيداء وهو جيش الهملات الهلاك خ ل خسف بهم فلا يفلت منهم إلا مخبر ويقوم القائم بين الركن والمقام فيصلى وينصرف ومعه وزيره، فيقول: يا أيها الناس إنّا نستنصر الله على من ظلمنا وسلب حقنا من يحاجنا في الله فأنا أولى بالله، ومن يحاجنا في آدم فأنا أولى الناس بآدم، ومن يحاجنا في نوح فأنا أولى الناس بنوح، ومن حاجنا في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم، ومن حاجنا بمحمد فأنا أولى الناس بمحمد ومن حاجنا في النبيين فنحن أولى الناس بالنبيين ومن حاجنا في كتاب الله فنحن أولى الناس في كتاب الله، إنّا نشهد كل مسلم اليوم إنّا قد ظُلمنا وطُردنا (طرحنا خ ل)، وبغي علينا وأخرجنا من ديارنا وأموالنا وأهالينا وقهرنا، إلا أنّا نستنصر الله اليوم وكل مسلم، ويحيي الله ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا فيهم خمسون امرأة يجتمعون بمكة على غير ميعاد قزعًا كقزع الخريف.

قال الجزري في النهاية: ومنه حديث (يجتمعون إليه كما يجتمع قزع الخريف) أي قطع السحاب المتفرقة وإنّما خص الخريف لأنّه أول الشتاء والسحاب يكون فيه متفرقًا غير متراكم ولا مطبق ثم يجتمع بعضه إلى بعض بعد ذلك يتبع بعضه بعضًا وفي الآية التي قال الله: «**أَيْنَمَا تَكُونُوا**

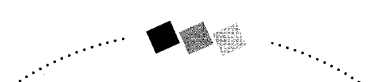

يأتي الله بكم جميعًا إنّ الله على كل شيء قدير» فيقول رجل من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم في القرية الظالم أهلها ثم يخرج من مكة هو ومن معه الثلاثمائة وبضعة عشر يبايعونه بين الركن والمقام، ومعه عهد نبي الله ورايته وسلاحه ووزيره معه، فينادي المنادي بمكة بإسمه وأمره من السماء حتى يسمعه أهل الأرض كلهم اسمه اسم نبي، ما أشكل عليهم فلم يشكل عليهم عهد نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ورايته وسلاحه والنفس الزكية من ولد الحسين، فإن أشكل عليهم هذا فلا يشكل عليهم الصوت من السماء بإسمه وأمره وإياك وشذاذ آل محمد، فإنّ لآل محمد وعلى راية ولغيرهم رايات، فالزم الأرض ولا تتبع منهم رجلًا أبدًا حتى ترى رجلًا من ولد الحسين، معه عهد نبي الله ورايته وسلاحه فإنّ عهد نبي الله صار عند علي بن الحسين، ثم صار عند محمد بن علي ويفعل الله ما يشاء فالزم هؤلاد أبدًا وإياك ومن ذكرت لك، فإذا خرج رجلٌ منهم معه ثلاثمة وبضعة عشر رجلًا ومعه راية رسول الله عامدًا إلى المدينة حتى يمر بالبيداء، حتى يقول (هكذا من نسخة البحار هذا وهو الظاهر) مكان القوم الذي يخسف بهم الله الأرض أو يأتي بهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين فإذا أقدم المدينة (أخرج محمد بن الشجرى على سنة يوسف) ثم يأتي الكوفة فيطيل بها المكث ما شاء الله أن يمكث حتى يظهر عليها. ثم يسير حتى يأتي العذراء، وفي البرهان (البيداء) وهو ومن معه وقد لحق به ناس كثير والسفيانيّ يومئذ بوادي الرملة، حتى إذا التقوا وهم يوم الأبدال يخرج أناس كانوا مع السفيانيّ من شيعة آل محمد، ويخرج

ناس كانوا مع آل محمد إلى السفيانيّ وهم من شيعته حتى يلحقوا بهم ويخرج كل ناسٍ إلى رايتهم ويوم الأبدال.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

ويقتل يومئذ السفيانيّ ومن معه حتى لا يترك منهم مخبر والخائب يومئذ من خاب عن غنيمة كلب، ثم يقبل إلى الكوفة فيكون منزله بها، فلا يترك عبدًا مسلمًا إلا اشتراه وأعتقه، ولا غارمًا إلا قضى دينه، ولا مظلمة لأحد من الناس إلا ردّها، ولا يقتل منهم عبد إلا أدى ثمنه دية مسلمة إلى أهلها ولا يقتل قتيل إلا قضى عنه دينه وألحق عياله في العطاء حتى يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا وعدوانًا، ويسكنه هو وأهل بيته الرحبة إنّما كانت مسكن نوح وهي أرض طيبة ولا يسكن رجل من آل محمد صلى الله عليه وآله ولا يقتل إلا بأرض طيبة زاكية فهم الأوصياء الطيّبون»[1].

ولكن في هذا الحديث بروايته (في غيبة النعماني وتفسير العياشي) لم يذكر شيئًا عن الحرب بين الخراسانيّ والسفيانيّ وإنّما تتم هناك مناوشات مع قوة ضعيفة محلية. أما الخراسانيّ فعندما يأتي إلى العراق لينجد الشيعة لا يُذكر عن الوقائع أي شيء، وإنّما تنزل رايته ساحل نهر دجلة فقط وربما يحذر السفيانيّ من قتال الخراسانيّ. فلذلك لا يُقاتله ولعل سبب عدم القتال باعتبار أنّ البعث الذي يبعثه السفيانيّ إلى الكوفة

(1) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء 13، الصفحتان 160 - 161. البرهان، الجزء 1، الصفحتان 163 - 164، ورواه المحدث الحرّ العامليّ رضوان الله عليه في إثبات الهداة، الجزء 7، الصفحة 94 عن هذا الكتاب مختصرًا.

ضعيف لم يُلاحظ فيه دور الخراسانيّ واليمانيّ، مما أوقعه بهذا الارباك. بينما بعث كُلّ قوته ومهمّاته العسكرية وآلياته لملاحقة المهديّ في المدينة المنورة.

وتبيّن لنا من هذه المتابعة الاستقرائيّة للروايات عن حرب الخراسانيّ والسفيانيّ، أنّه لا حرب بينهما في الري ولا في إصطخر ولا في الكوفة ولا في المدائن، وكذلك هو الأمر بالنسبة إلى قرقيسيا لأن المعركة في قرقيسيا تكون بين الترك والروم وآل العباس وتنتهي المعركة بين بقايا بني العباس والسفيانيّ. فلا يوجد في المعركة بين هذه الأطراف من هو في حركة الخراسانيّ من الشيعة.

ولو أردنا أن نجمع بين ما جاء في الروايات السنّيّة والروايات الشيعيّة عن دور الخراسانيّ في العراق فسوف نجد للخراسانيّ دور النجدة. لأنّ أهل الكوفة يستغيثون به، وما كان منه إلا أن يغيثهم حتى تنزل الرايات السود على الماء ويكون نزولهم على الماء سببًا لهزيمة أصحاب السفيانيّ، كما في رواية نعيم في كتابه الفتن المتقدمة: «**وتقبل الرايات السود حتى تنزل على الماء فيبلغ من في الكوفة من أصحاب السفيانيّ نزولهم فيهربون**».

ثم ينزل (الخراسانيّ) الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم. ويخرج قومٌ من سواد الكوفة يُقال لهم العُصب ليس معهم سلاح إلا القليل وفيهم نفر من أهل البصرة فيدركون أصحاب السفيانيّ فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة. وتبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهديّ».

ومن هذه الروايات يتبيّن أنّ السفيانيّ لا يملك القوة الخارقة التي صوّرت عنه في بعض التنبؤات أو الأخبار، بحيث يستطيع قوم من سواد الكوفة من الفلاحين والحرفيّين ليس معهم سلاح إلا القليل أن يلاحقوا أصحاب السفيانيّ، ويستنقذون ما وقع في أيديهم من المدنيّين والمسالمين، ممّا يولِّد صورة جديدة عن دخول السفيانيّ إلى العراق غير الصورة الأمويّة التي صورته بالقوّة والمنعة. فإنّ جيشه فيما لو صحت رواية دخوله العراق يكون ضعيفًا غير قادر على تحقيق الأهداف الإجرامية الكبيرة التي قد تميّز بها أجداده من بني أمية. وهذا كُلّه سوف يتوضح لنا عندما ندرس حالات السفيانيّ في الحلقة القادمة إن شاء الله.

لائحة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. الشيخ المفيد، الإرشاد، (بيروت: دار المفيد، الطبعة 2، 1414هـ/ 1993)، الجزء 2، الصفحة 380.
3. العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار (بيروت: مؤسّسة الوفاء، الطبعة2 المصحّحة، 1403هـ، 1983م).
4. نعيم بن حمّاد، الفتن، تحقيق سهيل زكار (بيروت: دار الفكر، 1414هـ/ 1993م).
5. المقدسيّ، عقد الدرر.
6. إبن منظور، لسان العرب.
7. الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، 1379 – 1338 هـ.ش).
8. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة (دار إحياء الكتب العربيّة، لا تاريخ).
9. علي أكبر الغفاري، حاشية غيبة النعماني الصفحة 259 –260.
10. صحيح البخاري، (دار الفكر للطباعة والنشر، 1401هـ/ 1981م).
11. المقدّمة لابن خلدون.

12. الميرزا النوري، مستدرك الوسائل (لبنان- بيروت: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، 1408هـ/ 1988م).

13. الطبري الإمامي، دلائل الإمامة.

14. الكليني، الكافي، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري (طهران: دار الكتب الإسلاميّة، الطبعة 3، 1367هـ. ش).

15. الصدوق، الأمالي، الصفحة 177، الحديث 179.

16. الطوسي، مصباح المتهجد، الصفحة 775.

17. سنن الترمذي ،كتاب الفتن.

18. سنن ابن ماجة الجزء 3.

19. فتح الباري في شرح صحيح البخاري الجزء 12.

20. مختصر كفاية المهتدي لمعرفة المهدي عجل الله فرجه.

21. آغا بزرك الطهراني، الذريعة (بيروت: دار الأضواء).

22. المتّقي الهندي،كنز العمّال (لبنان- بيروت: مؤسّسة الرسالة، 1409 هـ/ 1989م).

23. المازندراني، شرح أصول الكافي (بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، الطبعة 1، 2000م).

24. عبد الله نعيم بن حماد المروزي، كتاب الفتن (دار الفكر،1414هـ/ 1993م).

25. باقر ياسين، تاريخ العنف الدمويّ في العراق وشخصيةّ الفرد العراقيّ.

26. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1404هـ/ 1983م).

27. محمّد بن عيسى داوود، في كتابه المهديّ المنتظر على الأبواب.

28. السيّد ابن طاووس، الملاحم والفتن (أصفهان: نشاط، الطبعة 1، 1416هـ).

29. للشيخ المفيد، الاختصاص.

30. المقدسيّ، عقد الدرر.

31. المتّقي الهندي،كنز العمّال (لبنان- بيروت: مؤسّسة الرسالة، 1409 هـ/ 1989م).

32. الزيلعي، تخرج الإحاديث والآثار.

33. المنادي، فيض القدير شرح الجامع الصغير.

34. العجلوني، كشف الخفا.

35. الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة (قم: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، 1405هـ).

36. القطب الراوندي، الخرائج والجرائح (قم: مؤسّسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، الطبعة 1، 1409هـ).

37. الطبرسيّ، أعلام الورى (قم: مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة1، 1417هـ).

38. الطبرسيّ، تفسير مجمع البيان (لبنان- بيروت: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة1، 1415 هـ/ 1995م).

39. أبو الفتح الكراجكي، كنز الفوائد، الطبعة الحجريّة.

40. نصير الدين الطوسي، الأمالي (قم: مؤسّسة البعثة، الطبعة 1، 1414هـ).

41. ابن حمزة الطوسي، الثاقب في المناقب (قم: مؤسّسة أنصاريان، الطبعة 2، 1412هـ).

42. القاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة 2، 1414هـ).

43. الحافظ رجب البرسي، مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام (بيروت: مؤسسة الأعلمي، الطبعة 1، 1999م)، المتوفّي سنة 813 هـ، الصفحة 316.

44. تفسير العياشي.

الفهرس

مقدّمة 5
الخراساني أوّل الثلاثة 9
سند الأخبار التي تحدثت عن الخراسانيّ 18
هل الخراسانيّ موجود حاليًّا؟ 21

الفصل الأوّل: الخراساني 29
المبحث الأول: الخراساني هويّته- صفاته 31
الخراسانيّ الحسينيّ 33
اسم الخراسانيّ 35
صفات الخراسانيّ 38
الخراساني المرتبط بآل العباس 47
العبّاسيّون الجدد 53
بني العباس في رواية الظهور 62
الفرج في اختلاف بني فلان 69
الخراساني المقصود 70
المبحث الثاني: رايات الخراساني 77
في تعدّد الرايات ووصفها 82
خصوصّيات غيبيّة 86

المبحث الثالث: 95
الفتن 95
فتنة المشرق 95
فتنة النجدي 100

الفصل الثاني: المسير الخراساني ومناطق النفوذ (جغرافيّا وديموغرافيًا) .. 117
المبحث الأول: جغرافيّة حركة الخراسانيّ 119
من قبل المشرق 120
حركة آخر الزمان المتزامنة مع الظهور 135
براهين عقليّة 138
ومن جملة تلك القرائن: 139
مدّ وجزر 141
خريطة حركة الخراسانيّ في دورها التمهيديّ 144
تطبيقات احتماليّة وليست قطعيّة 146
نظام الخرز 148
حركة الرايات باتجاه الشام في المرويّات 152
وصف ذمّ 155
من قرقيسيا إلى حرستا 158
التحرّك العسكريّ للخراسانيّ 161
المبحث الثاني: ديموغرافية المجتمع الخراسانيّ 163
تفاعل البيئة الحاضنة 163
صفات سكّان المجتمع الخراسانيّ 169
ومن أهمّ تلك الصفات الكماليّة التي يتميّز بها هذا المجتمع: 170
انتصارات الخراساني 174
المدّة الأقرب 178

سلبيّات وإيجابيّات المجتمع العراقيّ 182
نتائج الامتحان 185
الإيجابيّة والتناقض في طبيعة المجتمع العراقي 203
المؤثّرات الفعليّة للسلوك الاجتماعيّ العام في العلاقة مع الخراساني 204
التلازم بين وحدة الصفات ووحدة المجتمع 206
المؤثّرات علّة مستديمة 215
مستقبل العراقيّين في مجتمع الخراسانيّ 223
المبحث الثالث: جغرافيّة الحكم الخراساني 225
العراق في عصر الخراسانيّ 225
خريطة العراق سابقًا وحاضرًا 225
الخراسانيّ في الخليج 232
الخراسانيّ في شرق دمشق 235

الفصل الثالث: علامات مرتبطة بحركة الخراسانيّ 239
المبحث الأول: كنزٌ بالطالقان 241
عظمة رجال المهدي عليه السلام 247
قيامة الخراسانيّ بداية معالم الظهور 249
المبحث الثاني: شعيب بن صالح 259
شعيب بن صالح في روايات كتب الشيعة 260
شعيب بن صالح من علامات الظهور 262
شعيب بن صالح أم شعيب وصالح 270
كلام في الخطبة التطنجية 279
وفي هذه الخطبة كلام: 280
شعيب بن صالح في روايات كتب السّنّة 281
شعيب بن صالح مع الخراسانيّ 284
شعيب من بني تميم 286

شعيب يحمل لواء المهديّ 287
الحق في أمر شعيب بن صالح 288
المبحث الثالث: التصادم بين الخراسانيّ والسفيانيّ 293
أصحاب البراذين الشهب المحذوفة 294
جزيرة بني كاوان 305
هل يحارب الخراسانيّ السفيانيّ في إيران؟ 305
لائحة المصادر والمراجع 321

الحسين ثالث الثلاثة